

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس -
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

بايك الغرب الجزائري خلال القرن 18

دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر
تخصص: علوم انسانية واجتماعية

إشراف:
_أ.د.مجاود محمد

إعداد الطالب:
_دباب بومدين

اعضاء لجنة المناقشة

اسم ولقب الاستاذ	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة الاصلية
بوشناني محمد	استاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة سيدي بلعباس
محمد مجاود	استاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة سيدي بلعباس
محمد دادة	استاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران
بوغفالة ودان	استاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة معسكر
بن عتو بلبروات	استاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
بن عمر حمدادو	استاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة وهران

السنة الجامعية: 2017/2016

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الإهداء

إلى من احمل لقبه بكل افتخار؛ إلى روح والدي
رحمة الله عليه.

إلى من كان دعائها سر نجاحي، إلى اغلي الحبايب
أمي الحبيبة.

إلى من كانت تدفعني وتشجعني كلما اعتراني سأم
إلى زوجتي.

إلى أبنائي إيمان، رحاب، منتصر الذين أرى في
عيونهم سعادة المستقبل.

إلى من شاركوني حزن أمي وبهم استمد قوتي، إلى
إخوتي.

إلى جميع الأهل والأقارب والأصدقاء، إلى كل
هؤلاء اهدي باكورة جهدي المتواضع.

شكر وتقدير

إيماناً بفضل الاعتراف بالجميل، فاني أتقدم بالشكر الجزيل
والثناء العظيم لكل من ساعدني في انجاز هذا العمل واطخص
بالذكر أستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور مجاود محمد على كل
ما بذله معي من جهد لإخراج هذا العمل إلى ارض الواقع.
كما أسجل شكري إلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة.

قائمة المختصرات (abréviations)

1/باللغة العربية:

د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية.

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

2/باللغة الأجنبية:

A.A.N : Annuaire De l'Afrique Du Nord.

B.S.G.A.A : Bulletin de la société de géographie et de l'archéologie d'Alger.

B.S.G.A.O : Bulletin de la société de géographie et de l'archéologie d'Oran.

B.G.H.D : Bulletin De géographie Historique et Descriptive.

C.R.A.S.C : Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle.

C.T : Cahiers De Tunisie.

I.H : Information Historique.

J.A : Journal Asiatique.

O.P.U : Office Des Publications Universitaires.

P.U.F : Presses Universitaires du France.

R.A : Revue Africaine.

R.A.C : Revue de l'Algérie et des Colonie.

R.A.S.J : Revue Algérienne Des sciences Juridiques.

R.J : Revue Juridique.

R.N.M.S.A.C : Recueil Des notices et Mémoires De la Société Archéologique De Constantine.

R.O.M.M : Revue De L'Occident Musulman et de la Méditerranée.

R.T.S.S : Revue Tunisienne Des sciences Sociales.

المقدمة

لا يزال البحث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني خاصة التاريخ المحلي يفتح آفاقا كبيرة أمام الباحثين، ولعل من بين هذه الجوانب دراسة تاريخ بايلك الغرب الذي عرف ظروفًا خاصة بحكم السيطرة الإسبانية على وهران إحدى أهم مدن هذا الإقليم؛ الشيء الذي جعل هذه المنطقة تعرف تجاذبا قويا بين الأسبان والعثمانيين باعتبارها نقطة احتكاك بين إيالة الجزائر وإسبانيا.

إن الخوض في غمار البحث في التاريخ المحلي السياسي أو الاقتصادي وحتى الاجتماعي ليس سبيلا سهلا وإنما مسلكا وعرا وصعبا يفرض على أي باحث ضرورة توخي الحذر لتجنب الانزلاق وراء توجه الكتابات الأوروبية التي ورغم ذلك مازالت تعد المصدر الرئيسي لكتابة تاريخ الجزائر العثماني في ظل ندرة الكتابات والدراسات الجزائرية المتعلقة بأقاليم الجزائر المختلفة وعلى وجه الخصوص منطقة الغرب الجزائري، وربما يعود ذلك إلى عدم وفرة الوثائق الأرشيفية الخاصة بالمنطقة، على عكس ما يتعلق بدار السلطان وبقية البايلكات.

إن اهتمامنا بدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر نابع من فكرة مفادها بان الدولة مهما كان موقعها الجغرافي ونظام حكمها الذي تقوم عليه؛ فان تاريخها لا يمكن فهمه من خلال قوتها العسكرية ونظمها الإدارية فحسب، بل من خلال النشاط السياسي الذي يقوم به أفرادها داخليا وخارجيا ومظاهر حياتهم الاقتصادية والاجتماعية.

لقد تميزت الجزائر في بداية القرن السادس عشر بأوضاع سياسية سادها التمزق والنزاعات الاسرية بين أفراد الأسرة الزيانية مما انعكس على إضعاف السلطة المركزية وشجع بعض القبائل والمدن على العصيان والتمرد من جهة؛ ومن جهة أخرى مجاورة بايلك الغرب للمغرب الأقصى حيث احتدم الصراع بين الأشراف والعثمانيين، ومن هنا مثل هذا البايلك مجالا جغرافيا كثيرا ما تداخل فيه المغرب الشريفي والدولة العثمانية؛ وتأثرت بهذه التجاذبات الفئات المختلفة من سكانه خصوصا تلك التي كانت مستقرة على مقربة من الحدود، كل هذه الأوضاع المتردية شجعت الأسبان لاحتلال بعض مدنه الساحلية.

إن الوجود الإسباني في الغرب الجزائري جسد في احتلال مدينتي المرسى الكبير ووهران بحيث أقدمت بعض القبائل على التعاون مع الأسبان وفي المقابل تأكد عجز سكان المنطقة في الوقوف في وجه هذا الاحتلال في ظل التمزق السياسي الذي سادها؛ الأمر الذي دفع بهم إلى الاستنجاد بالعثمانيين وبالتالي إلحاق هذا الجزء من الجزائر إلى الإيالة، واستجابة لذلك توجه عروج إلى مدينة تنس لإخضاع ثورة قبائل المحال؛ وبالتالي فان الوجود الإسباني

قد أدى في المنطقة إلى قيام تحالف قوي بين السلطة العثمانية وكثير من رجالات الطرق الدينية والعلماء خلال زمن ليس بالقصير وإعلان تأسيس البايلك واختيار مازونة عاصمة له منذ 1563 إلى غاية مستهل القرن الثامن عشر. أما الفترة المخصصة للدراسة فهي القرن الثامن عشر حيث تحدد بانتقال مقر البايلك من مازونة إلى معسكر سنة 1701 وتولي الحكم فيه من طرف بايات خلدوا أسمائهم من خلال مآثرهم وإنجازاتهم في البايلك كالباي مصطفى بوشلاغم الذي عرف فترة حكمه حدثا تاريخيا هاما تمثل في فتح وهران الأول سنة 1708 والبالي محمد الكبير الذي عرف عهده بالاسترجاع النهائي لوهران سنة 1792 واستكمال البايلك لوحده الترابية؛ كما شهدت هذه الفترة تركيز اهتمامات حكام الجزائر تدريجيا على الداخل بدل الاعتماد على مداخل الأسطول البحري بعدما اعتراها من تراجع بسبب اختلال التوازن بينه وبين الأساطيل الأوربية وهو ما جعل قضية الاعتماد على الريف ومداخيله ومواده الأولية وكذلك الضرائب، لتصبح من أولويات السلطة العثمانية في الجزائر ولذلك اعتبرته القاعدة التي ارتكز عليها حكمها بشكل واضح .

لقد كان اختيارنا للبحث في هذا الموضوع نابعا من بعض الميول الشخصية قصد التعرف على جزء من تاريخ بايلك الغرب بحكم الانتماء إلى المنطقة الغربية من الجزائر، لكن هذه الرغبة الشخصية توفرت لها أسس علمية وذلك من اجل الاطلاع وفهم مختلف التطورات السياسية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر بناء على ما خلفته الأوضاع الخارجية والداخلية المبنية على نوعية العلاقة بين السلطة والسكان.

من هنا ارتأينا البحث في أحوال بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر ضمن موضوع موسوم بـ: "بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية" وهو موضوع يمنحنا الفرصة للتعامل مع اشكاليته من خلال الإجابة على كثير من التساؤلات المتعلقة بـ:

- طبيعة الإدارة العثمانية لبايلك الغرب وهيكلتها ودورها في فرض السلطة وهيبة الدولة العثمانية.
- التعرف على علاقة حكام بايلك الغرب مع مختلف القوى المحلية القبلية والدينية في الغرب الجزائري.
- معرفة القبائل المتعاونة مع الاسبان ودورها في تعزيز وتقوية الوجود الاسباني بالمنطقة.
- توضيح تأثير البايلك بالأحداث السياسية الكبرى كالاخلافات مع المغرب الأقصى وتحرير وهران وخروج الاسبان نهائيا منها وتحول عاصمة البايلك من معسكر إليها.

- تبيان طبيعة النشاطات الاقتصادية الرئيسية التي كانت تزاوّل في بايلك الغرب ووضعية الأراضي الزراعية من حيث الملكية وأثرها على الفعل الزراعي.
 - طبيعة المؤسسات الدينية والتعليمية ودورها في نشر الثقافة والعلوم ببائلك الغرب الجزائري.
- وللإجابة على هذه الإشكالية طرحنا عدة تساؤلات فرعية وهي كالآتي:
- ماهي أوضاع المنطقة الغربية للجزائر قبل الاحتلال الإسباني والتوسع العثماني؟ وماهي أهم القبائل المتعاونة مع الإسبان؟ مع ذكر أسباب وأشكال هذا التعاون؟
 - ماهي أهم محاولات العثمانيين قبل القرن الثامن عشر لاسترجاع مدينة وهران والمرسى الكبير؟
 - ماهي طبيعة الحكم العثماني للغرب الجزائري؟ وما مدي مساهمة القبائل المتعاونة مع العثمانيين في إطالة الحكم العثماني بالمنطقة الغربية للجزائر؟ .
 - ما هو تأثير المغرب على قبائل بايلك الغرب الجزائري ونوعية العلاقة العثمانية المغربية خلال القرن الثامن عشر؟.
 - ماهي أنواع النشاطات الاقتصادية في بايلك الغرب؟ وهل أخذت السلطة العثمانية بعين الاعتبار مسألة تطوير جوانب حياة سكان البايك في ظل تراجع مداخيل البحر والأسطول البحري؟.
 - ماهي نوعية المؤسسات الدينية والتعليمية ودورها في تعبئة سكان البايك من الأخطار الخارجية؟
- وقد استقطبت دراسة موضوع بايلك الغرب اهتمام مجموعة قليلة من الباحثين الذين أنجزوا أعمالا أكاديمية كمذكرة الماجستير التي أعدها توفيق دحماني حول "النظام الضريبي ببائلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني" والتي بينت من خلالها طبيعة هذا النظام وتداعياته على الحياة العامة بالبائلك وعلى علاقة السكان بالسلطة. ومذكرة الماجستير التي أنجزتها رشيدة شكري معمر بعنوان "العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر خلال فترة الدايات" والتي أبرزت من خلالها دور العلماء في مجتمع بايلك الغرب وتطور علاقتهم بالسلطة العثمانية على مرحلتين تميزت الأولى بالتفاهم وانطبعت الثانية بالخلاف الذي انتهى بالمواجهة.
- هذا إضافة إلى مذكرة الماجستير التي عنوانها "العلم والعلماء في بايلك الغرب" لقدور بوجلال والتي ركز من خلالها على حاضرتي مازونة ومعسكر ومذكرة الماجستير التي كانت من إنجاز الواليش فتيحة حول "الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر" والتي رسمت من خلالها الإطار العام لحواضر البايك ووظائفها المختلفة ورسالة الدكتوراة ذات الصلة بالموضوع لمنصور مرقومة تحت عنوان "القبلية والسلطة والمجتمع في الجزائر

بحث أنتروبولوجي في المجال السياسي التيهريتي " والتي أبرز من خلالها بنية المجتمع الريفي في جزء من بايلك الغرب وهو جهة تيهرت والتحويلات العميقة التي عرفتها القبيلة هنالك، ومذكرة الماجستير التي أنجزتها دغموش كاميلية حول " قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية 1509-1792 " والتي بينت من خلالها مختلف قبائل الغرب التي تعاونت مع الاحتلال الاسباني دون إهمالها لعلاقة بايات الغرب الجزائري مع مختلف القوى المحلية ودور قبائل الغرب في تحرير وهران من الاحتلال الاسباني.

ومن أجل تغطية الموضوع بما يكفي من الدراسة اتبعنا منهجا تاريخيا تركيبيا على سبيل الاستقراء تحليلا ومقارنة ووصفا محاولا الخروج بصورة متكاملة تساهم في تعريف القارئ ببائلك الغرب والظروف التي عاشها في ظل الحكم العثماني خصوصا خلال القرن الثامن عشر، وقد سمحت لي المادة العلمية التي جمعتها حول الموضوع بتقسيمه إلى أربعة فصول إضافة إلى مقدمة وخاتمة التي جاءت عبارة عن حوصلة للنتائج المتوصل إليها في البحث.

لقد تناولنا في الفصل الأول الصراع الاسباني العثماني على الغرب الجزائري حيث خصصته لدراسة الأسباب التي دفعت بالاسبان إلى احتلال بعض مدنه الساحلية وموقف العثمانيين من ذلك، ففي البداية عرفنا بأوضاع الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الاسباني مع الإشارة إلى أهم الأسباب التي دفعتهم إلى احتلاله وولاء بعض القبائل والمدن الساحلية للاسبان ، ثم تطرقنا إلى التدخل العثماني في غرب المتوسط وتأسيس الايالة حيث ركزنا على اتصال العثمانيون بالعلماء في الغرب الجزائري ومحاولاتهم لاسترجاع وهران منذ منذ أن وطئت أقدامهم الجزء الغربي من الجزائر.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة الأحوال السياسية والتنظيمات الإدارية في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر، بحيث عرضنا في بداية الفصل الإدارة العثمانية بالبائلك وذلك بعرض الجهاز الإداري وكذلك موظفو البائلك سواء في المدن أو الأرياف ثم تطرقنا إلى السياسة الداخلية لبائلك الغرب خلال القرن الثامن عشر بداية بالبايات الذين حكموا البائلك طيلة هذه الفترة ثم تعرضنا لمختلف القوى المحلية القبلية وعلاقتها بالسلطة العثمانية وقمنا بتقسيمها إلى طبيعة العلاقة إلى قبائل متحالفة وقبائل خاضعة وقبائل مستقلة التي كانت تعيش في المناطق البعيدة عن نفوذ البائلك؛ ثم عرجنا على السياسة الخارجية للبائلك والتي كان أساسها مبنيا على ضرورة التصدي للأطماع الاسبانية والاسترجاع النهائي لمناطق النفوذ التي بجوزتهم في الغرب الجزائري وكذلك الأطماع المغربية التي كانت تهدف إلى التوسع أو تهديد الوجود العثماني من خلال التشجيع على الانفصال وقيام الثورات كثورة درقاوة وهذا ماجعل البائلك منطقة صراع اسباني عثماني من جهة، ومن جهة ثانية منطقة صراع عثماني مغربي

وأُهميت هذا الفصل بالتطرق إلى دور السلطة الروحية في البايك ممتلة في الرباطات الدينية والطرق الصوفية التي شكلت تحالفا بينها وبين السلطة لدرء الوجود الاسباني من المنطقة لكن بزوال الخطر المشترك سرعان مازال هذا التحالف وشجع على ظهور ثورات شعبية أثرت على الحياة العامة لسكان المنطقة، ثم بعد ذلك بينا علاقة المدينة بالريف حيث شكل الإنتاج الريفي بباييك الغرب خلال القرن الثامن عشر المصدر الأساسي لمداخيل الطبقة الحاكمة في المدن في ظل تراجع مداخيل البحر.

أما الفصل الثالث فقد تطرقت فيه إلى الأوضاع الاقتصادية في باييك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر بداية بوضعية الأراضي من حيث الملكية؛ ملكيات خاصة بالباييك وأخرى خاصة بالقبائل وأراضي العزل انتقلا إلى أهم الثروات الزراعية والحيوانية المنتجة بالباييك، ثم تطرقنا إلى النشاط الصناعي الذي كان ممثلا في بعض الحرف ودور الفئات الصناعية في ذلك، ثم استعرضنا النشاط التجاري الداخلي ممثلا في الأسواق الداخلية والأسواق الخارجية المعروفة بتجارة القوافل، والتجارة الخارجية مع التركيز على أهم النطاقات الجغرافية التي كانت تتعامل مع باييك الغرب وفي نهاية الفصل عرجنا على العملات والأسعار التي عرفت باختلافها من العملات العثمانية إلى الاسبانية إلى المغربية ثم الضرائب والرسوم التي تنوعت بين الضرائب التي يدفعها الاهالي الخاضعون للاسبان مقابل ضمان الأمان والضرائب التي يدفعها بقية السكان الخاضعون للعثمانيين والتي أصبحت إلى واحدة من عوامل التأثير البالغ على سكان الأرياف وهو ما انجرت عنه ظاهرة ترك الرعية لأراضيها في كثير من المناطق واللجوء إلى حياة الترحال حتى تنجو من قبضة السلطة وقد ترتب عن ذلك تأثير واضح على البنية الاجتماعية الريفية.

أما الفصل الرابع فقد خصصته لدراسة الأحوال الاجتماعية والحركة التعليمية في باييك الغرب خلال القرن الثامن عشر مستهلا بالتطرق فيه إلى فئات وعناصر المجتمع سواء في المدينة أو الريف بباييك الغرب ونوعية العلاقات التي سادت بين مختلف هذه الفئات والغرض هو ربط الجانب الاجتماعي بالجانب الاقتصادي كما اشرفنا إلى دور الأقليات الأجنبية في مختلف النشاطات الاقتصادية، ثم انتقلنا إلى تبين واقع التعليم من خلال أطواره ومناهجه وكذلك مؤسساته التي لم ترقى إلى مصاف المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة في تونس او المغرب الأقصى أو مصر لكن رغم ذلك حافظت على الوجود العثماني بالمنطقة في ظل انشغال السلطة العثمانية عن التكفل باهتماماتها ماعدا المحاولات التي قام بها الباي محمد الكبير في هذا المجال، وأنهيينا هذا الفصل بالتعريف بأهم أعلام الثقافة والفكر بالباييك وإنتاجهم الثقافي ودوره في تعبئة سكان المنطقة.

غير أن مجموعة من الصعوبات اعترضت إنجاز هذا العمل منها:

- قلة المادة العلمية ضمن المصادر المحلية وتناثرها ضمن صفحاتها في أحسن الأحوال وهو ما قلل من فرصة استغلالها رغم أننا استخدمناها بشكل كافٍ دون إقصاء أي منها.

- اهتمام الكتابات الأجنبية خصوصا الفرنسية ببعض جوانب الدراسة كتاريخ وهران وقبائل المنطقة الغربية وطبيعة جغرافية البايك ووضعية الأرض ونوعية الملكية ودور الطرق الدينية ومسار ثوراتها لاسيما الدرقاوية والتيجانية وعادات السكان وتقاليدهم وغيرها وهو ما جعلنا أمام حتمية الاعتماد عليها مع الحذر الدائم منها وهذا لكثرة ما لاحظناه من الاختلاف فيما بينها ولكون كثير منها أنجز لتمرير مجموعة أفكار تبرر الظاهرة الاستعمارية وترفع القلم عن ممارسات الاحتلال الفرنسي وهي بذلك إما جزئية وإما متحيزة على حد تعبير بيار بوابي.

- عدم وفرة الوثائق الأرشيفية الخاصة ببايك الغرب، على عكس ما يتعلق بدار السلطان وبقية البايكات، وهو ما جعل الباحثين يُقرون بصعوبة معالجة تاريخ الغرب الجزائري، كالفرنسي بيار بوابي الذي اعتبر إنجاز دراسة عن إيالة الجزائر كلها يقود إلى طرح أقل حيوية وإيجاء، وكالأستاذ ناصر الدين سعيدوني الذي نَبّه إلى الإشكالية المتعلقة بصعوبة دراسة الوقف في بايك الغرب نظرا لعدم وفرة المادة العلمية.

إن الرغبة في إخراج العمل في صورة تليق بأهميته جعلتنا نعلم على مصادر متنوعة، ذلك أن دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية تقتضي بالضرورة تداخل جهود المؤرخ والاقتصادي والفقير والأديب والأنثروبولوجي والسياسي والعسكري لتكوين صورة شاملة لما كان من تفاعل داخل البايك لذلك استعنت بمجموعة من المصادر والمراجع التي تفاوتت قيمتها وأهميتها العلمية في خدمة الموضوع وسنقتصر على ذكر أهمها:

المصادر المحلية:

- بحجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبنو عامر لعبد القادر المشرفي، مصدر أساسي في دراسة ريف بايك الغرب لأن صاحبه انشغل بالعلاقات "المشينة" التي جمعت الإسبان وكثيرا من القبائل في بايك الغرب حتى تحولت إلى خادمة لهم، وراح يفضح أعمال هذه القبائل بعد أن فصل الحديث عن أصولها عربية كبنو عامر وأمازيغية ككرشتمل وغمرة، ويبيّن موقف الشرع من أفعالها، ويحذّر الناس أن يحذوا حذوها.

ومن هنا كمنّت أهمية المصدر في كونه يبيّن لنا بوضوح أهم الأسباب التي أدت إلى طول فترة الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير، ونقصد الدعم الذي لقيه الإسبان من هؤلاء "الأعراب" الذين تحولوا إلى قاعدة خلفية تمد المحتل بالمؤونة وتجمع له الأخبار وتشارك نيابة عنه في غزو قبائل أخرى.

- رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، رافق صاحبها ابن هطال الباي محمد الكبير خلال انتقاله إلى عين ماضي لتأديب التيجانية، وسجل تفاصيل هذه "الرحلة" بدقة. وتكمن أهمية المصدر في كونه نقل إلينا صورةً عن حالة البلاد التي سادها خروج كثير من القبائل في ريف بايلك الغرب على طول الطريق بين معسكر وعين ماضي عن سلطة البايك برفضها دفع الضريبة، وهو الوضع الذي عزم الباي على تغييره، وفي هذا الإطار ذكر المؤلف بشجاعة كبيرة طريقته لتحقيق ذلك، أي طبيعة تعامله مع الرعية حيث أربب القبائل التي مر بها حتى دفعت له الكثير استرضاء له واتقاء لبطشه، ورغم ذلك لم يسلم بعضها من القتل والأسر والسلب والنهب.

- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لابن سحنون الراشدي الذي كان ملازماً لبلاط الباي محمد الكبير مكلفاً بتأديب ولده وولي عهده عثمان. وتكمن أهمية المصدر في أنه ركز على حياة الباي الكبير والمناصب التي تقلدها قبل توليه مسؤولية البايك، وعلى دوره في تنظيم الرباطات التي انتهت بتحرير مدينة وهران وطرد الإسبان منها نهائياً عام 1792م.

ورغم أن المصدر لم يكن حول الريف خصيصاً فإنه يعطينا فرصة للتعرف على الحياة الريفية من خلال الحديث عن بستان الباي وداره بناحية كاشرو، واهتمامه بالعلم وأهله في الأرياف، ومنعه إقامة الأسواق في غير ضواحي الرباط ليسهل تموين المرابطين وأسرتهم وأثر ذلك كله على الأرض واستغلالها، ضف إلى ذلك مسألة فتوى العلماء في دماء القبائل القاطعة للطريق وما نتج عن أعمالها من قلة الأمن وفساد المعيشة.

- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصر الذي لم يكن حاضراً زمن حصار الباي الكبير لوهران ورغم ذلك فإن الأخبار وصلته وهو في تونس، ولقد لاحظ انتشارها في مدن تونسية كثيرة كسوسة وصفاقص والمنستير وجربة، وهو ما شجعه على كتابة قصيدته السينية "نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران"، غير أن بساطة أسلوبها جعلته يحولها إلى تأليف يحمل العنوان المذكور سابقاً. وقد ضمن أبو راس تأليفه هذا أخباراً هامة تتعلق بالحصار والتحرير والعلماء المشاركين فيه والقبائل المتعاونة مع الإسبان، إضافة إلى مواضيع أخرى متشعبة بعيدة عن موضوع الفتح.

والملاحظ انتصار أبي راس للبايلك في كتاباته التي لم تخل من مدح البايات وسياساتهم، ومن ذم المعارضين لهم خصوصاً درقاوة التي ألف فيها كتاباً مازال في حكم المفقود عنوانه بـ "درء الشقاوة في حرب درقاوة". وهو موقف لم يتفرد به أبو راس حيث كان ابن هطال مثلاً قد ساند البايك ضد معارضييه، وأشاد بما قام به "سيده" " قانع

المبغضين ومدوخ المارقين" الباي محمد الكبير، بل قدم حياته ثمنا لهذا الولاء حين لقي حتفه في معركة فرطاسة وهو يساند الباي المنزلي ضد ابن الشريف الدرقاوي.

- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، وهو مصدر عايش صاحبه كثيرا من الأحداث التي عرفتھا الإيالة خلال خمسين سنة الأخيرة من عمرها، وتكمن أهميته في أنه أطلعنا على تاريخ الدايات المتأخرين بدءا بالداي علي بوصباع (1754م) وأهم ما ميز فترة حكم كل واحد منهم، وفي خضم ذلك جاء ذكر أحداث سياسية كثيرة لها علاقة ببايلك الغرب كالحروب مع الإسبان، ولكن الأهم من هذا بالنظر إلى الموضوع المدروس هو بيان مراسيم تقديم الدنوش والمبالغ التي تخصص لذلك، والتكاليف التي يتحمل أعباءها سكان الريف. هذا كله إضافة إلى الحديث عن انتفاضة التيجانية وعن حركة درقاوة التي نعت الزهار قائدها ابن الشريف بالثائر. والملاحظ هو عدم انسياق الزهار وراء التيار الرفض لكل هذه الثورات، حيث لم ينعته بنعوت سيئة، بل ذكر أصحابها ببعض الخير. فقد وصف والد التيجاني بالصلاح، وأقر بزيارته هو لزواية التيجاني بفاس سنة 1259هـ (1843م).

- المرأة لحمدان خوجة، مصدر هام أرخ لإيالة الجزائر وقدم إحصاءات هامة عن الأرض والسكان والضرائب، كما تحدث عن الإدارة وعلاقتها بالقبائل المختلفة، وعن البايات خصوصا أواخر العهد العثماني، ومن ذلك مثلا حديثه عن الباي حسن بن موسى ودوره في سقوط وهران في يد الاحتلال الفرنسي.

كما تكمن أهميته هذا المصدر في كونه فصل الحديث عن "سكان الجهة الغربية" في الفصل السادس من الكتاب الأول، حيث تحدث عن صفات سكان تلمسان، مليانة، وهران ومعسكر، وعن أخلاقهم وعاداتهم ونشاطاتهم الاقتصادية. ضف إلى ذلك حديثه عن بايلك الغرب الذي اعتبره أقل خصبا وأقل اتساعا من بايلك الشرق.

- القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم للطيب بن المختار الغريسي، المتوفى عام 1320هـ / 1902م، وقد مكنا من معرفة قبائل الوطن الغريسي، بل وكثير من قبائل الجهة الغربية باعتبار الحركة الدائمة التي كانت هذه القبائل تخضع لها. وفي خضم هذه التعريفات والتراجم أورد المؤلف حقائق تاريخية كثيرة عن أواخر العهد العثماني ودور الحشم خاصة في التحولات السياسية التي عرفها البايك حين اشتدت ضده الثورات الدينية.

كما تحدث المؤلف عن علاقات هذه القبائل بعضها ببعض ضمن إطار "الخدمة" التي يقتضيها عامل "النسب الشريف" الذي اهتم ببيان أسسه، وبفضح القبائل التي صارت تدعيه وهي في الأصل "غير شريفة". وهذه مسألة كانت في غاية الأهمية آنذاك لأنها ساهمت في بناء سلم اجتماعي معين.

- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران للزياني، مؤلف هام خصصه صاحبه للحديث عن وهران وبياتها والثورات التي اندلعت ضدهم، وقد فصل الحديث عن ثورة درقاوة تفصيلا، وبين تأثير سكان الريف بها، ولم يُخفِ معارضته لها. فقد كتب متحدثا عن تولي المقلش بعد المنزالي الذي هزمه ابن الشريف: "فتفسح الناس وانفرج المضيق، وأمنت من حينه الطريق، وهبت رياح النصر وخفقت أعلامه، وضاق متسع العدو وأظلمت لياليه وأيامه، وصار (هكذا) الحرب لأهل وهران عيدا، وعدوهم بين أيديهم صيدا، فكان قدوم هذا الباي عليهم سعدا، وملاقاته إياهم فوزا ومجدا.

المصادر الأجنبية:

تقرير يوسف باسيليو دي أرومبورو، الذي عُين حاكما على وهران والمرسى الكبير عام 1738م، وهو تقرير طويل اشتمل على 61 صفحة مخطوطة نشرها محمد القورصو و ميغيل دي إيبالزا عام 1978م. وتأتي أهمية التقرير من أنه كُتب بأمر من ملك إسبانيا فيليب الخامس للإجابة على تساؤل كان يشغل بال الطبقتين السياسية والعسكرية ويتعلق بالبقاء في وهران أو الانسحاب منها.

وقد احتوى التقرير معطيات هامة جدا عن الإجراءات التي اتخذها المستعمر الإسباني للتمركز في الأرض، وعن العلاقات القائمة بين الإسبان من جهة وبين القبائل والأتراك من جهة أخرى، مع وصف للأراضي المحتلة، كما يتحدث عن مشاكل قبائل المنطقة الوهرانية، والضرائب التي كان الإسبان يحصلونها منها، وثروات المنطقة وغيرها من المسائل الهامة الجديرة بالاطلاع.

أما مؤلفات الأوربيين الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني إما موظفين وإما رحالة فهي لا تخلو من فائدة، ذلك أنها نقلت إلينا كثيرا من الحقائق حول يوميات الجزائريين والحالة الاقتصادية والاجتماعية التي عرفت بها البلاد في ظل الأوضاع السياسية التي عاصرها هؤلاء الكتاب.

ومن هؤلاء لوجي دو تاسي L. de Tassy صاحب Histoire du royaume d'Alger وقد زار الجزائر عام 1725م، والدكتور شو Shaw الذي كان في الجزائر في العقد الثاني من ق 18م وألف كتابا سماه Voyage dans la régence d'Alger وفونتور دو بارادي Venture de Paradis الذي نقل إلينا صورة عن الجزائر في 1789م ضمن كتابه Alger au 18ème siècle.

وإذا كانت هذه المصادر لم تعالج موضوع الريف بشكل مباشر، فإنها احتوت على معطيات أساسية تعكس خصوصيات البيئة الريفية وتعطي صورة حول الحياة العامة خارج المدينة، كالعادات والتقاليد والعلاقات العامة

وطبيعة التعليم والقضاء ومكانة المرأة ودورها في المجتمع، وحركة القبائل وأدوارها السياسية والعسكرية ونوعية الضرائب المفروضة عليها وغير ذلك من القضايا المتعلقة بالموضوع.

كما تجدر الإشارة إلى مصدر هام جدا وهو دفتر التشريفات لصاحبه محمد الكاتب والذي اعتنى بالفترة من 1103هـ / 1692م حتى الغزو الفرنسي، وقد تُرجم قسم منه تحت إشراف ألبير دوفو Albert Devoulx ونُشر عام 1852م تحت عنوان Tachrifat, Recueil de notes historiques sur 'l'administration de l'ancienne régence d'Alger.

وبالنسبة للمراجع باللغة العربية فإنها كانت عديدة ومتنوعة نذكر منها:

تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (16م - 20م)، لأبي القاسم سعد الله، مرجع هام استفدنا منه فيما يتعلق بالحياة الثقافية ببايالك الغرب، ودور المؤسسات الدينية ورجالها في دعم الفعل الثقافي بل وحتى في الحراك السياسي، حيث أطلعنا على حياة العلماء وزعماء الطرق الدينية والزوايا، وبيّن دور الشعراء في المجتمع من خلال أغراض الشعر المختلفة خصوصا الشعر السياسي.

حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792 لأحمد توفيق المدني الذي تطرق فيه للوضع السياسي للجزائر منذ الاحتلال الاسباني لها إلى غاية تحرير وهران الثاني.

وأما المراجع الأجنبية فتميزها الأعمال المنجزة خلال العهد الاستعماري والمنشورة في شكل مؤلفات فردية أو في شكل مقالات في مجلات مختلفة أهمها المجلة الإفريقية ونذكر منها:

أعمال العسكري والسن أسترازي Esterhazy المتعلقة بتاريخ غرب الجزائر تحت الحكم العثماني (1840م) وبموضوع مخزن وهران بقبائله المتنوعة (1849م)، وهو الموضوع الذي يلتقي في بعض خطوطه العريضة مع ما أنجزه Carette (عضو لجنة الجزائر العلمية وأمينها العام) حول أصول القبائل الأساسية في الجزائر وهجراتها.

أما في مجال الحديث عن الطرق الدينية فنذكر عمل Louis Rinn (1884م) حول المرابطين والإخوان التابعين للطرق الدينية المختلفة واشتمل على تفصيلات هامة حول هذه الطرق وهيكلتها ودورها في المجتمع خصوصا الريفي. وفي موضوع متصل نذكر عمل دوماس (1853م) Daumas حول عادات وتقاليد الجزائر بمناطقها المختلفة؛ تل، قبائل، صحراء.

وحول تاريخ بايلك الغرب منذ تحرير وهران الثاني حتى بداية الاستعمار الفرنسي نذكر ما نشره Lapène عام 1842م ضمن "جدول تاريخي حول إقليم وهران" والذي يشابه في بعض محاوره ما كتبه ليون فاي Léon (1858 Fey) الذي ركز أبحاثه على تاريخ وهران متطرقا إلى آثار السيطرة الإسبانية على المنطقة كلها. في المجال الاقتصادي تميزت أعمال (Mercier 1891) الذي كتب عن الملكية العقارية وما يتعلق بها، أما في ميدان العلوم فقد أنجز Gabriel Colin رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الطب عام 1905م بكلية الطب بمونبيلي Montpellier تضمنت دراسة معمقة لما في كتاب كشف الرموز لابن حمادوش وطرق العلاج التقليدية التي كانت معتمدة آنذاك لاسيما في الريف، مع إدراج نصوص الكتاب بالعربية في آخره، وهو ما يجعله جديرا بالاطلاع.

المقالات:

اهتم Gorguios بسيرة الباي محمد الكبير وبتاريخ وهران وبايلك الغرب أيام حكمه، فنشر تبعا لذلك مقالين ضمن المجلة الإفريقية عامي 1856م - 1858م، واهتم في المقال الثاني بالحملة التي قادها ضد الجنوب بهدف إخضاعه. أما Berbrugger فقد كتب مقالا في المجلة الإفريقية (العدد 08) حول عودة الإسبان إلى وهران ثانية عام 1732م بعد أن حررها الباي بوشلاغم مدة 24 سنة، وما ترتب عن هذه العودة من نتائج. في 1877م جاء مقال Lespinasse في المجلة الإفريقية حول قبائل الحشم جهة معسكر، وقد فصل الحديث حول أصولها وعلاقتها بالبايلك وبقية القبائل، وكانت الحشم معروفة بصفة المشاكسة لأنها قلما هدأت أحوالها. وفي 1902م نشرت جمعية جغرافيا وآثار إقليم وهران دراسة مونوغرافية كتبها Fabre حول بلدية تيارت - آفلو المختلطة ضمنها معطيات هامة حول الأرض وسهولها وجبالها ومواردها المائية وسكانها، معرجا على تاريخ أهم قبائل المنطقة، وهو ما يسمح بتكوين صورة عامة عن جزء من بايلك الغرب وتفاعل الإنسان فيه مع محيطه الطبيعي.

أما Emerit فقد نشر في حوليات الاقتصاد والمجتمع والحضارة عام 1966م مقالا هاما حول القبائل ذات الامتيازات في الجزائر خلال النصف الأول من ق 19م، موضحا امتيازات قبائل المخزن مقابل دورها في إخضاع بقية القبائل، ومبرزا من خلال ذلك أهميتها في التمكين لسلطة البايك.

وفي 1977م نُشر في مجلة الغرب الإسلامي والبحر المتوسط مقال لـ Pierre Boyer حول تاريخ قبائل بني عامر حتى ظهور قانون السيناتوس كونسولت، وقد شرح فيه بالتفصيل المراحل التي مرت بها علاقة هذه القبائل بسلطة البايلك متأثرة بخدمتها للإسبان ثم بتحرير وهران النهائي عام 1792م.

أما حوليات الجغرافيا فقد نشرت عام 1917م مقالا كتبه Bernard حول السكن الريفي لدى أهالي الجزائر، ورغم أنه كان يصف السكن كما شاهده في بداية ق 20م فإن ذلك لم يمنعه أبدا من تقديم صورة تاريخية حية لهذا السكن خلال القرون الأخيرة، وهو ما سمح لنا بالتعرف على جزء من مكونات الحياة اليومية التي كان الناس يعيشونها في الأرياف، سواء الأغنياء منهم أو الفقراء، معرجا على مسألة الترحال وأثرها على طبيعة السكن. أما مجلة التاريخ الحديث والمعاصر في مجلدها الأول لعام 1954م فقد نشرت مقالا لـ Emérit حول واقع الجزائريين التعليمي عام 1830م دافع فيه عن أطروحته التي مفادها أن نسبة كبيرة من الجزائريين كانت في هذه السنة تحسن القراءة والكتابة، مشيرا إلى أثر الدين في ذلك، ومتحدثا أيضا عن الجماعات التي كونت المجتمع الريفي وعن المؤسسات التي كانت تؤطره.

وعن السياسة الدينية التي انتهجها العثمانيون في الجزائر كتب Boyer مقالا نشر عام 1966م شرح فيه أبعاد هذه السياسة، وبيّن الدور الكبير الذي قامت به المؤسسات الدينية ورجالها خصوصا في المجتمع الريفي. معرجا على موقف البايلك من العلماء المخالفين لتوجهاته، وعلى الصراع الذي كان بينه وبين المغرب الأقصى والذي صارت الطرق الدينية طرفا فاعلا فيه.

وأملّي أن تكون هذه الدراسة رغم تواضعها قد فتحت أبوابا واسعة وجديدة للبحث في تاريخ بايلك الغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية الذي لم ينل حقه من العناية مقارنة مع ما بذل من دراسات حول بقية البايلكات الجزائرية، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن انوه بالمجهودات الكبيرة التي بذلها أستاذي المشرف الذي يظل داعما للبحث العلمي والتاريخ المحلي على مستوى جامعة جيلالي اليابس بسيدي بلعباس؛ واليه خالص شكري وامتناني.

1- الفصل الأول: الصراع الاسباني العثماني على الغرب الجزائري

اولا:الموقع الاستراتيجي والأهمية الاقتصادية للغرب الجزائري.

ثانيا: أوضاع الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الاسباني.

-1-2: نهاية دولة بني زيان

-2-2: الجوسسة الاسبانية في الغرب الجزائري

ثالثا: الاحتلال الاسباني للمرسى الكبير ووهران.

1-3: احتلال المرسى الكبير

2-3: احتلال وهران.

رابعا: فرض الحماية الاسبانية على بعض المدن الساحلية الغربية

1-4: تنس

2-4: مستغانم

3-4: تلمسان

خامسا: تبعية بعض قبائل الغرب الجزائري للاسبان

سادسا:التدخل العثماني في غرب المتوسط وتأسيس ايالة الجزائر

1-6: اتصال العثمانيون بالعلماء في الغرب الجزائري.

2-6: محاولات العثمانيين استرجاع وهران

تمهيد:

تناولت في هذا الفصل الصراع الاسباني العثماني على الغرب الجزائري والتي كان الموقع الاستراتيجي وأهميته الاقتصادية من بين الأسباب التي دفعت الاسبان إلى احتلال أهم مدنه الساحلية؛ في ظل اختلال التوازن بين قوى جنوب غرب أوروبا وشمال غرب إفريقيا الذي عرف حالة التدهور والانحطاط والضعف بسبب الحروب الداخلية والاعتداءات الخارجية على سواحله بصفة فردية أو جماعية مدعمة بالباوات الذين كانوا يباركون هذه الغارات ويدعمونها بالمال والسلاح والدعاية.

وقد تمكن الاسبان من احتلال المرسى الكبير سنة 1505 ووهران سنة 1509 وأرغموا مدن : تنس ومستغانم وتلمسان على التبعية لهم وإجبارهم على دفع الضرائب واعترف الزيانيون بهذا الاحتلال سنة 1512، وتعاونت معهم بعض القبائل طمعا في أموالهم أو طلبا للآمان؛ إضافة إلى الدور الذي لعبته الجوسسة الاسبانية في المنطقة. وفي هذا الإطار؛ لم يفسد خطط الاسبان سوى تدخل العثمانيين السريع وبروز ايالة الجزائر كقوة جديدة ذات شان في البحر الأبيض المتوسط ومنافستها للاسبان؛ وقد بذلوا جهودا كبيرة للاحتفاظ بالمنطقة الغربية للجزائر وقاموا بعدة محاولات لاسترجاعها في إطار سياسة الاستنزاف.

لقد شهد القرن 16 هجمات صليبية قامت بها اسبانيا بالتعاون مع الدول الأوروبية والكنيسة أحيانا على الجزائر، وعلى وجه الخصوص الغرب الجزائري، وهذا الصراع ما هو إلا امتداد للحملات التي شنتها فرنسا وإنجلترا وألمانيا على المشرق الاسلامي في القرن 11 م، كما أن هذا الصراع الاسباني الجزائري استمر إلى ما بعد نهاية القرن 16 ولم يتوقف إلا بعد أن تم تحرير آخر معقل للمحتلين الأسبان في وهران والمرسى الكبير والجهة الغربية بصفة عامة.

أولاً: الموقع الاستراتيجي والأهمية الاقتصادية للغرب الجزائري:

يتمتع البحر الأبيض المتوسط بأهمية خاصة أكثر من باقي المحيطات والقارات، فهو يقع عند ملتقى ثلاث قارات كبيرة وهي آسيا وإفريقيا وأوروبا؛ إضافة إلى انفتاحه على المحيط الأطلسي في جهته الغربية، وكان منذ العصور القديمة مركزاً للحضارات كالحضارة الفرعونية إلى الحضارة الإسلامية؛ فالأوروبية المعاصرة، كما كان ميداناً للصراع منذ القدم ابتداءً بمعركة سلامين سنة 480 ق.م بين الإغريق والفرس مروراً إلى معركة اكتسيوم سنة 41 ق.م بين أوكتافيوس وكليوباترة؛ ثم معركة ليبانت سنة 1571 بين الأسبان والعثمانيين وما يزال إلى يومنا هذا محل صراع بين دول أوروبا والعالم العربي⁽¹⁾.

إن هذه الخصائص والمميزات الهامة التي يمتاز بها البحر المتوسط جعلت كل الدول المطلة عليه تسعى على الدوام للاستيلاء عليه وتنفرده به قصد الهيمنة، أو على الأقل ليكون لها نصيب في السيطرة على خطوط ملاحية السفن أو احتلال المواقع البرية الرئيسية في شمال إفريقيا الموازية للبحر ما بين مراكش وفاس من جهة وما بين مصر وبلاد الحجاز من جهة ثانية وممراتها المتصلة بالموانئ الرئيسية للبحر المتوسط، هذه الطرق المتصلة بماء الصحراء عن طريق القوافل القادمة من تومبوكتو المحملة بالمنتجات المختلفة والشمينة خاصة الذهب⁽²⁾.

ومن بين الدول المطلة على البحر المتوسط الجزائر؛ التي تتمتع بموقع استراتيجي ممتاز ففي الشمال تطل على البحر الأبيض المتوسط والأمم المشكلة لعالمه سواء العربية الإفريقية والآسيوية أو الأمم الأوروبية، وتحاذي حدودها الجنوبية الأمم الإفريقية؛ أما من جهة الشرق والغرب فتتوسط بقية الدول المغاربية مما جعلها قلب المغرب العربي وبوابة إفريقيا وهزة وصل بين القارتين الإفريقية والأوروبية ومعبراً رئيساً لمختلف الاتجاهات.

(1) حكمت، ياسين، « الغزو الاسباني للجزائر في القرن 16 اسبابه- مراحل- نتائجه»، مجلة الاصاله، العدد 14-15، 1973، صص 242-243.

(2) Fisher, Sir goldfrey, legende barbaresque- guerre, commerce et piraterie en afrique du nord de 1415 a 1830 (2), (traduit et annote : farida hellal), O.P.U, alger, 2000, p : 51.

وانطلاقاً من هذه النقطة سعى الأسبان إلى احتلال الجزائر وكذلك بقية بلاد المغرب الاسلامي الأخرى الواقعة على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط خاصة في ظل ضعف وحدته السياسية بداية من القرن الثالث عشر حيث انقسم على نفسه؛ وتكونت به ثلاث دويلات حاولت كل منها ان تفرض سيطرتها على كل الإقليم وهي الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى والدولة المرينية بالمغرب الأقصى والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط ودخلت هذه الدول فيما بينها في صراع حاد ومبرر عانى منه بنو زيان أكثر من غيرهم، في الوقت الذي بدا فيه الضغط الأوروبي المسيحي يطغى عليها ويهددها⁽¹⁾.

ومن بين المناطق التي احتلها الأسبان؛ الغرب الجزائري الذي يتمتع بتضاريس متنوعة حيث نجد من البحر إلى الجنوب مجموعة متنوعة من الجبال والسهول والهضاب بالإضافة إلى بعض الأراضي القاحلة نتيجة الانتشار الكبير للسبخات المالحة خاصة سبخة وهران والتي كانت تمون كل البلاد بالملح⁽²⁾، كما كانت تخترق سطحه مجموعة من الأودية والأنهار، وبصفة عامة يتألف بايلك الغرب من التضاريس الآتية:

الاطلس التلي الغربي: يتميز بانقسامه ونسبة جفافه، هذا الانقسام ناتج عن تواجد سهول واحواض تحيط بها السلاسل الجبلية والتي لا تتعدى 1900 متراً.

مرتفعات وهران والظهرة وجبال مليانة التي تشرف على البحر الابيض المتوسط وتقف حاجزاً يفصل البحر عن السهول المنخفضة؛ ممثلة في سهول سبخة وهران وسهل المقطع والشلف، هذه السهول المنخفضة يعزلها عن الاحواض الداخلية كل من سهول مغنية وسيدي بلعباس ومعسكر عن طريق السلاسل الجبلية الضيقة التي تمتد من جبال ترارة الى غاية الونشريس، هذا الاخير يرتفع في الجنوب فوق الهضاب العليا لسهل سرسو وفي الجنوب الغربي هضاب متموجة ممثلة في مرتفعات فرندة وسعيدة وتلمسان التي تشرف في الشمال على الاحواض الداخلية وتنخفض تدريجياً نحو الهضاب العليا⁽³⁾.

لقد شكل الغرب الجزائري محور اهتمام المؤرخين والرحالة الذين عبروا هذه المنطقة؛ فالحسن الوزان أشار إلى مدي خصوبة المنطقة الغربية للجزائر قائلاً: «.....السهول القريبة من الساحل منتجة جداً نظراً لخصبها والجهة

(1) يحي، بوعزيز، «علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا فيما بين القرن 16 ومطلع القرن 19»، مجلة الثقافة، العدد 48، 1978، ص 18.

(2) Josephe de,aramburu,oran et l'ouest algerien au 18^e siecle(presentation et traduction De korso et epalsa),BN, Alger,1978,p :44.

(3) فتحيحة، الوالبيش، الحياة الحضريّة في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 36.

المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المغارات.....»⁽⁴⁾، اما ابن خلدون فقد وصفها قائلاً: «.....انها اعدل الارض مزاجا وافضلها نتاجا ما بين افريقية والسوس الادنى بالمغرب الأقصى.....»⁽⁵⁾. وقال عنها ابي زكريا يحي المغيلي: «... انها ارض كثيرة الزرع والضرع.....»⁽¹⁾. كما تذكر المصادر ان تلمسان تتمتع بثروة مائية تتمثل في نهري تافنة و صفيصيف وكان بها العديد من العيون تسقى منها المزارع المجاورة لها⁽²⁾.

يتصف الغرب الجزائري بكونه منطقة سهلة الاختراق رغم تنوع التضاريس الا ان هذا التنوع لا يجعل عملية التنقل صعبة⁽³⁾، ولا يقف حاجزا امام الحركة في مختلف اتجاهاتها؛ بل رغم التنوع والحواجر الطبيعية فقد عرف الغرب الجزائري عن باقي مناطق الجزائر بأنه أرضية التقاء لمختلف التيارات البشرية والاقتصادية عبر مختلف العصور، ويكفي هنا أن نشير إلى علاقات مالقة والميريا على الساحل الايبيري وهنين والمرسى الكبير إضافة إلى رشقون والغزوات ومستغانم على سواحل الغرب الجزائري إضافة إلى ربط كل من فاس والمغرب الأقصى بالمشرق خاصة الإسكندرية وبلاد الحجاز وعلاقات النيجر وتومبوكتو بغرناطة⁽⁴⁾.

إن هذا الموقع الاستراتيجي للغرب الجزائري جعل من مدنه تعرف نشاطا اقتصاديا لانظير له خلال القرن الخامس عشر؛ فبالنسبة لوهران فقد ظلت تحتفظ بمركزها الاقتصادي والثقافي حيث تفد اليها القوافل من الجنوب محملة بالبضائع المختلفة وترسو بمينائها السفن التجارية القادمة من أوروبا مثل البندقية وجنوة ومارسيليا والميريا وبرشلونة وغيرها وقد عبر الحسن الوزان حول هذه المدينة قائلاً: «.....وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون(عائلة)..... بها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس وحمامات وفنادق..... كانت وهران مهبط التجار الكاتالونيين والجنوبيين...»⁽⁵⁾؛ اما الزباني فقد وصفها قائلاً: «.....هي مدينة من مدن المغرب الأوسط...عظيمة ذات مساحة وفخامة جسيمة وبساتين واشجار ومياه عذبة... وحبوب وفواكه وخضر... ويروج مشيدة وقصور معددة... وفنادق وحمامات وشوارع ومدافع وابراج...»⁽⁶⁾، ضف الى ذلك ميناء المرسى الكبير الذي اصبح منذ القرن الخامس عشر مركزا للتبادل التجاري بين اهم دول حوض البحر

(4) الحسن بن محمد، الوزان، وصف افريقي (ترجمة: محمد حجي ومحمد الاخضر)، ج2، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص 30.

(5) عبد الرحمن، ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903، ص 84.

(1) ابو زكريا يحي، المغيلي المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة (تحقيق: مختار حساني)، ج 1، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر،

2004، ص 30.

(2) نفسه، ص 32.

(3) Robert, tinthoin, l'oranie sa geographie son histoire ces centres vitaux, fouqué, oran, 1952, p :. 11.

(4) Pierre, Ricard, « l'artisanat indigene en oranie », In B.S.G.A.O , n° 61, 1940, p :102.

(5) الحسن بن محمد، الوزان، المصدر السابق، ص 30.

(6) محمد بن يوسف، الزباني، دليل الحيران وانبس السهران في اخبار مدينة وهران (تقديم: المهدي البوعيدلي)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،

الجزائر، 1978، ص 25.

المتوسط كالبندقية وجنوة وبلاد المغرب حيث وصفه الحسن الوزان: «..... ماظن ان في الدنيا اكبر منه- المرسى الكبير- .. يمكن ان ترسو فيه بسهولة المراكب والسفن الحربية في مامن من كل عاصفة واعصار..»⁽¹⁾، كما مثل هذا الميناء البوابة الرئيسية لوهرا ن نتيجة قوة تحصيناتها المطللة على المينائين وصلاحيه رسو المراكب بها.

اما مدينة هنين فقد كانت تحتل موقعا جغرافيا ممتازا بين الصخور التي تحمي السفن الراسية فيه من قوة الرياح والامواج سواء تلك القادمة من الناحية الغربية او من الناحية الشرقية، ومينائها تقصده سنويا سفن شرعية قادمة من البندقية للتجار مع تجار تلمسان⁽²⁾؛ ونظرا لاهمية موقعها لعبت هنين دورا تجاريا هاما بالنسبة لتلمسان مع الدول الاوروبية مثل الدويلات الايطالية وفرنسا وكذلك اسبانيا خلال العصور الوسطى وقد وصفها مارمول قائلا: «..... كانت فيها المساجد حسنة البناء وديارها اهله بالتجار والصناع؛ اذ كانت سفن البندقية تنحدر اليها كل سنة عند ذهابها الى تلمسان خاصة عندما احتل الكاردينال خمينينس وهران والمرسى الكبير، فكان تجار تلمسان يذهبون اليها ليتعاملوا مع تجار البندقية..... تصنع فيها اقمشة جميلة وانسجة من القطن...»⁽³⁾.

ويضاف إلى هذه المدن مدينة مستغانم التي تميزت بمينائها الجيد وكانت ذات عيون مياه وبساتين وأراضيها صالحة لزراعة القطن ولها نسيج عمرا ني لا يختلف عن الطابع العمراني الذي تميزت به المدن الساحلية الجزائرية الأخرى⁽⁴⁾، وقد وصفها الوزان قائلا: «... فيها مسجد في غاية الحسن وصناع كثيرون ينسجون الأقمشة ودورها جميلة وسقايتها عديدة، يخرقها جدول ماء يحرك الطاحونات...»⁽⁵⁾.

اما مدينة تنس فانها كانت تتمتع بنشاط اقتصادي وسياسي ملحوظ؛ فقد وصفها مارمول قائلا: «..... هي عاصمة هذه المنطقة منذ القديم تحصنها اسوار وقلاع..... سكان هذه المدينة لهم تجارة واسعة مع الاجانب الذين يجلبون من هذه الناحية القمح والشعير وغيرها من السلع فيحملونها الى الجزائر..... ذلك لان هذه البلاد كثيرة الزرع والخصوبة وتتواجد بها المراعي والعسل والشمع...»⁽⁶⁾.

وبالنسبة لمدينة تلمسان؛ فقد اعتبرت المدينة المحركة للغرب الجزائري نظرا لرواج تجارتها بسبب وقوعها في ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة ثانية مما جعلها تفتح ابوابها لتجارة اوروبا وتجارة المغرب والشرق، وفي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي وصفها العبدري في رحلته

(1) الحسن بن محمد، الوزان، المصدر السابق، ص 31.

(2) جيلالي، صاري، «اضواء على احد موانئ دولة بني زيان "هنين"»، مجلة التاريخ، العدد 12، 1986، ص 18.

(3) كاريخال، مارمول، افريقيا (ترجمة: محمد حجي واخرون)، ج2، دار المعرفة، الرباط، 1989، ص 296.

(4) مولاي، بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 46.

(5) الحسن بن محمد، الوزان، المصدر السابق، ص 32.

(6) كاريخال، مارمول، المصدر السابق، ص 354.

قائلا: «... تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر، ولها جامع مليح متسع وبها أسواق قائمة وأهلها ذو ليانة وأخلاقهم عالية.... وفي سند الجبل موضع يعرف بالعباد... به مزارات كثيرة من أشهرها قبر الشيخ الصالح القدوة أبي مدين رحمه الله... والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار..... وهذه المدينة ذات منظر وأقطار متسعة ومبانيها مرتفعة...»⁽¹⁾.

ثانيا: اوضاع الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الاسباني:

1-2 : نهاية دولة بني زيان: تأسست هذه الدولة في النصف الاول من القرن الثالث عشر وامتدت ارجاؤها من نهر ملوية غربا الى بجاية شمالا الى الصحراء جنوبا، بحيث انقسمت المملكة الى مقاطعات ادارية عديدة مثل مقاطعات تلمسان وتنس والجزائر وبجاية وكانت للمملكة أمصار ساحلية مثل هنين ووهران ومستغانم وشرشال تدر عليها أرباحا نتيجة التجارة مع مختلف الشعوب كما كانت لها في الداخل شعوب وقبائل تعزز مكانتها⁽²⁾.
لقد كان القرن السادس عشر بالنسبة لأوروبا عصر النهضة والاكتشافات الجغرافية وبسط النفوذ، أما بالنسبة لدول المغرب الاسلامي فكان فترة الاحتضار والصراع بين عنصرين أجنبيين الأاسبان والعثمانيين؛ ثم التفكك والضعف المستمر نتيجة الخلاف والصراع بين ملوك بني زيان حول العرش الذين انقسموا بين طامع في الملك ومعارض له؛ فاصبحت الحكومة المركزية بدون سلطة وبدون صلة مع الجهات النائية فقامت على اثر ذلك امارات شبه مستقلة في الجبال والسهول فتقلصت مملكة تلمسان الى ان اصبحت لاتتعدى المدينة ونواحيها فاستولى الثعالبة على مدينة الجزائر بقيادة سالم التومي واستولت قبائل المحال على وادي الشلف وخرج معظم قبائل الونشريس والظهرة عن طاعة الزيانيين وكونت مدن مازونة والمدية ومليانة إمارات مستقلة وهيمنت قبائل سويد وبني عامر على سهول وهران فتوقفت التجارة والزراعة وافتقرت الدولة وخلت ديارها من الاهالي⁽³⁾.

ان المتتبع لتاريخ الدولة الزيانية في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس يجد ان ملوكها عرفوا التخاذل فانصب عليهم الولايات نتيجة قلة شجاعتهم؛ فقد بادر ابو عبد الله محمد الخامس (1504-1507) الى الاعتراف بالوجود الاسباني وبال دخول تحت حمايتهم؛ وجاء بعده ابوزيان احمد الذي كان معدوم الارادة فادخل عمه الى السجن، وحكم ابو حمو الثالث للمرة الاولى بين سنتي 1516-1517 فخلعه عروج وعوضه بابن اخيه

ابو عبد الله محمد بن محمد، العبدري، الرحلة المغربية (تحقيق وتعليق: محمد الفاسي)، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968، ص ص 27 - 28⁽¹⁾.

(2) مولاي، بلحميسي، «نهاية دولة بني زيان»، مجلة الأصاله، العدد 26، الجزائر، 1975، ص 30.

(3) مختار، حساني، الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط غير منشورة، جامعة الجزائر، 1985، ص ص 34-38.

أبي زيان واستنجد أبو حمو الثالث بالاسبان لان القبائل امتنعت عن تاييده ونظم حملة مشتركة مع الاسبان واخرج عروج من تلمسان واتباعه بعد حصار دام ستة اشهر⁽¹⁾، وعاد ابو حمو الثالث الى عرشه سنة 1518 بموجب معاهدة مع الاسبان يلتزم فيها بدفع غرامة مالية فثار ضده سكان تلمسان وجاء بعده ابو محمد بن عبد الله بين سنوات 1528-1540 الذي استمر في خضوعه للاسبان وقد تميز عهده بالاضطرابات حيث بدأت بعض المدن تستقل بأمرها مثل تنس والجزائر كما بدأت بعض القبائل تنضم إلى أعدائه كلما هاجموا أراضي المملكة⁽²⁾.

وبحلول سنة 1534 عين الحاكم الاسباني الكوديت على وهران واهتم بايقاف النفوذ العثماني في الغرب الجزائري وكانت شؤون تلمسان تدخل في هذا المخطط، فاغتنم هذا الاخير الحرب الاهلية في تلمسان بين انصار مولاي محمد المسعود المدعم من العثمانيين ومولاي عبد الله المؤيد من الاسبان ليفرض مايراه صالحا في مصلحة بلاده؛ ففي بعض الرسائل المؤرخة سنة 1530 طالب ابو محمد عبدالله من شارلكان ان يلحق تلمسان بملك اسبانيا، غير ان الاسبان دفعوا بمحمد المسعود الى الفرار رفقة عائلته ودخل الكونت الكوديت المدينة ونصب مولاي عبد الله ملكا عليها مقابل تعهده بقتل من يقاتل الاسبان وان لا تهاجم وهران مادام هو العرش⁽³⁾، وبقي حاكم وهران اسابيع في تلمسان يحارب القبائل وينهب ارزاقهم ويأسر اطفالهم وعند عودته الى وهران اضطربت تلمسان من جديد حيث اشتكى وجهائها الى مولاي عبد الله نتيجة الاعمال التي ارتكبها الاسبان في حقهم لكن الملك لم يعرهم اي اهتمام، فغادروا المدينة ليلتحقوا بمحمد المسعود الذي كان انصاره يشنون حملة مناوئة لمولاي عبد الله، والبعض الاخر هاجر الى فاس وخاصة بعدما فرضت الدولة السعدية وجودها⁽⁴⁾.

ان هذه التطورات استدعت الدولة العثمانية الى ضرورة التحرك في الغرب الجزائري حيث جهز حسن اغا حملة ضد تلمسان الا ان الكونت الكوديت خرج من وهران في اتجاه مستغانم فحول حسن اغا حملته ليدعم حمودة بن عودة حليفه في هذه المدينة وهاجم الاسبان في مزهران واجبرهم على التراجع الى وهران، وفي سنة 1547 ضاق اهل تلمسان من حكم ملكهم الذي فرضه الاسبان فارسلوا رسالة الى العثمانيين يطلبون منهم النجدة واقترحوا على حسن باشا ان ينصب نفسه ملكا على تلمسان فسار هذا الاخير نحوها وفي الطريق الرابط بين وهران وتلمسان التقى بجيش الكونت الكوديت الذي كان على راس ستة الاف من رجاله اضافة الى التحام جيش ملك

(1) مولاي ، بلحميسي، «نهاية دولة»، المرجع السابق، ص 34.

(2) عبد الحميد، حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 455.

(3) صالح، عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830 ، ط2، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 70.

(4) مولاي، بلحميسي، «نهاية دولة.....»، المرجع السابق، ص 35.

تلمسان معه، وقبل ان يتصارعا الجيشان جاء مبعوث فرنسي ليخبر حسن باشا بوفاة خير الدين فانسحب هذا الاخير الى تنس ثم عاد الى الجزائر⁽¹⁾.

ومع منتصف القرن السادس عشر استطاع مولاي محمد الشيخ ان يوحد المغرب الاقصى ويوجه جهوده نحو الجهات الشرقية فهاجم ندرومة ثم تلمسان واحتل بعد ذلك مستغانم وكان يطمح الى التقدم الى ماواها ، الا ان العثمانيين بقيادة حسن قورصو وعلي ساردو دحروا جيش السعديين واسترجعوا تلمسان ونصبوا الحسن ابن عبد الله الثاني ملكا عليها إلا أن سيرته القبيحة لقيت استنكارا من قبل أهل تلمسان فجمعوا مجمعا من علمائها الكبار وأعلنوا سنة 1554 خلع الملك الحسن كما أعلنوا عن نهاية دولة بني زيان وبهذا أصبحت الجهة الغربية منطقة حروب قائمة إما بين العثمانيين والأسبان أو بين العثمانيين والمغاربة⁽²⁾.

2-2: الجوسسة الاسبانية في المنطقة الغربية: إن الصراعات الداخلية بين أمراء الدولة الزيانية على الحكم ومحاولات العثمانيين الاستقرار بالجزائر؛ شجعت الأسبان على تطبيق مخطط للنيل من هذه الدولة خاصة والمنطقة الغربية عامة وهذا عن طريق الأعمال التجسسية وقد لعبت بعض القبائل دورا بارزا في ذلك كبني عامر من خلال زعيمهم عبد الرحمن بن رضوان الذي عمل على إضعاف الزيانيين وحملهم على الدخول تحت حماية الأسبان، وكذلك قبيلة كريشتل وبني راشد، فلا غرابة أن أصبح رؤساء القبائل اقوي من الملوك ولا غرابة أن تحالف الأسبان معهم للوصول الى بسط نفوذهم⁽³⁾.

لقد بدأت الاعمال التجسسية الاسبانية على المنطقة الغربية عقب سقوط غرناطة اذ عينت الملكة إيزابيلا حاكم مدينة القلعة" لورينثو دي باديا" في مهمة استطلاعية لأحوال مدينة تلمسان وضواحيها التي لجأ إليها الأندلسيون، فلجأ إليها سنة 1493 متنكرا في صورة تاجر من أهل المدينة واستقر بها لمدة طويلة تمكن من رصد أخبار هامة عن المنطقة وجمع معلومات هامة تساعد على الغزو الذي كان الأسبان بصدد التحضير له فكان تقريره كالآتي: "..... إن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة....."⁽⁴⁾.

غير ان المعلومات المجمعة لم تكن كافية لبدء عملية الاحتلال، ولحسم الموقف تم اختيار ميناءين وهما ميناء هنين ودلس كمرحلة اولى ويرجع سبب هذا الاختيار الى نوعية العلاقة ما بين نائب ملك مايوركا واهالي الميناءين، ولتنفيذ هذه الخطة بعث بالجناسوس " مارتن دو روبلس" على هيئة تاجر لشراء الخيول لكن معلوماته لم تكن

(1) صالح، عباد، المرجع السابق، ص ص 70-72.

(2) احمد توفيق، المدني، «تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين 1530-1554»، مجلة الاصاله، العدد 26، الجزائر، 1975، ص ص 44-45.

(3) مولاي، بلحميسي، «نهاية دولة.....»، المرجع السابق، ص ص 33-34.

(4) جون ب ، وولف، الجزائر واوروبا 1500 - 1830 (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 24.

بالقدر الكافي من الاهمية، وفي هذه الظروف يظهر التاجر الايطالي "جيرونيمو فيانلي" الذي كان على علم باحوال سواحل شمال افريقيا نظرا لتحركاته وممارسته للتجارة عبرها، وكان يعلم حب الملكة ايزابيلا للاحجار الكريمة النادرة؛ اذ قدم لها صليب ذهبي مرصع مقابل ثمن كبير جدا وبعد ذلك التقى بخمينيس وقدم له الماسة نظرا لعلمه ان هذا الاخير كان يريد تنظيم حملة صليبية ضد سواحل شمال افريقيا وبالتالي عرض خبرته عليه فنصحته باختيار المرسى الكبير نظرا لاهمية الموقع كما قدم خريطة طبوغرافية عن كل من وهران والمرسى الكبير⁽¹⁾. وفي سنة 1494 ارسل فرديناند جاسوسا اخر يدعى "فرناندو دي زافرا" الذي كان كاتباً عند الملكين الكاثوليكين وسبق له ان كلف بمهمة مراقبة هجرة الاندلسيين الى سواحل شمال افريقيا، كما سمحت له الظروف بالاطلاع على احوال القبائل الخارجة عن طاعة الزيانيين، وفي نهاية مهمته ارسل هذا الجاسوس تقريرا الى ملوكه يخبرهم فيه عن حالة الفوضى السائدة في مملكة تلمسان، فاستغلت الملكة ايزابيلا هذا الوضع وقررت تنفيذ مشروع الغزو لتلمسان فأعدت جيشاً قوامه 12000 جندي ترأسه "دو تانديلا" الحكم السابق لغرناطة غير ان وفاتها سنة 1504 قد عطل تنفيذ مخططها ولكن وصيتها التي قالت فيها عند إقامتها بمدينة ديل كانبو قبل موتها.....اطلب من ابنتي الأميرة والأمير زوجي أن يهتما بأمر الإيمان المقدس وان يشتغلا بدون انقطاع بغزو إفريقيا وبمحاربة المسلمين في سبيل الدين....⁽²⁾، لم تذهب وصيتها أدراج الرياح بل تكفل بتنفيذها زوجها فرديناند والكاردينال خمينيس وتمكن الأسبان من احتلال المرسى الكبير وهران وفرض سيطرتهم على مدن أخرى.

ثالثا: الاحتلال الاسباني للمرسى الكبير وهران:

3-1 : احتلال المرسى الكبير:

كانت المنافسة بين البرتغاليين والاسبان في التوسع على سواحل المغرب العربي قد تسببت في حدوث خلافات بين البلدين، لولا تدخل البابا لسكندر السادس حيث اسفرت جهوده الى انعقاد مؤتمر في مدينة "توردي سلاس" سنة 1494 اذ تخلى البرتغال عن ملبيلية وغساسنة القريبة منها مقابل منع رعايا اسبانيا من الصيد جنوب بوجادور على سواحل المحيط الاطلسي⁽³⁾، لكن اسبانيا لم تسارع الى تنفيذ سياسة الاحتلال في منطقة نفوذها بعد الاتفاق مع البرتغال وذلك لبروز بعض الاختلافات داخل الاسرة الملكية الحاكمة أي ما بين فرديناند وايزابيلا، لكن تحسس

(1) Fernaud, Braudel, « les espagnols en Afrique du nord », in R.A , n°69, 1928, p :217.

(2) عبد الحميد بن ابي زيان، بن اشنهو، دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1976، ص 14.

(3) صالح، عباد، المرجع السابق، ص 27.

هذه الأخيرة في ملاحقة مسلمي الأندلس جعلها تطالب بالحاح بالتعجيل في تهيئة الظروف لتحضير الحملة العسكرية⁽¹⁾، وقررت الشروع في عمليات الغزو لمملكة تلمسان فاعد لذلك جيشا قوامه اثنا عشرة الف جندي يقوده الكونت "دي تانديلا" الذي كان حاكما على غرناطة ، لكن الموت المفاجئ للملكة إيزابيلا وضع حدا لتلك الاستعدادات لكن حلمها في التوسع في سواحل شمال إفريقيا لم يتوقف.

قام الملك باستدعاء الكاردينال خيمينينس لعقد مجلس استشاري حول الاستعدادات لشن هجوم كاسح على سواحل الشمال الافريقي، الا ان هذه الاستشارة لم تجد صداها لدى الملك فرديناند الذي طلب باعطائه مهلة من الوقت للتفكير بحجة استنزافه لكل الوسائل المادية في الحروب الايطالية وبالتالي فهو يحتاج إلى دعم لتمويل الخطة لضمان نجاحها⁽²⁾، ولتحقيق هذه الغاية فقد تطوع الكاردينال خمينينس من ماله الخاص لتجهيز الأسطول البحري بالإضافة إلى مساعدات الكنيسة بأموالها التي مكنت الاسبان من الإقدام على الغزو وفتح أول ثغرة في جدار سواحل المغرب الأوسط⁽³⁾.

لقد صمم فرديناند على تنفيذ وصية الملكة إيزابيلا للاستيلاء على المرسى الكبير ووقع اختياره على "دون رايون دي قرطبة" قائدا عاما للحملة ووضع تحت امرته جيشا يزيد عن العشرة الاف جندي واسطولا يتكون من سبعة بواخر حربية ومائة وأربعين زورقا من مختلف الأحجام⁽⁴⁾.

غادر الأسطول الاسباني مدينة مالقة في 29 أوت 1505 من قاعدة "كانتال دي فازميليانة" ثم توقف في المرية بسبب الرياح، وقد كان هذا التوقف في صالح الاسبان لان الكثير من المقاتلين الاهالى الذين جاءوا للدفاع عن المرسى الكبير لما علموا بخبر توقف الحملة تفرقوا بعد ان طال انتظارهم؛ وهكذا لم يجد الاسبان في انتظارهم إلا عددا قليلا من المقاتلين هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية تدعمت القوة العسكرية الاسبانية بحامية اراغونية وتوزعت قيادة الجيش على النحو التالي: قيادة المدفعية تحت إشراف "دييغو دي فيرا"، قيادة الحرس تحت ادارة كل من "بيدرو لوبيز دوروسكو" و"دون غونزالو ابورا" بالإضافة إلى الجاسوس الايطالى "فيانيلي" بصفته دليلا للحملة⁽⁵⁾.

(1) يحي، بو عزيز، «علاقات الجزائر مع.....»، المرجع السابق، ص 26.

(2) Camille, Kehl, « oran et l'oranie avant l'occupation francais », in B.S.G.A.O , n° 63, pp :24-25.

(3) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492- 1792 (وثائق ودراسات)، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 96.

(4) Jean, Cazenave, «cervantes a oran 1581», in B.S.G.A.O , n° 43, 1923, p :216.

(5) جون ب، وولف، المرجع السابق، ص 26.

لقد وصل الاسطول الاسباني امام سواحل وهران يوم 11 سبتمبر 1505 وبالضبط في منطقة راس فالكون غرب المدينة حيث بدا الانزال وكانت الخطة العسكرية التي اعتمدها الاسبان في مهاجمتهم المرسى الكبير تتمثل في فتح جبهتين اولهما برية والثانية بحرية ففي الوقت الذي كانت فيه البواخر البحرية ترسل قذائفها المدوية صوب الميناء ؛ كانت بوأخر النقل تنزل الجنود الاسبان على البر.

لقد قاوم اهالي المدينة عملية النزول مقاومة يائسة ورغم ماابدوه من شجاعة فان المدفعية الاسبانية قد اضطرتهم لترك مراكز الدفاع والانسحاب الى داخل المدينة⁽¹⁾، واستمرت هذه المعركة غير المتكافئة ثلاثة ايام متواصلة ؛ اما الحامية الزيانية التي جاءت للدفاع عن المدينة لم تكن تتكون الا من 400 جندي فقط قاومت ببسالة الى ان قتل قائدها فاستسلمت بعد ان فرض الحصار عليها من قبل الاسبان الذين تمكنوا من احتلال القلعة والتحصن فيها، وما ان احكم الاسبان سيطرتهم على هذا الموقع حتي جاءت قوات اخرى من الاهالي من وهران وتلمسان وهنين غير ان مجيئها كان بعد فوات الأوان فانسحبت بعد مناوشات قليلة⁽²⁾. عندئذ اجتمع أهل المدينة وأصحاب الرأي وتشاوروا فيما بينهم فمنهم من رأى استمرارية المقاومة والدفاع عن المدينة والبعض الآخر رأوا أن هذه المقاومة لن تغني عنهم في واقع الأمر شيئا نظرا لكثرة عدد الجيش الاسباني وقوة سلاحه؛ فالأغلبية فضلوا عقد اتفاقية مع الاسبان تضمن لهم الحياة وحرية الانسحاب من المدينة وتم الأمر وعندئذ قرروا الاستسلام⁽³⁾.

لقد أعطى الاسبان مهلة ثلاثة أيام لأهالي المدينة من اجل إخراجها وكذلك بالنسبة للحصون، ولم يسمح لهم إلا بأخذ ماخف من الأمتعة كما فرض عليهم أن يحرروا عبيدهم من المسيحيين قبل المغادرة ، وقد أخليت المدينة في البداية من النساء ثم الرجال ودخلها الاسبان ورفعوا فوقها أعلامهم وأقاموا صلوات الشكر، وما كاد خبر الاستيلاء على المرسى الكبير يصل مسامع اسبانيا حتى غمرتها موجة الفرح والابتهاج فأقيمت فيها الأعياد لمدة ثمانية أيام، أما في المرسى الكبير فقد ذهب القائد الأعلى للجيش الاسباني إلى مسجد المدينة فأمر بتحويله إلى كنيسة" القديس ميكائيل" وأقيم فيها القداس صبيحة 15 جويلية 1505⁽⁴⁾.

وبمجرد تمركز الاسبان بالمرسى الكبير سعوا إلى إقامة علاقات مع اهالي المدينة حتى يتم لهم الحصول على المؤونة، وفتحوا اسواقا تجارية بجانب المدينة من اجل تزويد حاميتهم العسكرية بما يلزمها من المواد الغذائية المتوفرة مقابل الذهب والفضة وهكذا نشأ منذ الوهلة الاولى اول تعاون بين الاهالي والاسبان فوجدوا من يتعامل معهم

(1) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، المرجع السابق، ص 99.

(2) صالح، عباد، المرجع السابق، ص 28.

(3) المرجع السابق، ص 100.

(4) نفسه، ص 98.

مثل امير تنس مقابل تقديم الهدايا ولبس برنوس القيادة ، كما كان من نتائج هذا التعاون هو ان معظم رجال قبائل بني عامر وغيرهم من الاعراب الواقعين تحت دائرة وهران الاسبانية قد خضعوا وسلموا قيادتهم للاسبان واصبحوا لهم اعوانا وجنودا وعيونا.

لقد هز احتلال الاسبان للمرسى الكبير عرش بني زيان المندثر فاغتنم الامير الزياني يحيى الفرصة ونهض ضد الملك ابي حمو الثالث وسيطر على مدينة تنس سنة 1506 غير ان ابا حمو تمكن من استرجاعه الا ان الدعم الاسباني مكن الامير يحيى من الحاق الهزيمة بالملك واستعادة مدينة تنس، في هذه السنة التي انفجر فيها الصراع داخل عرش بني زيان سار قائد المرسى الكبير "دون ديبغو فرنانديز دي قرطبة" الى اسبانيا تاركا القيادة الى "دون رويز دي روكساس" الذي كان يخرج مع جنوده خارج المرسى الكبير ليصل أحيانا إلى جدران مدينة وهران⁽¹⁾.

ولما عاد "دون ديبغو فرنانديز" سنة 1507 الى المرسى الكبير قرر تنظيم حملة عسكرية على مسرغين حيث تقيم قبائل الغرابة ذات الثروة والغنى مستعملا الجيش الذي قدم به من اسبانيا والذي كان من المفروض ان يستعمله في الاستيلاء على وهران على ان هذه الغزوة لم تكن تهدف الى العودة بالغنائم فحسب بل معرفة مدى استطاعة الاهالى في مواجهة الاسبان وكذلك من اجل معرفة المسالك البرية المؤدية الى تلمسان، ففي يوم 06 جوان 1507 غادر "دون ديبغو" المرسى الكبير يجر وراءه كامل الحامية الاسبانية والبالغ عددها حوالي خمسة الاف جندي والكثير من الضباط وكذلك الفرسان وفي الليلة الموالية تسلق جنوده الجبال وما كاد يطلع الفجر حتى حاصر جنوده الدوار الذي كان يقصدونه وبادروا بالهجوم عليه وقتلوا كل من دافع عن نفسه واستولوا على عدد كبير من الاشخاص وقطعان الماشية للتمون باللحم⁽²⁾.

وفي طريق عودة الاسبان الى المرسى الكبير صعب عليهم السير في المسلك الذي سلكوه عند اتجاههم الى مسرغين وبامر من الماركيز "دي كوماريس" انعطف الجيش نحو وهران فوصل الخبر الى الدواوير القريبة من المكان فاندفع الاهالى وفرسانهم وخلصوا قطيع الماشية من يد الاسبان وقد ساعدتهم في ذلك انتشار الضباب حيث منع الاسبان من استعمال اسلحتهم بسبب انعدام الرؤية اضافة الى قدوم اهالى اخرون من وهران ورغم انهم لم يكونوا يملكون سوى العدد القليل من الاسلحة النارية الا انهم استطاعوا ان يحاصروا الاسبان ويجبروهم على التخلي عن اسراهم، وقد حاول الاهالى استثمار هذا النصر واسترجاع المرسى الكبير الا ان مدافع الحصون الاسبانية اجبرتهم

(1) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، المرجع السابق، ص ص 28-29.

(2) نفسه، ص ص 104-105.

على التراجع الى الخلف والاعتصام بوهران، فكانت الهزيمة كبيرة بالنسبة للاسبان لم يمح اثارها الا احتلال وهران بعد سنتين⁽¹⁾.

3-2 : احتلال وهران:

كانت وهران تسيل لعاب القادة الاسبان نظرا لموقعها وجمالها وقربها من المرسى الكبير وخاصة الكاردينال خمينيس الطليطلي الذي كان على اتم الاستعداد لغزوها في حملة يقودها بنفسه، ففي يوم 20 اوت 1508 عينه الملك فرديناند قائدا عاما للحملة العسكرية الموجهة ضد وهران مدعمة بالقائد العسكري "بيدرو نافارو" مع وجود الوحدات العسكرية الاولى بالمرسى الكبير تحت قيادة "مارتيناز".

اجرت الحملة العسكرية الاسبانية في اتجاه وهران من ميناء قرطاجنة في 12 ماي 1509 غير ان هبوب الرياح وتصاعد الامواج جعلها ترسو بالميناء لتنتقل ثانية يوم 16 ماي 1509، كانت هذه الحملة تتكون من عشرة الاف من المشاة واربعة الاف حصان وثمانمائة من المتطوعين بالاضافة الى السفن من نوع "جاليرا" ومراكب النقل وعدد من السفن الصغيرة⁽²⁾.

لقد تم الانزال البحري الاسباني بوهران اثناء الليل حتي لا يتتبع اثره من طرف الاهالي وهذا وفقا لتعليمات اليهودي اشطورة وهو احد مهاجري الاندلس الذين انقذتهم وهران من المحرقة الاسبانية، كان قابضا للمكوس بالمدينة وقد استطاع بتلاعباته ان يكسب ذمة اثنين من قابضي المكوس الذين كانوا يعملون تحت ادارته وهما ابن قانص وعيسى العربي⁽³⁾.

لما علم السكان بالخطر الذي سيستهدف مدينتهم اعتصموا على المرتفعات المواجهة للمناطق الساحلية الممتدة بين المرسى الكبير ووهران ولمنع الغزاة من التوغل إلى المدينة رموهم بالحجارة والسهم ودفعوا عليهم الصخور الكبيرة الحجم من اعالي المناطق التي كانوا يتموقعون بها، غير أن التفوق العددي للاسبان وقوة سلاحهم دفع باهالي المدينة المقاومين الى التراجع وراء أسوار وأبواب المدينة التي تجمعت حولها الجيوش الاسبانية وحسب الاتفاق المبرم بين هذه الأخيرة واليهودي "اشطورة" فقد فتح هذا الأخير أبواب المدينة ليتدفق الاسبان الى داخل المدينة يقتلون

(1) صالح ، عباد، المرجع السابق، ص 29.

(2) عبد الحميد بن ابي زيان، بن اشنهور، المرجع السابق، ص 50.

(3) Jean,Cazenave,« les gouverneurs d'oran pendant l' occupation espagnole de cette ville 1509-1792»,
In R.A,n° 71,1930,p :257.

ويذبحون ويدمرون من يصادفهم في طريقهم حتى ان الكاردينال خمينيس الذي كان متعطشا لدماء المسلمين لم يستطع ضبط دموعه وهو يشاهد بشاعة ذلك المنظر وشناعته⁽¹⁾.

لقد بادر الكاردينال بتحويل مساجد وهران الى كنائس فاصبح المسجد الاعظم كاتدرائية واحتفظ لنفسه باعلام المسلمين والاسلحة الثمينة والكتب الفنية الغالية وحتى مصباح المسجد الاعظم لم ينجو من سطوته حيث حوله الى اسبانيا⁽²⁾، اما غنائم الاسبان فقد قدرت بـ 500 الف ايكو ذهبي استفاد منها الضباط العسكريون والجنود، اما دولة بني زيان فقد نكست اعلامها واعترف ابو حمو الثالث بتبعيته لاسبانيا وتعهد بان يدفع لها سنويا جزية مقدارها 12 الف دوكة و12 فرسا من جياذ الخيل⁽³⁾.

كما كان من نتائج الاحتلال الاسباني لوهران أن فك الاسبان سراح العديد من الأسرى المسيحيين الذين كانوا بالمدينة، كما قام الكاردينال خمينيس بمكافأة اليهودي اشطوره نظير تعاونه مع الاسبان وإبقائه في وظيفته مكاسا في الأسواق، وبقرار ملكي أصبح "دون ديقو فرنانديز دي قرطبة" أول "قائد عام لمملكة تلمسان وتنس وحاكم مدينة وهران والمرسى الكبير" وكمكافأة له وبامرية ملكية "...يدفع لديقو فرنانديز نتيجة تعيينه قائدا عاما لمملكة تلمسان وتنس 3630 دوكة اسبانية في اليوم طيلة مدة خدمته وإقامته بوهران، ويتقاضى سنويا 550000 دوكة نتيجة تعيينه حاكم وهران والمرسى الكبير، 300000 دوكة لمنصب الحاكم العسكري لوهران وقصبتها وبرج القصر الأحمر و 250000 دوكة لمنصب الحاكم العسكري للمرسى الكبير...."⁽⁴⁾.

وتذكر بعض الروايات بان سبب احتلال الاسبان لوهران هو غضب و دعوة الشيخ الهواري لما قتل الاهالي ولده ظلما فقال في احد قصائده⁽⁵⁾:

أين من وهران به سادا لولا أن باعهم بيع أرخيص
لما أن مسوه بالعطبا عطبوا منه الأهل والجورا

وكان الشيخ الهواري محل غضب عند الملك الزياني أبو محمد عبد الله الذي كتب إلى قائد وهران يأمره بحبس الشيخ أو قتله فكتب قائد وهران بذلك إلى قائد بني راشد احمد بن أبي غانم فعلم الشيخ بذلك ورحل من وهران

(1) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة....، ص 111.

(2) نفسه، ص 112.

(3) Henri Leon ;Fey, histoire d'oran avant pendant et apres la domination espagnole, typographie adolphe , freres editeur,oran,1858,p :72-73.

(4) Jean,Cazenave, op.cit,p :258 et p :261.

(5) احمد بن محمد بن علي بن سحنون، الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني(تحقيق وتقديم: المهدي البوعديلي)، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، ص 445.

غاضبا ودعي عليهم قائلا: "شوشونا شوشهم الله من البر والبحر"⁽¹⁾، كما ذم وهران بهذه القصيدة: "وهران الفسقة بعثك بيع الموافقة للنصارى ثم اللقاء حتى يوم البعث"⁽²⁾.

لقد كان للاحتلال الاسباني لوهران تأثيرا بالغاً في نفوس أهلها وعلمائها والغرب الجزائري عامة بحيث ذكرها المحدثين في العديد من القصائد يخاطبون أهلها بضرورة الدفاع عن بلادهم ويأمرونهم باستقدام العثمانيين وهذا ما نستنتجه من قصيدة الشيخ محمد التواتي⁽³⁾ :

أيا أهل وهران انظروا نظرة شفقة * لبلدكم قبل أن تتسردت
وقبل مجئ المنشآت ببحرها * وأي قلوب عندها مستقرة
ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم * ولا البدو بل تحميه أهل الجزيرة
فلا أنكى للكفار منهم وأهم * لنصرة دين الله أعظم نصرة
عليكم بهم فاستعملوا في وصولهم * إليكم ذكى عقل وألطف حيلة

ولم يقتصر الاسبان على المرسى الكبير ووهران فحسب بل امتدت ايديهم الى المناطق البعيدة فغزوا غمرة بوادي الملك سنة 1513 وأغاروا على سبخة وهران فاخضعوا الونازرة سنة 1514 ثم على قبيلة غيزة ثم قلعة بني راشد سنة 1518 ثم قبيلة اولاد علي سنة 1523 ثم تلمسان وغريس والكرط سنة 1543 وفي هذا الصدد يقول ابن سحنون الراشدي: ".....وتغلبوا على جميع أعمالها من بلاد بني عامر إلى قلعة بني راشد وما يليها، وتجاوزت غاراتهم بلد غريس، وخرّبوا مدشر الكرط قرب معسكر واسروا أهله، وضربوا الضرائب على أهل جبل هواره من بني شقران.....وكانت ارض البطحاء وسرات وملاتة وتليلات كلها لهم يزرعون بها المزارع ويستعبدون أهلها طوعا وكرها....."⁽⁴⁾.

لقد استعان الاسبان في حكمهم للمرسى الكبير ووهران والغرب الجزائري بصفة عامة على بعض العملاء العرب يختارونهم من القبائل المجاورة للبلدتين كانوا يسمونهم عرب السلم "moros de Paz" الذين يعتمد عليهم بكل آمان والعرب معاونون للاسبان "mogataces" ، والعرب المخبرون الادلاء "los adalides"، أما العرب الآخرون

(1) احمد بن محمد بن علي بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 447.

(2) Walsin, Esterhazy, la domination turque dans la regence d'alger, librairie de charles gosselin, paris, 1840, pp : 102-103

(3) المصدر السابق، ص 439.

(4) نفسه، ص 438.

فكانوا يقسمونهم إلى قسمين: القبائل المستعدة للصلح او تكاد تدعى له " moros inclanados a la Paz"، والقبائل المعادية للحكم الاسباني "los traidores"⁽¹⁾.

كانت خطة الاسبان في البداية عند احتلالهم للمرسى الكبير وهران هي الدفاع عن هاتين المدينتين وإبعادهما عن العثمانيين^(*) والحفاظ على استقلالية مملكة تلمسان المحمية من طرفهم؛ لذلك اهتموا بإقامة المراكز المحصنة "presidios" في أهم موانئ الغرب الجزائري مع تنصيب مدافع تتحكم في كل تحركات نشاط العثمانيين في الحوض الغربي للبحر المتوسط أو العاملين ضد الممتلكات الاسبانية بهذه المنطقة خاصة الموريسكيون الذين لم يهاجروا بعد إلى شمال إفريقيا والذين تفننوا في قبض الأسرى المسيحيين وحرق الكنائس الاسبانية والسطو على أديرة الرهبان⁽²⁾.

كانت وهران والمرسى الكبير من بين المستعمرات الاسبانية في شمال إفريقيا ذات الأهمية البالغة، يعيرونهم الاعتناء نظرا لموقعهما الاستراتيجي وكانوا يسمونهم "باب اسبانيا"، ومن هذا المنطلق فان تسيير المدن التي خضعت للاسبان تركت للاهالي ماعداهما⁽³⁾ اللتان طبق فيهما نظاما ملكيا شبيها بما كان موجودا في اسبانيا.

رابعا: فرض الحماية الاسبانية علي بعض المدن الساحلية الغربية:

بعد استيلاء الاسبان على المرسى الكبير وهران وجدت بعض مدن الغرب الجزائري نفسها مجبرة على توقيع معاهدات التبعية للاسبان ومن بين المدن التي أعلنت خضوعها للاسبان ماييلي:

4-1: تنس: كانت مدينة تنس أول المدن في الغرب الجزائري التي أعلنت تبعيتها للاسبان، فبعد احتلال الاسبان للمرسى الكبير وبينما كانوا يعدون أنفسهم لاحتلال وهران، وقعت أزمة داخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة في تلمسان، فعلى اثر وفاة الملك محمد السابع المعروف بالثابتي سنة 1503 تولى عرش بني زيان السلطان أبي زيان الثالث الملقب بالمسعود لكن عمه ابا حمو الثالث المعروف بـ "بوقلمون" ثار عليه واخذ منه العرش وسجنه، فأعلن شقيق الملك المخلوع يحيى الثابتي الثورة ضد عمه مستنجدا بالاسبان الذين نصبوه حاكما على تنس على أن يكون تحت نفوذهم ويلتزم بدفع الضرائب لهم مقابل تزويده بقوات عسكرية تساعد على تأمين موقعه ضد عمه

(1) عبد الحميد بن ابي زيان، بن اشنهو، المرجع السابق، ص 51.

(*) كانت محاولات العثمانيين في الاستيلاء على المرسى الكبير وهران كثيرة ومتعددة ومنها: محاولة الاستيلاء على وهران سنة 1604 ومحاصرتها عبر البر والبحر سنة 1639، المرسى الكبير سنة 1675، حصار المدينتين سنة 1705 وفتح وهران الأول سنة 1708.

(2) جون ب، وولف، المرجع السابق، ص 26 و ص 29.

(3) نفسه، ص 26.

الذي جهز حملة عسكرية سنة 1508 لتأديبه لكن جيش تلمسان عجز على الصمود والاستمرار على القتال أمام قوة جيش تنس المدعم من الاسبان ورجعت جموعه إلى تلمسان⁽¹⁾.

4-2 : مستغانم: لم تشأ مستغانم ان تقع فريسة للاسبان بعد احتلالهم للمرسى الكبير وهران بسبب موقعها الاستراتيجي وخصوبة أراضيها ووفرة المياه وقرب مينائها من ميناء ارزو وهران، ففي 26 ماي 1511 اجبر شيوخ المدينة وأعيانها على توقيع معاهدة الاستسلام مع حاكم وهران⁽²⁾ يلتزمون بموجبها بالشروط الآتية الذكر⁽³⁾:

- إن جميع سكان ومرابطي وشيوخ مستغانم ومزرغان في خدمة الملك والمملكة بكل أمانة وإخلاص.
- الالتزام بدفع الضرائب والهدايا لامين مخزن وهران في بداية شهر جوان من كل سنة كالتي كانوا يدفعونها لمملكة تلمسان.
- إطلاق أهل مستغانم ومزرغان لسراح جميع الأسرى المسيحيين.
- الالتزام بتموين وهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية وعدم السماح بشحن أو تفريغ أي سفينة بميناء مستغانم إلا بإذن من ملك اسبانيا.
- إعلام أهل مستغانم ومزرغان للقائد العام لوهران بأي عمل يقومون به فيما يتعلق بأمن وهران في أوقات السلم والحرب.

وفي حالة الالتزام بما سبق تحديده من طرف سكان مستغانم ومزرغان سواء العرب واليهود والشيوخ والمرابطون فان ملك اسبانيا يلتزم بدوره على حمايتهم والدفاع عنهم من أي خطر يأتيهم من البر والبحر ولا يرغمهم على اعتناق الديانة المسيحية والحفاظ على ممتلكاتهم وديارهم.

وظلت مستغانم في حالة التزام بهذه المعاهدة واعتقد الاسبان بأنهم وضعوا بين الغرب الجزائري ومدينة الجزائر العثمانية منطقة سلام وامن لهم، إلا أن المعركة الحاسمة التي قلبت الأوضاع وقضت على أحلام اسبانيا بمستغانم هي معركة "الكونت دالكوديت" سنة 1558 الذي تحصل على موافقة اسبانيا لتنفيذ مشروعه القاضي بالاستيلاء عليها فحاول مرتين إلا أنها باءت بالفشل، وفي المرة الثالثة استعد لها أحسن استعداد فذهب بنفسه لقرطاجنة واختار الجيش الذي يرافقه اضافة الى العرب المتحالفون معه، الا ان القوات العثمانية بقيادة حسن باشا ابن خير الدين ادركت الموقف وحاصرت الجيش الاسباني وتحول الاهالي الذين كانوا بجانب الاسبان إلى الصف العثماني،

(1) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، المرجع السابق، ص 108-109.

(2) «Elie, De la primaudie,» documents inedits sur l'histoire de l'occupation espagnols en afrique 1506-1575»,⁽²⁾ in R.A,n° 19,1875,p :73 .

(3) المرجع السابق، ص 147-151.

فانسحب الاسبان من مستغانم ومزرغان وقتل الكونت دالكوديت كما وقع ابنه "دون مارتين" أسيرا في قبضة العثمانيين إلا أن حسن باشا أطلق سراحه وسمح له بأخذ جثة أبيه إلى وهران⁽¹⁾.

وقد كان لانتصار حسن باشا على الاسبان في مستغانم أثارا بالغة حيث أوحى هذا الانجاز المئات من القصائد الشعرية حيث خصه الشاعر الأخضر بن خلوف قصيدة طويلة تحدث فيها عن الطريق الذي سلكه حسن باشا عند خروجه من الجزائر في اتجاه مستغانم والقبائل التي شاركت في هذه المعركة ومنها قبائل سويد وبني راشد ومغراوة، وقد اخترنا منها مايلي⁽²⁾:

ياسايلني عن طراد الروم * قصة مزرغان معلومة

ياسايلني كيف ذا القصة * ما بين النصراني وخير الدين

3-4 : تلمسان: لقد عرفت الدولة الزيانية في أواخر عهدها متاعب كثيرة منها خارجية تتمثل في المحاولات المتكررة لسلطين المغرب الأقصى السيطرة عليها ضف إلى ذلك الخطر الاسباني الذي وصل إلى حد التلاعب بمصير عرش بني زيان، أما الداخلية فتتمثل في الصراع بين الملوك الزيانيون على كرسي العرش، فهذه الأوضاع اوحث العشرات من القصائد والنظم فعبد الرحمن المجدوب وصفها اصدق وصف قائلا⁽³⁾:

تلمسان درسي قوية فيها يتهرسوا من المداري

في زنقها ما بقاو من الدراري

لقد ظل الاسبان في وهران حريصين على إبقاء ملوك تلمسان موالين لهم خاصة بعد توقيعهم لمعاهدة سارية المفعول لمدة خمسة سنوات بداية من 20 جوان 1511 وكذلك قبول ملك تلمسان محمد الخامس بن محمد الثابتي الخضوع لسيادتهم سنة 1512؛ فأيدوا كل أمير زياي تعاون معهم ضد منافسيه، ومن حين لآخر كان الاسبان يشنون الغارات العسكرية على تلمسان لإزاحة الأمراء المعادين لهم والمتعاونون مع العثمانيين وبالتالي أصبحت هذه المدينة معمعة هوجاء بين العثمانيين والاسبان والزيانيين على حد تعبير الأستاذ احمد توفيق المدني⁽⁴⁾.

لقد تجدد الصراع العائلي على الحكم في تلمسان؛ ففي عهد أبي حمو الثالث (1528-1516) الذي اتبع نفس سياسة أخيه بمهادنة الاسبان ضد العثمانيين فقام بسجن أخيه أبي زيان فعندئذ تحزب ضده أنصار أخيه المسجون

(1) المهدي ، البوعيدلي، « اضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني»، مجلة الأصاله، العدد 08، 1972، ص 283.

(2) نفسه، ص 284.

(3)

Walsin,Esterhazy,op.cit,p :101.

(4) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، المرجع السابق، ص 187.

واستنجدوا بعروج فتوجه هذا الأخير إلى تلمسان سنة 1517، وفي طريقه نظم وبسرعة فائقة حامية عسكرية في تنس ووضعها في حالة تأهب عند قدوم أي هجوم معاكس من وهران ثم مر بقلعة بني راشد ونصب أخاه إسحاق على رأس حامية عسكرية أخرى لضمان اتصالاته؛ وعند وصوله إلى تلمسان لم يتلقى أي مقاومة وأطلق سراح أبي زيان ونصبه في الحكم بينما فر أبو حمو الثالث إلى وهران لطلب حماية حاكمها الاسباني⁽¹⁾، إلا أن الجند العثماني الذي كلف بضمان الأمن أغلظ في معاملة سكان تلمسان مما أدى إلى غضبهم وتعصبهم ومطالبتهم برحيل أبي زيان ووقعت الفتنة من جديد⁽²⁾؛ هذا ما أدى بعروج لان يقدم على قتل الملك أبي زيان إلى جانب عددا كبيرا من أفراد عائلته ورميوا في حوض ماء كما قضى جنوده على بعض سكان المدينة⁽³⁾، كل هذه الأحداث أدت إلى امتعاض التلمسانيين وميلائهم إلى كفة الاسبان؛ ويذكر "فاي" أن احد شيوخ ضواحي تلمسان الجبليين يدعي "بورقة" توجه إلى وهران لطلب المساعدة العسكرية من الحاكم الاسباني لمحاربة عروج وسلم له 32 طفلا من أبناء الأعيان والنبلاء كرهائن إضافة إلى الخيم الكبيرة الحجم بناء على طلب الاسبان⁽⁴⁾.

لقد استجاب الحاكم الاسباني لوهران الماركيز "دي كوماريس" لنداءات سكان تلمسان وأرسل تقريرا إلى الملك الاسباني يدعوه فيه إلى ضرورة ضم تلمسان لمملكته كما طلب مساعدات عسكرية للقيام بذلك، فأمر ملك اسبانيا شارلكان "كارلوس الخامس" حاكم وهران بان يستعمل كل إمكانياته لإرجاع أبي حمو الثالث إلى عرش تلمسان وإبعاد خطر التوسع العثماني على أنقاض مملكة بني زيان⁽⁵⁾، ووافق على تزويده بجيش يتألف من عشرة آلاف جندي، ففي المرة الأولى أرسل حاكم وهران جيشا يتكون من أكثر من 600 جندي ومنح قيادته للقائدين الاسبانيين "ريجاس" و"ارنالت" لمساعدة قوات شيخ قلعة بني راشد التي تعرضت للتفكيك من قبل القوات العثمانية ولم تنجو منها إلا فئة قليلة فرت إلى وهران؛ وهذا مادفع حاكم وهران لاعادة المحاولة للمرة الثانية بقيادة القائد "دون

(1) Haedo, Diego de, « histoire des rois d'alger, traduit par H.D Grammont », in R.A , n°24-25, 1880-1881, pp:272- 273 .

(2) احمد توفيق، المدني، «تلمسان بين الزينيين.....»، المرجع السابق، ص 43.

(3) Faure, Biguet, histoire de l'afrique septentrionale sous la domination musulmane, henri charles la vauzelle, Paris, 260.

(4) Henri Leon, Fey, op. cit, p :80.

(5) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، المرجع السابق، ص 189.

مارتينز دي ارغوت" على رأس ثلاثة آلاف جندي إلى قلعة بني راشد رفقة أبو حمو الثالث وقاموا بفرض حصار عسكري على القلعة وتمكنوا من الاستيلاء عليها والقضاء على الحامية العسكرية العثمانية المرابطة بها والتي كان على رأسها إسحاق أخ عروج⁽¹⁾ الذي قتل غدرا سنة 1518 وهو في طريقه إلى تلمسان للالتحاق بعروج.

ولما وصلت القوات الاسبانية إلى تلمسان والمدعمة من طرف بعض الاهالي، بقيت فرقة عسكرية اسبانية ثانية في منطقة رشقون وذلك وفق مخطط مدروس وسارت نحو تلمسان من طريق آخر فاجتمعت الفرقتان وضربوا حصارا عسكريا على المدينة دام ستة أشهر؛ ونظرا لشدة القصف المدفعي الاسباني اضطر عروج إلى الإيواء داخل قلعة المشور وكان بإمكانه أن يواصل الدفاع عن المدينة في حالة عدم إيجاد السكان وسيلة لفتح أبوابها للاسبان⁽²⁾، وأمام عدم وصول الدعم من ملك فاس الوطاسي تنفيذا لاتفاق عقد بينهما اضطر عروج إلى الانسحاب من قلعة المشور رفقة بعض جنوده الأوفياء له وصديقه ابن القاضي وهربوا إلى الريف المحيط بتلمسان فتعقبته القوات الاسبانية تحت قيادة الفارس "دون قارسيا دي تينيو" واستمات في الدفاع عن نفسه إلى أن سقط ميتا بالسيف في شهر ماي 1518 على ضفاف "وادي المالح" وفصلت رأسه عن جسده وأرسلت رفقة ملابسه إلى حاكم وهران⁽³⁾، ثم إلى اسبانيا حيث صنعت منها أقمشة دينية وضعوها في دير "سانت خيروم" بقرطبة كتذكارة يفتخرون به أمام شعبهم كانوا يسمونها "شابا بربروس" أي ثوب بربروس ومنح الفارس الاسباني الذي قتل عروج شهادة الاعتراف بجميل الأمة من طرف ملك اسبانيا⁽⁴⁾.

إن مقتل عروج سمح للجيش الاسباني الدخول إلى تلمسان وتعيين أبي حمو الثالث ملكا عليها وأملوا عليه معاهدة أخرى في 13 سبتمبر 1518 يكون ملزما بموجبها على دفع ضريبة سنوية قدرها 12 ألف دوكة والمقابل يكون الملك محميا من طرف الاسبان.

وفي عهد الملك ابي محمد عبد الله بن محمد الثابتي (1528-1540) تعرضت تلمسان إلى حملة اسبانية أخرى بقيادة "الونسو مارتينيز دي اونجيلو" مصطحبا معه عبد الرحمن بن رضوان احد أعيان قبيلة بني عامر والذي كان يريد تنصيب حفيده على ملك تلمسان والانتقام من بني راشد؛ ولهذا الغرض اتصل بالاسبان فقبلوا مساعدته فانتقل إلى وهران رفقة حفيده فوافق الكونت دالكوديت على تزويده بقوة عسكرية تتألف من 600 جندي

Henri Leon, Fey, op. cit, p : 81.

Faure, Biguet, op. cit, p : 261.

Ibid, p : 81-82.

(1)

(2)

(3)

(4) عبد الحميد بن ابي زيان، بن اشنهو، المرجع السابق، ص 80.

بالإضافة إلى القطع الصغيرة للمدفعية⁽¹⁾، وكان ملك تلمسان قد سلم قيادة جيشه للمنصور بن بوغانم زعيم قبيلة بني راشد؛ فخرج لمنع الاسبان من التوغل نحو تلمسان وبدا القتال بين الطرفين حيث تمكن فرسان بني راشد من التغلغل داخل المعسكر الاسباني وتشيتت قوتهم وخوفا من الهلاك اضطر مارتينيز الى اللجوء للتفاوض مع قائد بني راشد طالبا العودة رفقة جيشه بسلام الى وهران، لكن المنصور ادرك نية الاسبان ربح الوقت ريثما تصل المساعدات من وهران فتقدمت قواته داخل التحصينات الاسبانية وألحقت بها هزيمة نكراء⁽²⁾.

وعندما توفي ابي محمد عبد الله سنة 1540 خلفه في الحكم ابنه ابو عبد الله محمد او مايعرف بمحمد السابع والذي اشتهر بمولاته للاسبان فثار عليه اخوه ابي زيان احمد سنة 1542 المدعم من طرف حسن باشا بن خير الدين وافتك منه الحكم وطرده من تلمسان فالتجأ الى وهران مستجيرا بالاسبان ووضع نفسه تحت حمايتهم⁽³⁾، ولهذا الغرض قرر دالكوديت على غزو تلمسان بنفسه فشرع في تنظيم حملة كبيرة خرجت من وهران سنة 1543 تتألف من 14 الف جندي و500 فارس والتقى بقوات قائد بني راشد عند المكان المسمى "شعبة اللحم" بالقرب من عين تموشنت وتصادم الجمعان لكنه لم يتمكن من وقف زحفهم⁽⁴⁾.

وفي يوم 05 فبراير 1543 واجه ابي زيان الكونت دالكوديت عند اسوار المدينة في معركة عنيفة اجبر على ائرها ابا زيان الانسحاب مع جنوده الى منطقة انغاد ودخلت جموع الاسبان مدينة تلمسان وامعنوا في نهبها وانتهاك حرمتها واعتلى من جديد العرش ابي عبد الله محمد وابرم معاهدة مع الاسبان في 26 فبراير 1543 أعلن فيها صراحة ولاءه وتبعيته للاسبان والتي جاء فيها مايلي⁽⁵⁾:

- اعتراف ملك اسبانيا بصدائقة لأبي عبد الله محمد له وتحالفه معه.
- التعهد بدفع 04 آلاف دويلة سنويا للاسبان.
- الاستفادة من مداخيل باب تلمسان إذا فاقت 04 آلاف دويلة.
- التعهد بإرجاع الأسرى المسيحيين الذين هم في تلمسان
- عدم القبول بابين رضوان وحفيده في وهران وان بقوا يعاملون كأسرى.
- اكتفاء الاسبان بمدن الجزائر وشرشال وتنس فقط بينما المدن الداخلية تبقى تحت تصرف ملك تلمسان.

(1) Chantal, De la veronne, oran et tlemcen dans la premiere moitie de 16 siecle, geuthner, paris, 1983, pp :98-99.

(2) Fernaud, Braudel, «les espagnols et l'afrique du nord», in R.A , n° LXIX , 1928, p370.

(3) احمد توفيق، المدني، «تلمسان بين الزيانيين.....»، المرجع السابق، ص 43.

(4) Faure, Biguet, , op. cit, p : 274.

(5) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، المرجع السابق، ص ص 258-259.

- بقاء المعاهدة سارية المفعول لمدة 10 سنوات

لقد ثار سكان تلمسان عندما علموا بتفاصيل المعاهدة وطالبوا بعودة أبي زيان إلى الحكم فقام هذا الأخير بمحاصرة المدينة فخرج إليه أخوه أبو عبد الله وقاتله خارج المدينة وانتصر عليه ولكن أثناء عودته إلى تلمسان أغلق السكان أبوابها في وجهه واستدعوا أبا زيان ليحكمهم واستقبلوه بحفاوة كبيرة⁽¹⁾، فأسرع أبو عبد الله محمد إلى وهران لطلب المساعدة مرة ثانية من الكونت دالكوديت؛ لكن هذا الأخير لم يتردد في الاستجابة له فخرج على رأس جيش يتألف من 2000 جندي بالإضافة إلى القطع المدفعية فتوجه إلى معسكر عبر وادي تليلات حيث كانت قوات أبي زيان مرابطة هناك وجرت المعركة بين الطرفين وكانت الغلبة فيها لصالح جيش أبي زيان، مما اجبر دالكوديت على الانسحاب وفي طريقه إلى وهران تعرض إلى هجوم آخر شنه عليه سكان منطقة مديوني وتمكن أتباع أبي زيان من القبض على أبي عبد الله فقتلوه وحملوا رأسه لأخيه بتلمسان⁽²⁾.

لكن خطرا جديدا كان ينتظر مملكة تلمسان وينتظر الملك أبي زيان ويتمثل في تدخل الأشراف السعديين سنة 1550 في شؤون المدينة حينما حاول محمد الشيخ بسط نفوذه عليها لكن قوات حسن بن خير الدين من طرده في السنة الموالية 1551، ولما وصلت تلمسان إلى هذه الحالة قرر حسن بن خير الدين أن يضع حاكما عثمانيا دون أن يشرك إلى جانبه أي أمير زياتي وان يترك فيها حامية من الجزائر وبذلك وضع حدا لحكم الأسرة الزيانية وأصبحت تلمسان عثمانية.

خامسا: تبعية بعض قبائل الغرب الجزائري للاسبان:

تعود جذور علاقة قبائل الغرب الجزائري بالاسبان عقب احتلال الاسبان للمرسى الكبير سنة 1505؛ عندما فتح الاسبان سوقا تجاريا بجوار المدينة من اجل تزويدهم بما يحتاجونه من المحاصيل الزراعية والحيوانية مقابل ماكان عند الاسبان من الذهب والفضة، لكن جماعة المسلمين اعتبرت أولئك المتعاونين خونة وعاملتهم معاملة العداء وأخذت توجه ضدهم الغارات والهجوم بصورة دائمة وقد استمر ذلك الموقف إلى غاية احتلال الاسبان مدينة وهران⁽³⁾، حيث سيزداد اهتمامهم لكسب ود العرب القاطنين حول المدينة مستعملين مختلف الأساليب والطرق، وهذا ما أدى ببعض القبائل إلى إعلان تبعتها مباشرة للاسبان مقابل توفير الأمان.

(1) Francisco, De la cueva, «guerre de tlemcen, traduction de camille brunel», in B.S.G.A.O, n°10, 1891, p: 379.

(2) Paul, Ruff, la domination espagnole a oran sous le gouvernement du conte d'alcadaute 1534-1558, leroux, Paris, 1900, p: 110.

(3) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، المرجع السابق، ص ص 101-102.

لقد كان شيخ بني عامر عبد الرحمن بن رضوان أول من انضم الى الاسبان بعد تأكده من انهزام العثمانيين ومقتل عروج بالقرب من وادي المالح، واستمر التحالف بين بني عامر والاسبان لمدة طويلة وهذا مايمكن استنتاجه من قصائد ونظم الاستهجان التي الفت في حق بني عامر وكذلك الرسائل المتبادلة بين هذه القبيلة والاسبان والتي يعود تاريخها إلى سنة 1535⁽¹⁾.

لقد تمكن الاسبان في الغرب الجزائري إلى توسيع نفوذهم خارج المرسى الكبير ووهران في الشرق والغرب والجنوب وهذا ما يؤكد تقرير الحاكم الاسباني ارامبورو الذي جاء فيه: «..... كان يسيطر الاسبان قبل انسحابهم الاول من وهران سنة 1708 على منطقة تمتد غربا الى وادي تلمسان علي بعد 14 فرسخا من وهران وتمتد شرقا الى 20 فرسخا اي الى ما قبل الوصول الى الشلف بفرسخين وتمتد الى الجنوب الى ابعد من وادي سيق الى المكان المعروف باسم وادي مكرة على بعد 20 فرسخا من وهران ويستثنى من هذه المنطقة مدينتا مزغران ومستغانم.....»⁽²⁾.

لقد حاول عبد القادر المشرفي ان يعطي تحديدا عدديا للقبائل المتعاونة مع الاسبان في الغرب الجزائري دون ان يركز على مناطق تواجدها؛ وقد أكد عليها في سرده لبعض الاحداث التاريخية وذلك نتيجة لغلو هذه القبائل في معاضدتها للاسبان دون غيرها وهذه القبائل هي : كريشتل-شافع-حميان- غمرة-اولاد عبد الله- اولاد علي- الونازرة.

5-1 : قبائل كريشتل:

نسبة الى جددهم كريشتل بن محمد بن راشد بن محمد بن ثابت بن مندليل بن عبد الرحمن المغراوي⁽³⁾، اصل مسكنهم قرب مصب نهر الشلف ثم انتقلوا الى مزغران في هجرة ثانية ومنها الى ارض متوعرة كانت مرتعا ومسرحا لقبيلة بني زيان ثم الى سيرات الواقعة شرق مستنقعات المقطع شمال المحمدية⁽⁴⁾، اشتغلوا بالزراعة والتجارة وبلغ عددهم حوالي التسعين دوارا⁽⁵⁾، وهم فرقة من البربر من صنهاجة وعندما ضعف حالهم وزالت شوكتهم وخمدت نارهم بالدولة الزيانية اجلوهم منها وسكنوا بها في القرن الثامن الهجري ولما استقروا بها بنوا قرية صغيرة

(1) Charle,Feraud,« lettre arabes de l'époque de l'occupation espagnole en algerie»,in R.A,n°17,1873,p :318.

(2) Josephe de,aramburu,oran et l'ouest algerien au 18^e siecle(presentation et traduction De korso et epalsa),BN, Alger,1978,p p :10-11.

(3) عبد القادر، المشرفي، بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كبني عامر(تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم)، بدون دار نشر، بدون تاريخ، ص 13.

(4) حنيفي، هلايلي، «عملاء وجواسيس الاسبان في بابلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر»، مجلة الحوار الفكري، العدد06، 2007، ص 147.

(5) المصدر السابق، ص 13.

تحمل اسمهم محصنة بالجبال من جهة البر ولا طريق لها الا من جهة صعبة وبها عيون عذبة منهمرة مياهها من تلك الجبال.

كان شان قبيلة كريشتل مع الاسبان جلب الاخبار وتغطيس الناس، وكانوا يقومون بهذه الاعمال رغبة في جمع المال، وقد ادت صلاتهم بالاسبان الى الاستقرار بوهران حذو البرج الاحمر وساحة خنق النطاح في حالة حصار المسلمين لهم، وكانت لديهم زوارق يسافرون فيها من مداشرهم الى وهران اذا اشتد عليهم الامر وسدت عليهم الطرقات البرية حملون فيها للاسبان مختلف الخضر ونحوها وكان الاسبان لا يقطعون عنهم في البحر لاخذ ما يفتقرون اليه من عندهم، وكان من الكرشتليين بعض الاعين للنواحي الشرقية والقبلية⁽¹⁾.

5-2: قبائل شافع:

وهم بطن من بطون بني عامر التي بالمغرب، وذلك ان بطون بني عامر بن زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثلاثة لاغير⁽²⁾:

البطن الاول: هم شافع بن عامر بن زغبة الهلالي وفرقهم اربعة: الشقارة نسبة لشقرة بن شافع بن عامر بن زغبة، واولاد مطرف ويقال لهم "المطارف" نسبة لمطرف بن شافع بن عامر بن زغبة، واولاد صالح ويقال لهم "الصوالحية" نسبة لصالح بن شافع بن عامر بن زغبة واولاد بالغ نسبة لبالغ بن شافع بن عامر بن زغبة الهلالي.

البطن الثاني: هم بنو يعقوب الذين تنتسب اليهم ارض اليعقوبية وفرقهم خمسة عشر فرقة: ذوي منيع، الكرايش، اولاد رداد، اولاد عطاف، اولاد هلال، اولاد داود، اولاد غانم، اولاد سليمان، اولاد سعيد، اولاد عثمان، اولاد سليم، اولاد ساسين اولاد سعيد الصغير، اولاد هجر.

البطن الثالث: هم بنو حميد وفرقهم ستة وستون فرقة مختلفة.

تعد قبيلة شافع القبيلة الثانية الموالية للاسبان وقد اقتصررت موالاتها على الانخراط في السلك العسكري فقط حيث عملوا كجنود مرتزقة وتقوى بهم الاسبان فكانوا عيونهم المبصرة وجنودهم الهائلة الماكرة وذلك لباسهم الشديد وقتالهم العنيد.

(1) حنيفي، هلايلي، المرجع السابق، ص 144.

(2) عيد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 13-15.

5-3: قبائل حميان:

هم قبيلة عظيمة نسبة لجدهم حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة الهلالي سكنوا اول الامر بارض الحفرة من سهل ملاتة ثم اقتطعهم العثمانيون ارضا بالغرب من تامزوغة نحو ساقية سيق الى ان جاءت الحملة الاسبانية التي تفرغت بعثاتها بالهجوم على عبيد الشراقة بالقرب من المقطع فكان اكثرهم غنيمة ورجع جلهم لوهرا ليستقروا جنوب كانستال وشرق مدينة وهران ، كان عددهم حوالى الثلاثين دوارا، ويذكر المشرفي ان هذه القبائل اشتهرت بالترحال من مكان الى اخر متبعة الحياة البدوية⁽¹⁾، كما اشتهروا بالتنصر لغيرهم حتى ان الباشا ابراهيم عندما جاء غازيا لوهرا وصعد لجبل المايذة ونصب مدافعه لمواجهة الاسبان صعبت عليه المهمة بسبب نقص التموين بالمواد الاساسية فارتحل راجعا الى الجزائر، حينئذ طرح للاسبان ضرورة الاعتناء الشديد بقلعة جبل المرجاجو فصعب عليهم جلب الماء اليها؛ فكان اول من جلب اليهم الماء شيخ حميان وقبيلته ، وقد هجاهم بعض الأدباء بعد إعانة شيخهم لاسبان وهران ومساعدته لهم في بناء الحصن فقالوا⁽²⁾:

لا تكب الماء من قرية لمن يقول أنا حمياني

ادفع الكلب مع ربية وقل قلبه مازال نصراني

كما قيل فيهم: غيزة وشافع وحميان جارهم ما يتهنى وميتهم ما يدخل الجنة⁽³⁾، ولما

اعجب الاسبان براى شيخ حميان الذي نصحهم ببناء حصن المرجاجو؛ خشوا من فتكه بهم وقالوا: "المدير لنا المدير علينا" ففتك به الاسبان وحفروا بالقرب من الحصن بئرا شديدا العمق والقوا به فيه وردموه بالتراب⁽⁴⁾.

5-4: قبيلة غمرة:

سكنت بجوار حميان سكنوا بارض الحفرة بسهل ملاتة، الا ان نسبهم يختلف عن الاخرين فهم ينتسبون الى البربر عن طريق جدهم غمرة البربري، عددها يزيد على الستة دواوير، تعاضدوا مع الاسبان في كل شىء، نتيجة ذلك تم استئصالهم من تلمسان وانزالهم ببلاد تسالة ثم نقلهم الى ملاتة في عهد الباى الحاج عثمان.

5-5: قبيلة غيزة:

ويقال لهم جيدزة وهم فرقة من بني عامر من اولاد عامر بن ابراهيم نسبة لجدهم غيزة بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة

(1) عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 24.

(2) محمد بن يوسف، الزباني، المصدر السابق، ص 146.

(3) نفسه، ص 146.

(4) المصدر السابق، ص 28.

الهلالى⁽¹⁾، سكنوا بنواحي " تارقة" القريبة من عين تموشنت حتى سمي الجبل باسمهم " جبل غيزة" ، الا انهم لم يمكنوا بهذه المنطقة خاصة بعد اصطحابهم بالونازرة فانتقلوا برفقتهم الى ضواحي تامزوغة ووادي الغاسول، خضعوا للاسبان سنة 1517 وكانوا أهل باس شديد ولهم قوة وبطش وفتك بالمسلمين⁽²⁾ ، كان عددهم حوالي الثلاثة عشر دوارا وسميوا باللصوص نتيجة لما قاموا به من عمليات اختطاف للاهالى، والملاحظ انهم كانوا عندما يشتد الحصار على الاسبان يسكنون معهم بالأبراج والفضاء الممتد ما بين برج اليهودي وبرج العيون، أما عن سبب ضعفهم هو تسلطهم على الله سيدي احمد الحلفاوي فدعا عليهم بالشر فتقبل الله دعائه⁽³⁾.

5-6: قبيلة اولاد عبد الله:

وهم فرقة من بني عامر نسبة لجدهم عبد الله بن صغير بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالى، ولهم عدد كبير يناهز الستين دوارا، كان مسكنهم بوادي الثلاثاء بسهل ملاتة⁽⁴⁾.

وحسب بعض المصادر فقد كان لليهود صولة عظيمة على اولاد عبد الله وسموهم بها سمة الخسف والذل، حيث يقبلون يد اليهودي من الجهتين تشريفا لهم حتى انه ماذا راوا اليهودي كأنما راوا ملكا عظيم المرتبة، وفي المقابل لهم نكايه شديدة على المسلمين فمنهم المرجفون والمنافقون والجالبون قلوب الناس للكفر، كما كانت لهم محبة في عبادة الأوثان والأصنام وليست لهم غيرة على الإسلام حتى أن احدهم اسمه " أبو نصايبة" من النصاصيب احد بطون أولاد عبد الله نسب إليه قتل باي مازونة شعبان الزناقي عند باب وهران سنة 1686 واجتز رأسه⁽⁵⁾.

5-7: قبيلة اولاد علي:

وهم فرقة من بني عامر نسبة لجدهم علي بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالى، كانت فرقتهم تناهز السبعين دوارا؛ خضعوا للاسبان سنة 1523، كانوا في البداية مستقرين شرق تسالة لكنهم طردوا من طرف أولاد عبد الله فأتجهوا إلى منطقة عين البرد، ثم استقروا بأراضي الضواحي من تامزوغة تحدها شمالا أراضي حميان وجنوبا وادي سيق مع

(1) عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 26.

(2)

(3) المصدر السابق، ص 28.

(4) نفسه، ص 27.

(5) بن عودة ، المزارى، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى اواخر القرن 19 (تحقيق ودراسة: يحي بو عزيز)،

ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990، ص 230.

أراضي أولاد سليمان⁽¹⁾، ولهم إذعان عظيم للاسبان ومحبة كبيرة لليهود وبأس وقوة شديدة تتمثل في 200 فارس من الأعيان ، وكانوا يغيرون بالليل والنهار على المسلمين⁽²⁾، ففي منتصف القرن 16 خرج من وهران احد رجال أولاد علي مع الاسبان يدعى "رابح بن صولة" وهو من الصوالة احد بطون أولاد علي؛ على رأس جيش عربي فمر بالكرمة ومشى غربا على طريق مسرعين إلى أن وصل لأولاد عبد الله ثم مشى أسفل جبال تسالة إلى أن وصل جبال ماخوخ ثم اتجه ناحية مكرة وبلاد أولاد سليمان وأغار على الكرط وتكرر غزوه لها إلى أن استأصل أهلها فهرب من بقي، ولما كبر "بن صولة" وفقد بصره تقاعد عن الغارات؛ وهذا كان فرصة ساححة لقبائل الحشم للإغارة على قبيلة أولاد علي والقوا بابين صولة قتيلا على الأرض⁽³⁾، كما كانت قبيلة اولاد علي من اشد المهتمين بالاسبان تقدم لهم التبن والحطب واللبن والعسل والماعز والحيل والبغال وكل ما يحتاجونه.

8-5: قبيلة الونازرة:

هي بطن من بطون اولاد عبد الله بن صغير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي، ويقال لهم الونازرة نسبة لجدهم ونزار بن عبد الله بن صغير بن عامر الزغبي⁽⁴⁾، كان مقر سكنهم في البداية بوادي سنان بنواحي تموشنت في مزارع أولاد خالفة ثم انتقلوا الى لنواحي "تارقة" فسكنوا بجبالها مجاورين إخوتهم من قبيلة غيزة العامريين لينتقلوا برفقتهم إلى تامزوغة ويستقروا نهايا بسهل ملاتة، كانت طاقتهم الديمغرافية قليلة جدا مقارنة ببقية القبائل المتعاونة مع الاسبان بحيث لا تتعدى ستة دوارا، ولما احتل الاسبان وهران كان الونازرة من جملة الجنود المعتمد عليهم فمنهم العيون ومنهم الجند ، أطلق عليهم الاسبان الزمالة؛ وكان لليهود صولة عظيمة عليهم حيث يجمعون الضرائب من هذه القبائل⁽⁵⁾.

لقد كان للاسبان ترتيب في رعيتهم ليحصل التعاقد لهم في خدمتهم والمتمثل في تقديم الونازرة على غيزة، وغيزة على حميان وغمرة، وغمرة على شافع، وشافع على كريشتل، وكريشتل على أولاد علي، وأولاد علي على أولاد عبد الله، وأولاد عبد الله على بني شقران، وبني شقران على القلعية، والقلعية على الحشم لكونهم معهم بين نفرة واستقامة ، تارة يدعون لهم وتارة يخرجون عن طاعتهم ويأنفون الدخول تحت ذمتهم⁽⁶⁾.

(1) محمد بن يوسف، الزياني، المصدر السابق، ص 148.

(2) بن عودة ، المزاري، المصدر السابق، ص 219.

(3) نفسه ، ص 219.

(4) عبد القادر، المشرفي، المصدر السابق، ص 28.

(5) نفسه، ص 28.

(6) حنيفي، هلايلي، المرجع السابق، ص 145.

5-9: قبائل سويد:

وهم سويد بن عامر بن مالك بن زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ومن بين أهم بطونها فليته وأولاد ميمون ومجاهر وصبيح، كان موطنهم ما بين مستغانم والشلف، وفي القرن السابع عشر أصبح جزء من قبيلة سويد يعرف بأولاد قصير وبالناحية الغربية عرفت باسم "المحال"⁽¹⁾.

كانت قبيلة سويد تسيطر على معظم سهول وهران شأنها شأن قبيلة بني عامر، لذا تعاونت مع الاسبان وحاربت في صفوفهم بأمر من رئيسهم حميدة العبد مقابل حصولها على الأموال؛ لكن ما ان توقف الاسبان عن تقديم الأموال لها توقفها دعمها لهم وانقلبت الى صفوف العثمانيين خاصة اثناء محاولة حسن باشا بن خير الدين تحرير مدينة مستغانم ومزرغان حيث يذكر الشاعر الأخضر بن خلوفا القبائل التي أرسلت جيشها للمشاركة في هذه المعركة فيقول⁽²⁾:

من بني راشد وال سويد وافراسين النطح عبد الواد
يامغراوة أتزموا للكيد منكم خلقت اسلاطنا واجواد

5-10: قبيلة أهل يفر:

كان أهل يفر يستفيدون من الأراضي المغطاة بالأحراش الواقعة ما بين إقليم شافع والبحر، وكانوا من رعايا وهران وبدون أي واجبات ماعدارعاية مائة حصان تابعة للاسبان ويصبحونها في الحملات، وتساعد لهم مهمة رعاية قطعان الغنم من الماشية، يشكل أهل يفر حوالي مائة وخمسين كانوا (عائلة)؛ وقد خربت مساكنهم مرات عديدة في الحصار التي كانت تتعرض لها وهران من قبل العثمانيين⁽³⁾.

5-11: جماعة فرسان اولاد ميمون:

كانوا يزرعون الإقليم الذي يقع فيه وادي القصب على بعد 15 فرسخا من وهران، ويحده جبل تسالة شرقا وذلك الوادي غربا والزبدور شمالا والسلسلة الجبلية تنيرة جنوبا، وكانت كل الأراضي بهذا الإقليم مروية⁽⁴⁾.

(1) احمد بن محمد بن علي بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 325.

(2) المهدي، البوعبدلي، المرجع السابق، ص 285.

(3) صالح، عباد، المرجع السابق، ص 307.

(4) نفسه، ص 309.

12-5 : جماعة فرسان اولاد ابراهيم:

كانوا يزرعون اراضي تقع ما بين وادي مكرة 09 فراسخ من وهران الى غاية سيدي ابراهيم 13 فرسخا من وهران وهي اراضي خصبة جدا، تجاوز اولاد ميمون في الناحية الغربية وسلسلة جبال تنيرة في الشمال وأولاد موسى بن عبد الله في الناحية الشمالية وأولاد سليمان في الناحية الشرقية وبني يعقوب الذين يشتغلون بتربية الماشية في الناحية الجنوبية، وقد ظلت فرسان اولاد ابراهيم على هذه الوضعية إلى غاية طرد الاسبان نهائيا من الغرب الجزائري⁽¹⁾.

12-5 : جماعة فرسان اولاد سليمان:

كانوا يزرعون الاراضي الواقعة بين المرابط سيدي عبد القادر كشتوين* ووادي المبطوح، يجاورون في جهة الغرب اولاد ابراهيم وبني يعقوب وفي الجهة الشمالية تحدهم منحدرات تمزوغة ويحدهم شرقا وجنوبا ووادي سيراج⁽²⁾.

13-5 : جماعة هبرة: تتكون من فلاحين كانوا يملكون اراضي على ضفتي وادي هبرة، يجاورون اولاد علي شرقا والمجاهر شمالا وبني شقران شرقا وجنوبا، وبعد الانسحاب الاسباني استولى خليفة الباي على اراضيهم المروية، أما المجاهر فكانوا يقطنون الجانب الآخر من وادي هبرة وهم جماعة من الفلاحين يبعدون عن مستغام بفرسخ واحد يجاورون في الجانب الشرقي من الوادي جماعة بني غدو وبني شقران، وقد قامت قبائل سويد بإبادة قبائل هبرة فأصبح عددها قليلا فتوزعوا بين القبائل وسبب هذه الإبادة هو مهاجمة هبرة للأندلسيين الفارين إلى اريزيو في منتصف القرن السابع عشر، فلم يبق في هبرة إلا دوارا واحدا⁽³⁾.

ونتيجة لتعاون بعض قبائل الغرب الجزائري وموالاتهم للاسبان أصبح الناس يعايرونهم ب: "...الدخول تحت ذمة الكوافر، وافتراشهم بناثم الحرائر؛ فكان ذلك ماقرع أسماعهم، ولا طرق رباعهم، والعياذ بالله من طبع القلوب وغلظ الحجوب " على حد تعبير محمد بن يوسف الزياتي⁽⁴⁾.

وقد كان للتأليف موضع آخر في حق القبائل الموالية للاسبان في الغرب الجزائري فمن ذلك قول أبي العباس احمد بن عبد الله أبي محلي المساوري المراكشي ماييلي⁽⁵⁾:

فهل مبلغ عني قبائل عامر ولا سيما من قد ثوى تحت كافر

(1) ، صالح ، عباد، المرجع السابق، ص 309.

* مصطفى بن ابراهيم حاليا.

(2) نفسه، ص 309.

(3) نفسه، ص 309.

(4) محمد بن يوسف، الزياتي، المصدر السابق، ص 156.

(5) نفسه، ص ص156-157 (بتصرف).

أذلكم الجبار كيف رضيتم بسبي العذارى من بنات الأكابر
 فلا همة تعلقو بكم عن دنية ولا غيره تدعوكم للمآثر
 وما منكم الا خصي اذله بهيسمه النصراني يال عامر
 أضيّم الملوك أم تغلب كافر عليكم في جوار الكوافر

سادسا:التدخل العثماني في غرب البحر المتوسط وتأسيس ايالة الجزائر:

لقد احتاط العثمانيون لخطر التحرشات الاسبانية على السواحل الجزائرية، فأذنوا لبعض رجالات البحر بارتياح الحوض الغربي للبحر المتوسط لمقاومة أساطيل القراصنة الأوروبيين واعتداءاتهم وذلك لهدفين رئيسيين: أولهما: الدفاع عن موانئ المغرب العربي الساحلية وحماية سكانها وتقديم العون لمسلمي الأندلس المضطهدين. ثانيهما: إشغال أساطيل القرصنة الأوروبية عامة والاسبانية خاصة عن المشاركة في حروب شرق البحر المتوسط التي يتحمس لها الباباوات ويدعون لعالميتها ضد المسلمين عامة والعثمانيين بصفة خاصة⁽¹⁾.

نتيجة لهذه الأوضاع التي عاشتها سواحل المغرب العربي بدا يتطلع سكانه إلى عمل شيء للتخلص من خطر الاسبان، خاصة مع بداية سنة 1516 التي عرفت وفاة الملك فرديناند الكاثوليكي؛ وفي المقابل انتشر صيت أبناء الفخارجي يعقوب بن يوسف الثلاثة عروج وخير الدين وإسحاق الذين التحقوا بالحوض الغربي للمتوسط منذ حوالي عام 1502 واستحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا وشرعوا في مواجهة القراصنة الأوروبيين انطلاقا من جزيرة جربة وحلق الوادي وجيجل وأثمرت جهودهم بمرور الزمن خاصة بعد ان استقروا بمدينة الجزائر سنة 1516 وضموها هي وباقي بلاد المغرب الأوسط إلى الدولة العثمانية كايالة جديدة تابعة لها ابتداء من سنة 1518؛ فبرزت الجزائر الحديثة لتلعب دورها في موجة الأحداث العالمية في حوض البحر المتوسط بشرقه وغربه لعدة قرون.

6-1: اتصال العثمانيين بالعلماء في الغرب الجزائري:

ان التطاحن على السلطة والصراع على الحكم عجل بنهاية الأسرة الزيانية بتلمسان خاصة والغرب الجزائري عامة، وقد تزامن ذلك بظهور العثمانيين على مسرح الأحداث فانقسم المرابطون والعلماء في هذه المنطقة بين معارض ومؤيد للعثمانيين نقمة على الوضع التي وصلت إليه تلمسان، كأحمد بن يوسف الملياني وابن افغول ومحمد بن شاعة⁽²⁾، فخيرالدين بعد مقتل أخاه عروج من طرف الاسبان عزم على مغادرة الجزائر نهائيا لما لاقاه من

(1) يحيى، بوعزيز، «علاقات الجزائر.....»، المرجع السابق، ص 21.
 ابن مريم محمد بن احمد، التلمساني، البستان في ذكر الاولياء بتلمسان (مراجعة: محمد بن ابي شنب)، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 266⁽²⁾

الدسائس من طرف سكان الجزائر، إلا أن العلماء أكثرها عليه بالتضرع والإلحاح بالبقاء لأنهم خافوا على أنفسهم من نهوض الاسبان الذين كانوا يترقبون الفرصة ويتجسسون عليهم ويحصون حركاتهم⁽¹⁾، وكان احمد بن يوسف الملياني أول من اتصل به الاخوة بربروس في منطقة الغرب الجزائري وأبدى استعدادا للترحاب بهم على أساس أنهم منقذون للبلاد من الاسبان.

إن احمد الملياني وهو شاذلي الطريقة من قلعة بني راشد قرب معسكر⁽²⁾ كان يتمتع بسطوة ونفوذ كبير بين الاهالي إلى أن وصل اعتقادهم فيه " ان الله ينزل غضبه على من اغضب وليه"، ولما توسعت طريقته في الغرب الجزائري أثار غضب الدولة الزيانية خاصة بعدما التف حوله الناس اثناء التجمعات التي كان يعقدها برأس الماء وتلمسان ووهران وهي مناطق مستعدة للاضطراب نظرا لضعف السلطة الزيانية بها، وقد أثار أتباعه حتى استقرار السعديين بالمغرب الأقصى لهذا حاربه عبد الله محمد السعدي متهما إياهم بالانحراف عن الدين، لكن الأرجح لتحالفه مع العثمانيين⁽³⁾، كما اتهمه خصومه بالإلحاد، وبعد تدخله في شؤون العامة ثار ضده سلطان فاس وبني زيان فأمروا بسجنه وحرقه خاصة بعدما نعت السلطة الزيانية بأنها أسوأ من سلطنة اليهود⁽⁴⁾، فالخلاف الذي كان موجودا بين احمد الملياني والزيانيين حمله على وضع يده في يد العثمانيين وهو الأمر الذي أغاظ السلطان المغربي عبد الله الغالب حيث كتب له الشيخ رسالة جاء فيها مايلي: ".....المولى جل جلاله أمدني بعدله ووصفني بأوصافه حتى صرت أنا هو وهو أنا؛ يا أمير المؤمنين لاتقهر الفقراء أو يعمل لك العلماء برنسا من الثلج ويلبسونه لك في سمائهم ومن الماء عمامة يشدونها شدا مائلا ومن الريح قنديلا يعملون منه فتائل....."⁽⁵⁾.

لقد عمل العثمانيون منذ مجيئهم الى الغرب الجزائري على كسب العناصر الدينية التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في أوساط السكان، ذلك ان ثلثي الجزائر كان تحت إشرافهم⁽⁶⁾ وبالتالي اوجدوا طريقة إدارية تمثلت في حكم الجزائريين بالجزائريين عن طريق التحالف مع بعض الزعامات المحلية القائمة على أساس قبلي او ديني وخاصة في الريف الذي ظل يعيش عزلة عن الحكومة العثمانية؛ فقد لعب فيه المرابطون دورا بارزا في ملا هذا الفراغ.

ان اول اتصال بين العثمانيين والعلماء في الغرب الجزائري كان سنة 1517 بين عروج واحمد بن يوسف الملياني على شاطئ البحر غرب وهران عندما قصده الاخوة بربروس مع أسير مغربي كدليل لهم وهو من نصحهم

(1) عبدالحميد بن ابي زيان، بن اشنهو، المرجع السابق، ص 144.

(2) ابو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1989، ص 496.

(3) بن عودة، المزارعي، المصدر السابق، ص 74.

(4) محمد الحاج، صادق، مليانة ووليها سيدي احمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964، ص 114.

(5) حسن، الورثاني، نزهة الانتظار في فضل علم التاريخ والخبار (تحقيق محمد بن شنب)، فونتانا، الجزائر، 1907، ص 108-109.

(6) Emile, Dermenghem, le culte des saints dans l'islam maghrebin, gallimard, paris, 1954, p : 225.

بالاتصال برجل من ذوي النفوذ الروحي، وقد قال له عروج انه سيصدق ولاية وكرامة الشيخ إذا استطاع أن يطلعه على مقاصدهن وان وفق سيقبل رجله ويطلب منه الدعاء الصالح؛ ولما وصل عروج إلى الشيخ قال له: "عزمت إذن وأصحابك على الهجوم على العدو" فجثي عروج عند قدميه⁽¹⁾، ومن هنا بدا أول تحالف عثماني مرابطي بالغرب الجزائري وهذا لإدراك العثمانيين بان رجال التصوف هم حليف لهم في صراعهم مع الاسبان خاصة بعد حصار القلعة الذي ضربه إسحاق والقبطان اسكندر ضد ابي حمو وخلفائه في نهاية عام 1517 ومنتصف سنة 1518؛ وقد نجح في حصاره بعد دعوة الشيخ للسكان لتأييد العثمانيين⁽²⁾.

وعند استقرار الاخوة ببروس بالجزائر وبعد وفاة عروج أرسل خير الدين الى الشيخ الملياني هدايا ثمينة كاعتراف بجميله ومبلغ مالي قدره 4000 دينار بعدما ساعده ضد الزيانيين⁽³⁾ كما خصص جزءا من الجزية المفروضة على اليهود .

ونتيجة لظهور هذا التحالف المرابطي العثماني وجدت قبائل الغرب الجزائري ضالتها لاستتباب الأمن فحمدان خوجة يقول: "...نصح الاهالي خير الدين بان يمنح المرابطين ثقة مطلقة لان ذلك يمنع الجميع من أن يقفوا موقفا معارضا خاصة وان هؤلاء السكان لن يترددوا في قتل أصدقائهم وحتى أقاربهم إذا علموا أنهم سيحتقرون المرابطين....."⁽⁴⁾.

ونتيجة لذلك؛ ومنذ أن أصبحت الجزائر عثمانية فرض الحكام العثمانيون على أنفسهم احترام هؤلاء المرابطين، ولم ينظروا إليهم كرجال دين فقط بل كأشخاص يحملون ثقة الاهالي خاصة بعدما علموا بمكانتهم في الأوساط الشعبية، فأصبحوا يقدمون لهم أكبر الامتيازات وأثمنها ، وأصبحت أماكن سكنهم وأضرحتهم مقدسة حتى بعد وفاتهم، كما أن القانون لايمس من لجا إليها لغرض الاحتماء، فلا يطاردونهم لوقار المكان⁽⁵⁾.

إضافة إلى سلطة المرابط التي اعتمد عليها العثمانيون في فرض سيادتهم بالغرب الجزائري ، كان الريف بهذه المنطقة يخضع لإدارة الشيخ والجماعة فبعض القبائل كان يتزعمها الشيوخ والزعماء المحليون الذين توارثوا الحكم اعتمادا على نفوذهم الديني؛ فأولاد سيدي الشيخ كان نفوذهم بكامل الجنوب الوهراني ووصل حتي تافيلالت،

(1) محمد الحاج، صادق، المرجع السابق، ص 104.

(2) Marcel, Bodin, « notes et questions sur sidi ahmed ben youcef », in R.A, n°66, 1925, p :185.

(3) ابن مريم، المصدر السابق، ص 214.

(4) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 72.

(5) نفسه، ص 73.

قورارة وحتى الجنوب المغربي ولم تمنح الوجود الفعلي للعثمانيين على أراضيها، فلم تكن تدفع للبايالك الالسة فرنكات عن كل حمولة جمل(1).

وإذا كان تحالف بعض القوى المحلية مع العثمانيين قد شكل خطرا للحكام أكثر مما هو دعم ومساندة لهم، فان حصولهم على خدمات بعض القوى الأخرى كان يكلفهم أكثر مما كانوا يتلقونه في المقابل ولا سيما من بعض الزعامات الدينية التي لم يكن ضمان حياده أو وساطتها إلا بتقديم هدايا باهضة وبعض الامتيازات مثل جمعها للضرائب من بعض المناطق التي تقطن بها الرعية واحترام الحكام لحق اللجوء إلى الزوايا، فهذه الأسباب جعلت سكان الجزائر يخضعون طواعية للعثمانيين ويتقنون فيهم ثقة عمياء(2).

6-2: محاولات العثمانيون استرجاع وهران:

لقد كانت قضية تحرير وهران والمرسى الكبير من الاهتمامات الكبرى للعثمانيين وأصبحت الشغل الشاغل للسكان، فانكب القادة على وضع الخطط وإعداد الوسائل الكفيلة لتحقيق ذلك المطلب الوطني الكبير، وتعددت الحملات العسكرية العثمانية ضد الاسبان في وهران وحتى في الشواطئ الاسبانية نفسها في إطار سياسة الاستنزاف(3)، إلا انه في النصف الأول من القرن السادس عشر كانت اسبانيا تسيطر على الحوض الغربي من البحر المتوسط، وموقف بني زيان سلبيا اتجاه العثمانيين، فلم تسجل إذن سوى محاولات غير ناجحة لاسترجاع وهران والمتمثلة فيما يلي:

1/ محاولة صالح راييس 1556:

دبر صالح راييس(*) غزو وهران بمجرد انتصاره على اسبان بجاية سنة 1555 فاعد الأسطول وبعث ابنه محمد إلى استانبول ليطلب المدد(4)، في الوقت الذي كان فيه الشريف السعدي ملك المغرب الأقصى قد استعاد فاس ودخل في مفاوضات مع الاسبان للحصول على عشرة الاف جندي اسباني، كما جاء في تقرير المبعوث الاسباني إلى فاس " ميكال دي ليزكانو" الموجه إلى الكونت دالكوديت حاكم وهران المؤرخ في مالقة في 22 جويلية 1555، استقبل هذا المبعوث من طرف الشريف السعدي ومن طرف ابنه الأمير عبد الله، كما استقبل من طرف القائد

(1) رشيدة، شدرى معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات(1830-1671)، مذكرة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 30.

(2) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 73.

(3) يحيى، بوعزيز، «علاقات الجزائر.....»، المرجع السابق، ص 27.

(*) عين صالح باشا بايلرباي الجزائر اوائل سنة 1555.

(4) خليل الساحلي، اوغلي، «تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب سنة 1552»، المجلة التاريخية المغربية، العدد 2، تونس، 1974، ص 128.

المنصور بن بوغانم قائد بني راشد الذي كان قد انسحب من تلمسان؛ وحسب التقرير المذكور فان الشريف السعدي قد ألح على تخريب مدينة الجزائر من الأساس⁽¹⁾.

ولم ينع اي تحالف بين الشريف السعدي وحاكم وهران؛ ارسل السلطان سليمان القانوني امدادات عسكرية الى صالح رايس تتكون من 40 غليوطة و6000 جندي، اضافة الى القوة الجزائرية المكونة من 10000 جندي من اشاوش جبال جرجرة من اهل امارة كوكو⁽²⁾ وساروا على طريق البر نحو الناحية الغربية بينما كان صالح رايس يتأهب للإقلاع على رأس العمارة البحرية ذات السبعين سفينة نحو وهران؛ وقد أمره السلطان سليم بالزحف على المغرب الأقصى لعزل السلطان السعدي الذي تفاوض مع اسبان وهران قصد محاربة العثمانيين⁽³⁾.

وصل الأسطول العثماني الى بجاية في جوان 1556، وسار صالح رايس بسفنه إلى تامنفوست لينتظر وصول الأسطول هناك، ثم يسير مباشرة نحو الغرب الجزائري؛ وما امر صالح رايس بالغزو حتى توفي بسبب وباء الطاعون الذي كان قد اجتاح الجزائر سنة 1556 فتتوقف الحملة مؤقتا إلى أن تم تعيين حسن قورصو لإتمام ومواصلة الزحف اتجاه وهران، فقاد الجيوش وزحفت القوات العثمانية برا وبحرا إلى وهران فكان الإرساء بمنطقة عيون الترك ومنها زحف جند المدفعية نحو رأس العين منتصف شهر أوت وبدا الحصار وقصفت مدافع العثمانيين حصون الاسبان وتمكن حسن قورصو من الاستيلاء على "حصن القديس" ثم قصف باب تلمسان ثم القصبه⁽⁴⁾. وعندما بدأت القوات العثمانية تجني ثمار الحصار على وهران جاءت دعوة مستعجلة من السلطان العثماني تأمرها برفع الحصار وعودة الأسطول للالتحاق بالجيوش العثمانية في المشرق العربي لمواجهة قوات "أندري دوريا" الذي كان قد هدد شواطئ البوسفور^(*).

قام حسن قورصو برفع الحصار على وهران واغتتم الاسبان فرصة هذا الانسحاب وخرجوا يطاردون الاهالي، كما اغتتم السلطان السعدي فرصة التخلي فنهض للغارة على تلمسان، وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر انقرضت الدولة الزيانية وثبت العثمانيون أقدامهم في الجزائر واشتد الصراع برا وبحرا بينهم وبين الاسبان حول تحرير

(1) صالح، عباد، المرجع السابق، ص 80.

(2) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة.....، المرجع السابق، ص 343.

(3) مولاي، بلحميسي، « تحرير مدينة وهران سنة 1708»، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 09، الجزائر، 1970، ص 60.

(4) انفسه، ص 61.

(*) قيل ان السبب الحقيقي لامر السلطان بالانسحاب انه لم يكن راضيا بالطريقة التي استولى بها حسن قورصو على الحكم بالجزائر، بينما رأى الاسبان في هذا الانسحاب " لطف الله بالمسيحية"، للمزيد انظر:

Marcel, Bodin, « nécessité de fortifier d'Oran en 1576 », in B.S.G.A.O ,n°55,1934,p : 312.

وهران، وتمكن العثمانيون من الوصول حتى أسوار المدينة ونصب الأكمنة في الأودية المجاورة وضرب الجنود والحراس الاسبان عند الفرصة.

2/ محاولة حسن باشا سنة 1563:

بعد الهزيمة التي لحقت بالاسبان في مستغانم ومزرغان سنة 1558 والتي ادت الى مقتل الكونت دالكوديت وتعيين ابنه "دون الونزو" حاكما على وهران و "دون مارتن دي قرطبة" حاكما على المرسى الكبير، ارسلت اسبانيا امدادات عسكرية الى وهران للقيان بخرجات تحفظ سمعة السلطة الاسبانية في الغرب الجزائري، لكن حسن باشا اكتفى بالانتصار الذي حققه في مستغانم ولم يتجه الى وهران مباشرة للاستيلاء عليها في ظل الفوضى التي سادت بين الاسبان الذين فقدوا قائدهم وجزء من ممتلكاتهم في الغرب الجزائري⁽¹⁾.

وفي هذا الاطار ارسل الملك فيليب الثاني اربعة الاف جندي على متن مجموعة من القطع البحرية ابجرت من مالقة سنة 1562 اعترضها في طريقها نحو وهران بعض العواصف ادت الى اتلاف بعض قطعها؛ وفي المقابل نهض حسن باشا بن خير الدين سنة 1563 على راس جيش بري يتالف من 15000 جندي من رماة البنادق ، و 1000 فارس من الصبايحية يقودهم احمد امقران الزواوي و 12000 جندي من زواوة و بني عباس؛ وجيش بحري يتالف من 40 سفينة، بالاضافة الى المؤن التي حملت الى مدينة مستغانم التي اتخذت كقاعدة خلفية للعمليات⁽²⁾.

بدأت المعارك بين الطرفين في شهر افريل حيث نقل حسن باشا جنوده الى عين الترك حيث يستولي اولا على المرسى الكبير فكان الحصار شديدا وكاد حصن "سان سالفادور" ان يدمر وينسحب منه الاسبان بعد 22 يوما من القتال، وفي 07 جوان سقط بستيون "الجنويز"، لكن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل لاقتحام وهران؛ لتصل في 08 جوان النجدة الاسبانية الضخمة واضطر حسن باشا الى رفع الحصار والانسحاب والعودة إلى الجزائر للمشاركة في الهجوم الضخم ضد فرسان القديس يوحنا الصليبيين في جزيرة مالطا سنة 1565 مع القائد درغووث باشا⁽³⁾.

لقد كان لحصار حسن باشا على وهران اصدءا كبيرة شرقا وغربا؛ فمن ذلك قول عبد الرحمن بن محمد بن موسى (1522-1603) في قصيدته التي يبارك فيها هذا الانجاز، وقد أخذنا منها بالتصرف مايلي⁽⁴⁾:

هنيئا لك باشا الجزائر والغرب بفتح أساس الكفر مرسى قرى الكلب

(1) صالح، عباد، المرجع السابق، ص 85.

(2) نفسه، ص 94.

(3) جون ب، وولف، المرجع السابق، ص 65.

(4) ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 132-133.

ستفتح وهرانا ومرساتها التي أضرت بذا الإقليم طرا بلا زيب
 فثق بالإله واستعن به واصبرن ينلك المراد يا أميري ومطلبي
 تحي بنصر مع فتوح تواترت على نجل خير الدين خير المطالب

3/تزايد المحاولات في القرن السابع عشر:

ظلت وهران في حالة حرب بصفة مستمرة وتحولت الى قاعدة عسكرية وبذل الاسبان جهودا كبيرة في الدفاع عنها كما بذل العثمانيون كل ما في وسعهم لطرد الاسبان منها، فهاجم العثمانيون المدينة ايام الوالي الماركيز "دي اردال" (1604-1607)، واعادوا الكرة ايام الوالي الماركيز "دي سانتا كروز" (1639-1643)⁽¹⁾، وتذكر المصادر الاسبانية ان الدون "الفارو دي بازان" ماركيز سانتا كروز واجه سنة 1462 حصارا ضرب على وهران برا وبحرا من طرف جيش يتكون من العثمانيين والاهالي دعمته قطع بحرية من فرنسا والبرتغال اللتين كانتا في حرب مع اسبانيا، غير ان الاسبان تمكنوا من دفع المحاصرين بعد خرجة قادها الماركيز على راس 800 جندي في الوقت الذي جاء فيه الدوق "تورسي" لنجدته على راس 25 قطعة بحرية من جنوة⁽²⁾.

وفي سنة 1675؛ حين كانت وهران تعيش كارثة الطاعون الذي اتى على حوالي ثلاثة الف ساكن من سكانها، سير الاسبان في شهر جوان حملة عسكرية نحو تلمسان بلغت اسوار المدينة فدفعها الاهالي وطاردها جنودها الى غاية المرسى الكبير، دعم بابا حسن هؤلاء الاهالي بفرق من الانكشارية فتحولت المطاردة الى حصار للموقعين دام الى غاية شهر جويلية، ولما جاءت عمارة من قرطاجنة تحمل الامدادات انسحب الاهالي والعثمانيون، وفي نهاية جانفي وبداية فيفري من سنة 1677 قاد حاكم وهران حملة على القبائل التي شاركت في حصار 1675 لكن الاهالي اجبروه على التقهقر، وفي سنة 1678 نظم العثمانيون حصارا جديدا على وهران لكنهم فشلوا في اقتحام المدينة، وفي نفس السنة قتل والي وهران الماركيز "دي القارفي" اثناء غزوة قام بها خارج المدينة، وفي سنة 1681 قتل حاكم وهران "الكونت دي تيباويون" في مواجهة العثمانيين وبني راشد فخلفته زوجته سنة كاملة، وبعده بقليل سنة 1687 قتل "الكونت دي براكمونت"⁽³⁾؛ وبقيت الوضعية على حالها طيلة القرن السابع عشر ممثلة في خرجات اسبانية في الغرب الجزائري تقابلها حصارات عثمانية على وهران والمرسى الكبير اللتان انفق عليهما الاسبان أموالا طائلة لتحصينهما وتعزيز أبراجهم حتى يكونوا نقطة انطلاق للغارات الاسبانية على الجزائر أو تلمسان أو

(1) مولاي، بلحميسي، «تحرير مدينة.....»، المرجع السابق، ص 62.

(2) صالح، عباد، المرجع السابق، ص 139.

(3) مولاي، بلحميسي، «تحرير مدينة.....»، المرجع السابق، ص 63.

مستغانم، وقد استفاد الاسبان من النزاع العثماني السعودي ثم العثماني العلوي لتحسين أنفسهم وتأخر افتتاح العثمانيين لهاتين المدينتين إلى غاية أواخر القرن الثامن عشر رغم التضحيات والجهود المبذولة.

4/ محاولة الباي شعبان الزناقي سنة 1686:

في سنة 1685 قاد الحاكم الاسباني لوهراة حملة كبيرة نحو الاقاليم المجاورة ، فعاد مرفوقا بحوالي 800 اسير وغنيمة ضخمة، ولكن هذا الحاكم وقع في كمين في السنة الموالية فقتل رفقة جنوده الذين كانوا يرافقونه، وفي سنة 1686 جهز الباي شعبان(1679-1686) ثلاثة الاف فارس والاف جندي من المشاة اراد بهم الهجوم على وهران فخرج الاسبان للقاءه؛ والتقى الجيشان في مكان خارج وهران يسمى "كدية الخيار" فانتصر العثمانيون في المرحلة الاولى وغنموا غنائم كثيرة واستمر القتال في المرحلة الثانية تحت اسوار المدينة بسبب تراجع الاسبان الى ان وصلوا قبة "برج العيون"⁽¹⁾، وكادت الجيوش العثمانية ان تنتصر لولا قتل الباي شعبان من طرف احد المغاطيس من بني عامر⁽²⁾، وعلق الاسبان رأسه عند أبواب المدينة، ثم بعثوه للعثمانيين فدفنوه مع جسده.

ويذكر المزارى هاته المعركة قائلاً: «.....فغزى رحمه الله وهران وطالت به معهم الحروب واتصلت عليهم بدولته أعظم الكروب، ومنعهم من الخروج، وضيق عليهم الى ان صاروا في أحوج المحوج، ولازموا بيوتهم والحصون وصاروا لا يفارقون الجواسيس والعيون.....زحف لهم في نحو اربعة الاف...وزحف النصارى مع مرده العرب وشياطينهم من بني عامر وغيزة وغمرة وكريشتل.....في أزيد من ثلاثة آلاف فيهم ألف خيل والباقي راجلة....»⁽³⁾.

ويضيف قائلاً: «.....ولما قتل بقيت جثته بأيديهم على وجه التراب فجزوا رأسه وعلقوه بالباب.....فأرى بعض النصارى بالليل النور يسطع عليه فاخبر بطريقهم وحينئذ بعثوه للمسلمين ودفنوه مع جثته خارج وهران وقبره الآن يعرف بقبر سيدي شعبان..... ويقال ان الذي قتله هو ابو نصايب من النصايب من بني عامر....»⁽⁴⁾.

ولما قتل الباي شعبان الزناقي فرح الاسبان فرحا شديدا واشتدت شوكتهم على العرب بالغرب الجزائري وبدأوا يغزونها في البيوت والخيما فغزوا المرابط سيدي بلاحة المهاجي(*) وأسروه رفقة بناته الثلاثة وخمسين رجلا من زاويته وفدى احد بناته لبوعزة بن حميدة شيخ أولاد سليمان والأخرى لشيخ أولاد علي⁽⁵⁾.

محمد، بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية (تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم)، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 21.

(2) احمد بن محمد بن علي بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 109.

(3) بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 229.

(4) نفسه، ص 230.

(*) كان احد علماء القرن 16 وهو مشهور بنواحي القعدة.

(5) محمد بن يوسف، الزباني، المصدر السابق، ص 150.

ولما سمع سلطان المغرب العلوي مولاي إسماعيل بمقتل الباي شعبان اغتاض غيظا شديدا وقرر تحريك حملة عسكرية لافتكاك وهران من قبضة الاسبان وجمع جيشا من أقاصي سوس وبنو زناسن، وجاء على رأس ألفين من الخيالة وعدد من الجنود واستولى على ماشية بني عامر ثم رابط قرب المدينة إلى أن رده حاكمها الدوق "دي كانزانو" فارتحل مشرقا إلى أن وصل إلى المنطقة المسماة "زوجة الوسط" فقامت عليه الأعراب مع العثمانيين فرجع إلى المغرب⁽¹⁾.

ونستخلص مما تقدم في هذا الفصل مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

* لقد أدى الفراغ السياسي الذي عرفته الجزائر في أواخر القرن 15 ومطلع القرن 16 إلى ضعف قدراتها الدفاعية مما جعلها عرضة للغارات الاسبانية ، وقد كان لانقسام بلدان المغرب على نفسها وتطاحنها فيما بينها اثر فعال في تحريك القوى المسيحية على ممارسة العدوان على المدن والموانئ الساحلية لهذه المنطقة الحساسة من البحر المتوسط، فاحتلت اسبانيا المرسى الكبير سنة 1505 ووهران سنة 1509، كما وجدت مدن أخرى نفسها مجبرة على إعلان الولاء لاسبان مثل تنس ومستغانم وتلمسان.

* عقب الاحتلال الاسباني للمرسى الكبير ووهران سعى الاسبان منذ البداية إلى ربط علاقاتهم مع بعض القبائل التي قبلت الموالاتة مقابل ضمان الأمان لها، كما نتجت علاقات تجارية بينها وبين الاسبان إضافة إلى دفعها مجموعة من الضرائب مثل ضريبة الرومية، وقد ساهمت بشكل من الأشكال في إطالة عمر الوجود الاسباني بالمنطقة.

* لتجنب غارات القبائل المعادية لاسبان والرافضة الخضوع لهم ولضمان موالاتة بعض القبائل ؛ شكل الاسبان شبكة من الجواسيس العرب واليهود الذين ينقلون اليهم كل اخبار المنطقة وكذلك تحركات الجيش العثماني مقابل مكافآت مالية.

* لمواجهة الأخطار التي كانت تترصد بالمنطقة اضطر بعض أعيان الغرب الجزائري إلى الاستنجاد بالدولة العثمانية في ظل عجز بنو زيان الدفاع عنه أو موالاتة بعض أمرائها لاسبان ، ومنذ اتصاهم بالمنطقة ظلوا يشنون حملات عسكرية بهدف استرجاع المرسى الكبير ووهران وتأديب القبائل الموالية لاسبان وبقية هذه المحاولات مستمرة ومتوالية الى غاية القرن الثامن عشر أين تم تحرير المدينتين للمرة الأولى سنة 1708 في عهد الباي مصطفى بوشلاغم ثم التحرير النهائي سنة 1792 في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير.

(1) محمد بن يوسف، الزياني، المصدر السابق، ص 151.

2- الفصل الثاني: الأحوال السياسية والتنظيمات الإدارية لبايلك

الغرب خلال القرن 18.

اولا: الادارة العثمانية ببايلك الغرب.

1-1 : تنظيم البايك

2-1 : الجهاز الاداري

3-1 : موظفو البايك

ثانيا: السياسة الداخلية لبايلك الغرب خلال القرن 18

1-2 : بايات بايلك الغرب خلال القرن 18

2-2 : قبائل بايلك الغرب وتنظيمها

ثالثا: السياسة الخارجية لبايلك الغرب خلال القرن 18

1-3 : الاطماع الاسبانية

2-3 : الاطماع المغربية

رابعا:- دور السلطة الروحية في بايلك الغرب

1-4 : الرباطات الدينية

2-4 : الطرق الصوفية

خامسا:- علاقة المدينة بالريف في بايلك الغرب الجزائري

1-5 : مدينة تلمسان

2-5 : مدينة مازونة

3-5 : مدينة مستغانم

4-5 : مدينة معسكر

تمهيد:

تطرت في هذا الفصل إلى الأحوال السياسية والتنظيمات الإدارية لبايلىك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، واهم الخصوصيات التي تميز بها عن غيره من البايليكات؛ بداية بالإدارة العثمانية له وتنظيمه حيث ولد هذا البايليك ولادة شاذة في ظل المد التوسعي الاسباني من جهة، وتأثير المغرب الشريفى على قبائله التي كانت غير ثابتة في ولائها سواء للعثمانيين أو لسلطين المغرب الأقصى من جهة ثانية، واختيرت مازونة كعاصمة له في البداية ثم انتقلت إلى معسكر سنة 1701 ثم وهران بعد الفتح الأول 1708 ثم مستغانم 1732 ثم معسكر إلى أن استقرت في وهران بعد الفتح النهائي سنة 1792.

ثم أشرت إلى الجهاز الإداري للبايلىك الذي كان فيه الباى صاحب السلطة السياسية بالإضافة إلى مجموعة من الموظفين وفي هذا الشأن فقد عرف بايلىك الغرب نظام إداري خاص وتراتب إدارية لم تكن في بقية البايليكات، وكثيرا ما تداخلت سلطات الموظفين بعضها في بعض، ثم عرجت على سياسته الداخلية من خلال باياته خلال القرن الثامن عشر حيث عرفت فترات حكمهم بالاستقرار السياسي خاصة فترة الباى بوشلاغم والباى محمد الكبير؛ ثم ذكرت أهم قبائله وعلاقتها بالسلطة العثمانية التي قسمتها إلى طبقتين بارزتين وهما: الطبقة الخاصة ذات المناصب والامتيازات وتسمى قبائل المخزن والطبقة العامة المغلوبة على أمرها التي تتشكل من قبائل الرعية والقبائل الحليفة والقبائل المستقلة.

كما عرجت على السياسة الخارجية للبايلىك التي كانت قائمة على التصدي للأطماع الاسبانية وقد توجت خلال هذه الفترة بفتح وهران الأول سنة 1708، والوقوف في وجه الرغبة التوسعية المغربية وما عرفته من شد وجذب، وفي الأخير تطرقت إلى دور السلطة الروحية التي برز تأثيرها بشكل قوي منذ أواخر القرن الثامن عشر وأخذت تؤثر بنشاطها على الحياة العامة وتؤلب الناس على الحكام العثمانيين؛ ثم انتقلت إلى إبراز علاقة المدينة بالريف في بايلىك الغرب حيث استطاعت المدن أن تفرض سيطرتها على الأرياف بداية بالهيمنة المباشرة عن طريق مراقبة الفحوص والاحواز أو بطريقة غي مباشرة تجلت في نشاط التجار والأسواق التي كانت تقام خارج المدن علما أن 70% من سكان البايلىك ريفيون.

أولاً: الإدارة العثمانية لبايلىك الغرب الجزائري:

1- تنظيم البايليك:

يعود تاريخ ظهور البايليك كتقسيم إداري وسياسي إلى النصف الأول من القرن السادس عشر، حيث تم تقسيم الجزائر إلى أربعة بايلىكات تسهيلاً للحكم العثماني؛ وقد حدث ذلك خلال حكم حسن باشا ابن خير الدين⁽¹⁾. إن ما يسمى بايلىك الغرب هو ما يعادل بالتقريب القطاع الوهراني حالياً⁽²⁾، كانت رقعته الجغرافية تمتد ما بين الحدود التالية: المملكة المغربية غرباً وبايلىك التيطري ودار السلطان شرقاً والبحر المتوسط شمالاً والصحراء جنوباً⁽³⁾. وهناك من يعطي للمنطقة حدوداً حيث يحدها واد الشلف في الشرق ووادي الملوية في الغرب والبحر المتوسط في الشمال والصحراء في الجنوب⁽⁴⁾.

تأسس بايلىك الغرب سنة 1563، فأصبحت مازونة عاصمة له وابن خديجة بايا عليه، لقد نصّب حسن باشا ابن خير الدين الباي ابن خديجة نظراً لحيويته وذكاءه⁽⁵⁾، وقد اختار ابن خديجة مازونة كعاصمة للبايلىك نتيجة موقعها حيث تتوسط القبائل ما بين مستغانم وتنس وقريبة من الشلف⁽⁶⁾.

لقد شكّلت كل المدن التالية عواصم وقواعد هامة، فقبل القرن الثامن عشر كانت مازونة عاصمة البايليك وتلمسان قاعدته الهامة؛ ثم تغير الوضع السياسي خلال القرن الثامن عشر حيث نقلت العاصمة من مازونة إلى معسكر سنة 1701، ثم وهران في الفتح الأول سنة 1708، ثم مستغانم سنة 1732؛ بعد ذلك عاد المقر إلى معسكر سنة 1737 وأخيراً انتقل إلى وهران بعد الفتح الثاني سنة 1792⁽⁷⁾.

إذاً بايلىك الغرب يختلف عن كل من بايلىك التيطري والشرق وكذا دار السلطان، لعدم الاستقرار بالنسبة لعاصمته نظراً للصبغة الحربية بسبب توتر العلاقات بين العثمانيين والمغاربة من جهة، وبقاء الاسبان فيه زهاء ثلاثة قرون من جهة ثانية.

إن البايليك لم يكن مجرد اجراءات تطبق على السكان، بل هو تركيبة ادارية وسياسية ترتبط بالمجتمع وتتفاعل معه بنظام محكم ودقيق، فكانت كل بايلىكية تحكم نفسها ولها إدارتها باعتبار أن الإدارة غير مركزية، من حيث المبدأ كان

(1) حكم الجزائر ثلاث مرات الأولى ما بين 1540-1552 والثانية ما بين 1557-1561 والثالثة ما بين 1562-1567.

(2) Robert, tinthoin, op.cit , p : 35 .

(3) Louis, rinn, « le royaume d'alger », in R.A, N°43, 1899.

(4) Josephe de, aramburu, op.cit , p : 09.

(5) Walsin, esterhazy, op.cit , p : 164.

(6) Ibid, p : 165.

(7) محمد بن يوسف، الزياني، المصدر السابق، ص190.

البابلك مقسما إلى عدد من الأوطان التي يحكمها قائد تركي أو كرغلي أو من أهل البلاد، وكل وطن يجمع عددا من القبائل التابعة لشيوخها والذين يعينهم الباي بحضور الآغاوات وكبار الموظفين وذلك بحصولهم على الخاتم والبرنس الأحمر، وكان يحدث أحيانا أن يتكون الوطن الواحد من قبيلة كبرى على رأسها شيخ ويحمل في الوقت نفسه لقب قائد، كما كان هناك قائد واحد للوطن أو لعدد من الأوطان.

إن تسمية الوطن كانت ترجع إما إلى اسم القبيلة الكبرى أو إلى اسم الجبل أو الوادي المشهور في ذلك الوطن؛ إضافة إلى ذلك نجد الآغاليك التي يديرها القياد أو آغا، ومجموعة آغاليك يحكمها باشا أو آغا أو خليفة⁽¹⁾.

2- الجهاز الاداري:

كان بابلك الغرب مقسما إلى ثلاث قيادات كبرى؛ قيادة الشرق وتشمل واد الشلف والمرتفعات المجاورة من مازونة حتى حدود دار السلطان اي إلى بوحلوان حوالي خمسة عشر كيلومتر شرقي مليانة، وكانت مسيرة من طرف خليفة الباي الذي يسكن مليانة، وكان يوجد ضمنها قيادة جندل التي كان يتبع لها بعض القبائل⁽²⁾، أما القيادتان الاخرتان فكانتا تشملمان باقي الأقاليم وتداران من طرف قبيلتي الدواير والزماله المخزنتين⁽³⁾؛ أي من عين كيال حتى مازونة، ومن البحر المتوسط حتى جنوب معسكر إلى أطراف الصحراء وبلاد اليعقوبية⁽⁴⁾.

وكان لهذين القبيلتين أربع آغاوات، إثنان لكل واحدة يتناوبون الخدمة والذي يعزل يسمى خزورجيا. وكانا مجبرين على تنسيق العمل بينهما لأن السكان الواقعين تحت نظرهما متداخلين فيما بينهم وهذا بتعمد من العثمانيين، حتى إذا فكر أحدهما في التمرد أمكن إحباط مشروعه عن طريق الآخر.

لقد كان الباي صاحب السلطة السياسية الأولى على البابلك وهو المسؤول الأول أمام الحكم المركزي، وهو إما تركي أو كرغلي، يعينه الداى؛ وكانت سلطة البايات مطلقة ومهمتهم تتمثل في تسيير شؤون أقاليمهم والإشراف على القوات العسكرية وعملية جمع الضرائب من الارياف ويسهرون على الأمن ولهم الحق في إصدار العقوبات ضد الأهالي باستثناء الأتراك الذي لا بد له من استشارة الداى لمعاقتهم⁽⁵⁾، كما كان لهم الحق في مصادرة الممتلكات ويتولون قيادة الجنود في المعارك⁽⁶⁾.

(1) محمد بن يوسف، الزباني، المصدر السابق، ص189.

(2) كانت قبيلتي اولاد هلال وأولاد عنتر شمال بوغار (المدية) تابعتين لقائد جندل.

(3) بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ص 274.

(4)

(5) المصدر السابق، ص191.

(6)

كان البايات مطالبين بالتوجه الى الجزائر مرة كل ثلاث سنوات ليسلموا عائدات بيالكهم المسماة بالدنوش الكبرى بالإضافة الى الضرائب التي كان يرسلها كل سنة عن طريق خليفته وتسمى بالدنوش الصغرى، إضافة الى التقارير عن اوضاع المناطق الخاضعة لهم، وكان يتم في نفس الوقت تجديد تعيينهم أو عزلهم نهائيا وذلك وفق لما كان يقدمونه من العائدات والرشاوي للداي واعوانه⁽¹⁾.

3-موظفو بايلك الغرب:

كان للباي على مستوى بايلك الغرب عدد من المساعدين الذين يقومون على مستوى محلي بمهام متشابهة لتلك التي يقوم بها اعوان الداى في العاصمة، كما لهم القاب ووظائف قريبة من بعضهم البعض، ورغم هذا التداخل يمكن تقسيمهم الى ثلاثة انواع:

أ/الموظفون القريبون من الباى: كان للباي مثلما كان للداي ديوان ينظر في شؤون البايك ومجموعة من الخدم يطلق عليهم الخداجية أو كراسة الباى⁽²⁾، وفي طليعة هؤلاء ما يلي:

-الخليفة: كان يوجد في بايلك الغرب خليفتان؛ الخليفة الكبير، وخليفة الكرسي، الأول يحضه له القواد ويذهب مرتين إلى العاصمة في الربيع والخريف لحمل الدنوش، وهو يلي الباى في المرتبة وينوب عنه أثناء غيابه، ويكلف في بعض الاحيان بقيادة المحلات لاستخلاص الضرائب من القبائل بمساعدة صبايحية الباى⁽³⁾، ومعاينة الثائرين وإخضاعهم ولأهميته كان يعين من طرف الداى.

أما بالنسبة لخليفة الكرسي فيعيه الباى، وينوب عنه في مقر البايك فقط، لذلك كان بمثابة آغا الباى.

-الخزندار: وهو المتكفل بأمر الخزينة، وله معاونان كحاجبين؛ إضافة إلى الباش دفتر الكبير والصغير، كما يوجد النقاد او المقتصد وهو صاحب السلطة على كل المصالح المالية والانفاق واعداد اموال الدنوش.

-آغا الدائرة: كان يعرف بعدة تسميات مثل آغا العرب أو خوجة الخيل، وينعت بالباش آغا، وهو قائد الحامية العسكرية العثمانية بمركز البايك؛ كان يعين مباشرة من طرف الداى ويوكل له مهمة تنفيذ قرار تنحية أو إعدام البايات بأمر منه، وقد عرف بايلك الغرب أربعة آغاوات إثنان من قبائل الدواير وإثنان من قبائل الزمالة⁽⁴⁾.

(1) Marcel,colombe,l'algerié turque,maisonneuve,paris,1957,p :116.

(2) Walsin,esterhazy,op.cit,p :246.

(3) Ibid, p :246.

(4) بن عتو، بلبراوات، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث غير منشورة، جامعة وهران، 2007-2008، ص293.

- السيارين: وهم محررو رسائل الباي؛ "باش سيار" و"سيار أوكايتو" و"سيار أتنجي" و"سيار أكانجي"، وهم وحدهم المكلفين بمراسلات الباي مع الباشا، والاتصالات الشفوية، والمسؤولين عن أسرار الدولة التي تسر إليهم ونقل الأوامر إلى مدن البايلىك عن طريق فرسان المخزن⁽¹⁾.
- وكيل الباي: كان مقره بالجزائر لتمثيل الباي، وتقديم سيار الباي إلى الداى وإخباره عن حالته الصحية وحالة الموظفين الساميين واكتشاف الدسائس التي كانت تحاك عليه.
- البيتمالجي: كان مكلفا بالمواريث أو بالأملاك الشاغرة.
- خوجة مخزن الزرع: كان يدير ويراقب تحضير خبز الجيش، ويوزع الحبوب والخبز الضروري ويحصى الأراضي الزراعية، وجباية العشور من الأوطان عن طريق القيادة ليأخذه إلى قائد العشور الذي يتولى بدوره إيصالها إلى المرسى الكبير وتسليمها إلى قائد المرسى⁽²⁾.
- قائد الدريية: كان مكلفا بمراقبة قصر الباي؛ والاشراف على حراسه، كان خصيّا اسودا، ويدعى آغا الطواشي.
- الترجمان: كان هناك ترجمانان: ترجمان الاتراك وترجمان العرب.
- امين السكه: ويدعى بسكها امين.
- قائد الظليلة: وهو حامل مظلة الباي، وكان خليفة لقائد قبيلة المكاحلية⁽³⁾، وتعتبر المظلة هي الرمز القديم للسلطة حيث تقي رأس الباي أثناء التظاهرات الاحتفالية في اقليم البايلىك.
- حاملو أعلام الباي: عددهم سبعة، ويقودهم "باش علام"
- الموسيقىون: يقودهم "باش غيّاط" وله تحت تصرفه "باش زرناجي" ويوجد من بينهم رئيس الأبواق، و"باش عولجي" وقائد الطبالين؛ وقيل أن للباي سبعة طبول وغوايط⁽⁴⁾.
- الباش سايس: وهو المكلف بخيول البايلىك وتربيتها، ويجهز حسان الباي عند سفره.
- رئيس الطباخين: ويدعى "اشجي باشي"، وهناك طباخ القهوة.
- قائد الطامة: وهو حامل الاواني التي يستعملها الباي في سفره.
- قائد الطابع: وهو المكلف بأمر الطابع.

Walsin, esterhazy, op.cit, p :247.

Ibid , p 246.

Ibid, p246.

Ibid, p:247 .

(1)

(2)

(3)

(4)

إضافة إلى العديد من الموظفين مثل قائد الجنان، وقاطع الرأس بأمر الباي ويقال له "طزبير" ومتولي سلاق الباي ويقال له قائد السلاق، والحلاق، وإمام مسجد القصر وغيرهم⁽¹⁾.

ب/الموظفون القائمون على شؤون المدن:

-**الحكام:** كان الحكام يمارسون السلطة السياسية والإدارية في الأوساط الحضرية ويختارون بأكثر عناية ودقة، واقتصرت مهامهم في مراقبة المداخل الضريبية الحضرية والإشراف على التنظيمات الحرفية، وشرطة المدن بقيادة المزوار ومراقبة الأسواق بقيادة المحتسب، وضمان النظام الاقتصادي والإداري⁽²⁾، وكان بعض الحكام يعينون مباشرة من طرف الداى مثل حكام تلمسان ومليانة لاهميتهم وتزايد صلاحياتهم⁽³⁾.

-**قائد المدينة أو قائد الدار:** كان آغا متقاعد يتصرف في شؤون المدينة وحراستها، والواسطة بين سكانها وموظفي البابلك؛ وكان هو الآخر يمد الجند بالمرتبات والأرزاق كل شهر ويقف على ضبط أملاك الدولة والمحافظة عليها، واليه يرجع الحكم في أمور المخالفات، وكان يعينهم الباي وهناك حالات خاصة مثل مازونة التي يتولى قيادتها بالتناوب واحد من بين العائلات الكرغلية الأربعة المقيمة في المدينة، لكن في عهد الباي الأخير حسن وقع خلاف على ذلك فأمر هذا الأخير بوضع قيادتها بين أترك وهران.

-**المفتيان:** هناك مفتي مالكي وآخر حنفي، كانا يعقدان جلستين خلال الاسبوع، كما يمنح لهم برنوسا أيضا تميزا عن اللون الاحمر الممنوح لشيخ القبائل⁽⁴⁾.

-**القاضيان:** هما قاضي تركي وآخر عربي، كلاهما يعقد جلسات يومية للحكم في القضايا المطروحة، ما عدا يوم الجمعة، ويصدران حكميهما، أما في حالة نقض الحكم من طرف المظلوم فيحق له الاستئناف أمام المفتي الذي يعتبر حكمه نهائيا.

-**المحتسب:** كانت مهمته التفتيش في الأسواق لمراقبة المكاييل والموازين وكذلك في الشوارع، ففي النهار يتولى هذه المهمة الكيخيا أما في الليل آغا الكل الذي لا بد أن يكون تركيا.

-**المزوار:** وهو الذي يراقب الحمامات وبيوت الدعارة، ويشرف على مجلس الشيخ، وكان امتيازه الأساس هو الحكم بالقضاء، وقد كان يعوض كل شهرين أو ثلاثة أشهر.

(1) Claude, bontems, les institutions algerienne sous la domination turque, faculte de droit, alger, 1970, p29.

(2) محمد بن يوسف، الزباني، المصدر السابق، ص 190.

(3) توفيق، دحماني، النظام الضريبي لبابلك الغرب الجزائري اواخر العهد العثماني 1779-1830، مذكرة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 40.

(4) Chevalier, d'arvieux, memoires contenant ses voyages a constantinople dans l'asie, la syrie, la palestine, L'egypte, et la barbarie, recueillis par le père labat, tos, paris, 1935, p284.

-قائد الباب: وهو المكلف بالرسوم الجمركية.

-قائد الزبل: وهو المكلف بنظافة الطرق والاسواق والابراج.

-الشيخ المشرف على الأوقاف: وهو بمثابة وكيل أو ناظر للأحباس خاصة المتعلقة بالحرمين الشريفين.

إضافة إلى أن المدن تحتوي على أمناء مختلف الحرف الموجودة فيها، وكذا أمناء مختلف المجموعات، ووجود العديد من الموظفين في الخدمات المتعددة كالمكلفين بالمكايل والموازين والبراح في الأسواق وغيرهم⁽¹⁾.

ج/الموظفون القائمون على شؤون الأرياف:

-القياد: لقد كان القياد يعينون من طرف الباى، وبصفة عامة يختار القائد من بين الأتراك أو الكراغلة، أما في المناطق التابعة لقبيلتي الدواير والزماله فقد كان كل آغا يعين قياده، والمهام المكلف بها: الشؤون المالية، جمع الضرائب أي له نفس المهام التي يقوم بها الحاكم على مستوى الحواضر فهو المسؤول على تنفيذ الحكم المركزي على مستوى الاوطان أو الأرياف⁽²⁾.

كانت مكانة القايد حسب الجهة التي يشرف عليها، وهذا ما جعل مثلا قيادة فليتة تحظى بالأولوية في بايلىك الغرب، وكان للقياد جنود صبايحية في خدمتهم يدعون بالقوم، وأسماء أخرى مثل المكاحلية أو "زماله القايد"، وبصفة عامة كانت في يد القياد جميع السلطات المدنية والعسكرية والقضائية⁽³⁾.

-قائد العشور: كان دوره مقتصر على تحديد مبلغ العشور المدفوع من طرف كل قبيلة؛ وهذا ما كان يدل على نوع من الاهمية في المنصب، لذلك كان غالبا ما يقع تعيينه تحت اجبار من طرف الآغا.

-قائد الدين: وهو رئيس مكلف بقبض الضرائب التي يفرضها الباى على القبائل، ويقتطع العشر كاجر له.

-الشيخوخ: وهم رؤساء القبائل، كانوا يعينون من طرف القياد، ومهمتهم الاساسية تتمثل في جمع الضرائب وحفظ الامن، وتنظيم التعاملات الاجتماعية والاقتصادية والقضائية، وكان الشيخوخ في الغالب يختارون من بين الاعيان وذوي النفوذ ومن الموالىن للبايلىك⁽⁴⁾.

-المكاحلية: كان للباى خمسة عشر مكاحليًا على راسهم قايد، مكلفين بحراسة الخزينة، ويعملون في ذلك مع الشوآش ويحملون رسائل الباى الى داخل البايلىك، ويتصرفون في توقيف المجرمين.

(1) عبد الرحمن، بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص128.

(2) Roger le,tourneau,les villes musulmans de l'afrique du nord,maison de livre,Alger,1957,p39.

(3) أحمد بن محمد بن علي، بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص 71-72.

(4) Claude,bontems,op cit, p :30.

-**الشوَّاش:** كان عددهم خمسة عشر؛ منهم خمسة شوَّاش أتراك: الأول وهو الرئيس يدعى "باش شاوش"، والآخرين حسب أهميتهم يدعون "شاوش أوقايتو"، "شاوش آكنجي"، "شاوش آتنجي"، "شاوش الصبايحية"، وعشرة شوَّاش عرب وهم شوَّاش قبائل الدواير والزماله والغرابه والحشم والبرجية والخمسة الآخرين تابعين للخليفة⁽¹⁾. وقد ذكر **المزاري** ان عدد شوَّاش الباى ثمانية؛ اربعة من الأتراك ويسمون "شوَّاش مادامو" واربعة من العرب ويقال لهم "شوَّاش بني عرب"⁽²⁾، ومهمتهم تتمثل في تحصيل الضرائب من شيوخ القبائل، وكانوا يلبسون لباسًا مغايرًا لشوَّاش الباى.

-**الزبنطوط:** وهم رجال غير متزوجين وبدون عائلات، كانوا يعتبرون القوة المشكلة للبابلك، يستعملهم الباى في حملاته ضد القبائل المتمردة، ويتكونون من خمسة خيام يقودهم بولكباشي ووكيل حرج، كانوا يركبون البغال السريعة ويوجد معهم العرب الذين يدعون بـ"العزارة" بقيادة عربي، وكانوا يتقاضون عشرة ريال بوجو في حالة نجاح حملات الباى بالبابلك، كما تمتعوا بعدة امتيازات كحق تسيير "مقهى الزبنطوط" بوهران ويعطى ذلك للأربعة الممتازين منهم⁽³⁾.

-**القوم:** وهم رجال من القبائل التي كانت تلتزم بتزويد وتموين الباى عندما يقوم بحملة، ويوكل لها رعاية الأخبية⁽⁴⁾، وبما ان العرب كانوا مولوعين بركوب الخيل فقد كانوا لا يخدمون الأخبية، وكان القوم متصلين بالمخزن؛ ويتوزعون بين الأغاوات والخلفاء والقياد بحسب ادارة الباى، كما ان للباى قوَّات من العبيد او الوصفان واغلب الظن انهم عبيد البخاري الذين اتوا مع مولاي اسماعيل في حملته علي بابلك الغرب 1678-1679 وتمَّ اسرهم.

-**الشوَّاف:** كان للباى مجموعة من الشوَّافين او عيونه على القبائل، يحددون له الموضع الذي تحيّم فيه؛ ففي عهد الباى حسن كان محمد بن الغماري شوَّافا لصحراء الانجاد وكان ياتي الى وهران على حين غفلة، وفي الحين كان الباى يعطي اوامره الى المخزن لركوب احصنتهم والذهاب بكل سرعة الى الموضع الذي شاهد فيه الشوَّاف القبيلة العاصية او الممتنعة في تلبية مطالب البابلك ويدهّم عليها، ثم يقومون بمفاجاة القبيلة والاستيلاء على ما يجدونه وهناك شوَّاف آخر للباى بوكابوس وهو بن دحمان شيخ اولاد عيَّاد في جنوب جبال الونشريس⁽⁵⁾.

Walsin, esterhazy,op.cit.pp :246-247 .

(1)

(2) بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ص272.

(3)

op.cit p :248.

(4) حسب استرهازي: الاخبية تنظيم عسكري عثماني مشتقة من خبي أي خيمة تتكون من 23 جنديًا.

(5) محمد بن يوسف، الزياتي، المصدر السابق، ص92-93.

وما يلفت الانتباه هو انه كان يوجد عدد كبير من الموظفين، حيث ان قصر الباي وحده كان يحتوي علي عدد كبير من الموظفين. وقد كان هذا النظام الاداري يفني بالاغراض المرجوة والمتمثلة في استخلاص الضرائب وحفظ الأمن على احسن حال وابقاء التنظيم المحكم على البايك الذي كان عرضة للاطماع الاسبانية من جهة، والاطماع التوسعية المغربية من جهة ثانية.

ثانيا: السياسة الداخلية لبايك الغرب خلال القرن الثامن عشر:

لا يمكن فهم السياسة الداخلية لبايك الغرب الجزائري خلال القرن 18 دون التعرض لأهم بايات هذا القرن مركزين على اهم الاحداث والانجازات التي عرفها البايك، كذلك التعرض الي علاقة البايك بالرعيّة والفئات المحلية.

بايات باييك الغرب الجزائري: 1-

لقد اولوا بايات الغرب الجزائري خلال القرن 18 اهتمامًا بالغًا لقضية تحرير وهران والمرسى الكبير من قبضة الاسبان، فبعد وفاة الباي شعبان اثناء محاصرته لمدينة وهران سنة 1686 حلّ محلّه الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراقي، لقد تربي الباي بوشلاغم في قصر الداى بكداش خوجة داي الايالة في تلك الفترة، كان الداى بكداش يكنّ محبة كبيرة لبوشلاغم لذا اختاره ان يكون بايا لبايك الغرب بين 1686-1733.

جاء الباي بوشلاغم الى الحكم وهو كلّه عزم لإخضاع كل البايك لسلطته والانتقام من الاسبان لقتل الباي السابق؛ فقد عرف البايك عهدا جديدا مع مجيئه، ففي سنة 1701 نقل مقر البايك من مازونة الي قلعة بني راشد ثمّ الى معسكر⁽¹⁾؛ لعدّة اسباب منها: كون بوشلاغم يبحث عن مقر يتوسّط البايك حتّى لاتبقى قبائل الجنوب تعيش في تمرد وعصيان دائم ورفض مستمرّ لدفع الضرائب، كما قام بعدّة حملات ضدّ هذه الاخيرة فيما بعد من اجل اخضاعها⁽²⁾.

كما يعتبر الباي بوشلاغم أول من تولّى بايا على مازونة وتلمسان، وجمع له باييك الغرب بشقيّه الشرقي والغربي⁽³⁾، فنقل كرسي الخلافة من مازونة الي معسكر وجعلها قاعدته لكونها وسطا بين مازونة وتلمسان اللتان كان لكلّ منهما باي مستقل عن الآخر⁽⁴⁾، اضافة لكون مدينة معسكر ذات اهمية استراتيجية نتيجة تحكّمها في المسالك التجارية، كما تحيط بها قبائل بني راشد التي تميّزت بتقربها من الحكّام العثمانيين، كما أنّ اختياره لمعسكر

(1) بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 275.

(2)

(3) المصدر السابق، ص 274.

(4) يحي، بو عزيز، وهران، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 89.

كونها تقع قريبة من وهران؛ فهذا الاختيار يعود لاستعداد الباي بوشلاغم لتحريرها، وقد وجد في الداوي محمد بكداش خير معين ومساعد له ومشجع فامدّه بالجيش والذخيرة وارسلها له تحت قيادة صهره ووزيره اوزون حسن، وعندما وصلت الى معسكر قادها بوشلاغم بعد ان ضمّ اليها مالدیه من القوّات⁽¹⁾، وكان ضمن رجالها الطلبة المرابطين⁽²⁾.

ففي سنة 1707 رابط قرب وهران التي كانت تحت السيطرة الاسبانية، وكانت قبائل بني عامر المتمركزة حول وهران حليفة الاسبان، لكن امام قوات الباي عرفت تقهقراً وتقربت منه وطلبت منه الأمان⁽³⁾؛ وفي سنة 1708 استرجع الباي وهران باسم داي الجزائر مستغلاً في ذلك انشغال الجيش الاسباني متابعة تطورات وراثة العرش بعد وفاة الملك شارل الثاني، وكمعاقبة لقبائل بني عامر نظير موالاتها للاسبان قام الباي بوشلاغم بنفيها الى جبال تسالة وجبال تلاغ، اما اراضيها المحيطة بوهران منحت كمكافاة لقبائل الدواير وقبائل عبيد المغربية نظير جهودها المبذولة في هذا الفتح، وعلي وقع هذا الانتصار نقل بوشلاغم عاصمة البائلك من معسكر الى وهران.

يعتبر عهد بوشلاغم أول فترة تاريخية يعرف فيها بايلك الغرب تحرره التام لجميع اراضيه وذلك منذ مطلع القرن السادس عشر، تاريخ احتلال وهران من طرف الاسبان واستمر حكمة على البائلك حوالي ربع قرن، حيث قام بانجازات هامة كالأعمال العمرانية نذكر منها على سبيل المثال برج الترك بمستغانم⁽⁴⁾.

وقد استمر حكمه الى غاية 1732، حيث قام الاسبان بهجوم على المنطقة ونزلوا بعين الترك بمنطقة راس فالكون وتقدموا نحو المرسى الكبير ووهران؛ ونتيجة لهذه الهجمة، وعدم تكافؤ القوى فرّ الباي بوشلاغم الى مستغانم لتصبح عاصمة البائلك سنة 1732 بينما وهران خضعت تحت السيطرة الاسبانية للمرة الثانية، وما يعاب على الباي بوشلاغم هو عدم تهديمه لحصون المدينة التي وجدها الاسبان جاهزة عندما عادوا اليها واستعملوها بسرعة في تحصين مواقعهم وتدعيمها⁽⁵⁾.

(1) يحي، بو عزيز، وهران، المرجع السابق، ص 89.

(2) محمد، بوشنافي، «دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الاسباني 1791 من خلال مصادر معاصرة»، مجلة عصور جديدة، العدد 01، 2011، ص 89.

(3) Abdelkader, el mecherfi, l'agrement de lecteur, notice historique sur les arabes soumis aux espagnols Pendant leur occupation d'oran (traduit par marcel bodin), in R.A, lxxv N°319, 2eme trimestre 1924, p226.

(4) محمد بن يوسف، الزياتي، المصدر السابق، ص 194.

(5) يحي، بو عزيز، المرجع السابق، ص 92.

لقد قام الباى بوشلاغم بحملة عسكرية اخرى ضد وهران بمساعدة 5000 جندي مبعوثين من الجزائر، فكانت هذه آخر محاولة جديّة حيث تمكن لمقتل ابنه بقتل الماركيز دي سانتا كروز وعدد من الضباط الاسبان⁽¹⁾، وفي سنة 1734 هاجم بوشلاغم برج العيون حول وهران ووصل الى ابواب المدينة ولم يتمكن من احتلالها، وهكذا بقيت الامور على هذا الحال؛ معارك تكاد تكون مستمرة بين الاسبان والعثمانيين الى غاية 1791.

توفي الباى بوشلاغم سنة 1737 ودفن بمستغانم بالمطمر⁽²⁾، ودفن معه فيما بعد صديقه وخادمه الامين الآغا البشير بن احمد بخده جدّ البحايشية⁽³⁾.

بعد وفاة الباى بوشلاغم تولى الامر ابنه يوسف المسراقي بين سنوات 1737-1738 حيث اعاد مقر البابلك الى معسكر، لكنّه لم يتصف بقوة وفضائل ابيه وهذا ما دفع كراغلة تلمسان بالتمرد ضده سنة 1738 وطرد القائد المعين من طرف السلطنة العثمانية⁽⁴⁾.

لقد مكث يوسف بن مصطفى بوشلاغم سنة واحدة في الحكم ومات بالوباء بتلمسان⁽⁵⁾، وأثناء عهده استمر محي الدين المسراقي خليفة مصطفى بوشلاغم في إدارة شؤون البابلك أمام ضعف الباى يوسف، ولما اطّلع هذا الأخير على ما كان يحاك ضده فرّ إلى تلمسان وتوفي هناك⁽⁶⁾.

وبهذا فقد عمل محي الدين المسراقي على تعيين ابنه مصطفى الأحمر المسراقي الذي مكث في الحكم لمدة عشر سنوات بين 1738-1748، مع إبقاءه مقر البابلك في معسكر حيث أحاطها بالتحصينات والأسوار، مات مسموما من طرف عائلة زوجته ونقلت جثته من معسكر إلى مستغانم ليُدفن بقبة بوشلاغم، حيث كانت لها أوقاف هامة تتمثل في منازل وحدائق وحوانيت يشرف عليها إمام لإدارتها وخصصت مداخلها لفائدة أوقاف الحرمين الشريفين⁽⁷⁾.

لقد جاء بعد مصطفى الاحمر المسراقي الباى الملقب بقائد الذهب المسراقي، ولقب بذلك لكثرة سخائه وعطائه للناس، كما يقال له باي المحال⁽⁸⁾، اي كان قائدا على المحال⁽⁹⁾، لكن بعد تحالف عصمان حاكم تلمسان

(1) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 418.

(2) يقع حي المطمر في الضفة الشرقية لواد عين الصفراء الذي يخترق وسط مستغانم ويصب في البحر الابيض المتوسط.

(3) بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 276.

(4)

Walsin, esterhazy,op.cit,p : 175.

(5) عن الوباء انظر:

فلة، موساوي القشاعي، "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله"، مجلة دراسات انسانية، العدد 12001، ص

141

op.cit, p175.

(6)

ibid, p : 176.

(7)

(8) محمد بن يوسف، الزياتي، المصدر السابق، ص 194.

آنذاك مع المحال ضد البايع واطعان العصيان فرّ هذا الاخير الى وهران واستقر هناك الى ان لحقه المحال بنجعهم فرارًا من عصمان، ولما حصل بينه وبينهم الصلح رجعوا الى مواطنهم بين واد مينه والشلف واتوا بالبايع وولوه عليهم، وخرجوا عن حكم عصمان بموافقة داي الجزائر، لكن بعد ذلك فرّ قائد الذهب المسراي الى تونس ومكث بها الى ان مات⁽¹⁾. ثم جاء بعده البايع ابراهيم المجاجي؛ وبقي في الحكم تسعة اعوام الى ان قتل ليأتي بعده البايع عثمان الملقب بعصمان بن الحاج ابراهيم حيث كان حاكما على تلمسان وثار عليه سكانها مع البايع يوسف المسراي، وتولّى في المرة الثانية الحكم على جميع البايك وانتقم لنفسه من التلمسانين وقبائل المحال اشد انتقام، استمر في الحكم مدة تسعة عشرة عامًا ؛ ومن بين انجازاته العمرانية بناءه للجامع الاعظم بمعسكر سنة توليته الحكم، كما بنى القبه والدار التي تقع بالقرب من هذا الجامع وتعرف لدى الناس بقبة البايع ابراهيم لكونه مدفونا فيها⁽²⁾.

لقد توفي عصمان بمعسكر سنة 1771 ودفن بها وخلفه حسن باي واستمر حكمه ثلاث سنوات بين 1771-1773 ، واثناء تاديته لعملية ايصال الدنوش الى دار السلطان وامام غضبه من الاستقبال الذي حظي به وخوفا من الانتقام فرّ الى تلمسان ثم الى وهران ثم الى استانبول، فجاء من بعده البايع ابراهيم الملياني؛ خلال هذه الفترة عرف بابك الغرب فترة هدوء لانه وضع حدًا للاضطرابات بعد ان خمد صوت المحال.

لقد اتصف ابراهيم الملياني 1774-1783 بحبه للعلماء والفقهاء، حيث رتب العلماء حسب رتبهم العلمية وكان يكثر من مجالستهم والمذاكرة معهم، اما عن آثاره المعمارية فقد بنى برج العسكر بمعسكر⁽³⁾، استمر في الحكم مدة عشرة سنوات، ومات بمعسكر سنة 1783 ودفن بالقبة التي بناها البايع عصمان للشيخ عبد القادر الجيلاني قرب الجامع الاعظم ليحل محله البايع خليل التركي واستمر محمد بن عثمان في ممارسة وظيفته كخليفة، علمًا انه بعد وفاة ابراهيم الملياني ترقب الجميع ان منصب البايع يعود بجدارة واستحقاق الى محمد بن عثمان لكن اختيار الدايع وقع على الحاج خليل الذي عرفت فترة حكمه تمرد سكان تلمسان بقيادة القائد الدرقاوي سيدي محمد بن على احد المتعصبين لسيدي العربي الدرقاوي بفاس⁽⁴⁾، حيث تنقل البايع الى عين المكان من اجل وضع حدّ لهذا

(9) المحال قبائل عربية كانت متمركزة خاصة حول تنس، مازونة، مستغانم.

(1) بن عودة، المزارعي، المصدر السابق، ص 281.

(2) محمد بن يوسف، الزياتي، المصدر السابق، ص 195.

(3) نفسه، ص 285.

(4)

التمرد، واثناء تاديتة لهذه المهمة توفي هناك⁽¹⁾، ودفن بقبة سيدي السنوسي سنة 1784 ، لم يكن الحاج خليل يحب الاولياء ومبغضاً للعلماء وغيرهم من اهل النفع⁽²⁾.

بعد وفاة الباى حاج خليل عيّن خليفته محمد بن عثمان الذي لقب فيما بعد بالكبير بايا لبايلىك الغرب وذلك بعد تعيينه من طرف الداى، ورغم الصعوبات التي واجهت عهد محمد الكبير المتمثلة في المجاعات والابوئة خاصة الطاعون سنة 1786 الذي اشتهر بين الناس يومئذٍ باسم "حبوية الامجاد"⁽³⁾، وزاد مفعوله بين الناس مما دفع بالبايى محمد الكبير وعائلته الابتعاد عن مقر البايلىك والاستقرار بسهل ملاته لمدة ثلاثة اشهر قرب وادي تليلات ونصب الخيام، وقد جعل الباى خيمته من الوبر الاحمر واحاط بها الزمالة ثم الدواير فسمي ذلك العام بـ"عام الخيمة الحمراء"⁽⁴⁾، اضافة الى ذلك الكوارث الطبيعية المتمثلة في الزلازل، الا انه بذل جهوداً خلدت اسمه .

انصف الباى محمد بن عثمان بصفات القوة والشجاعة، فهو ابن ابراهيم الكردي، بدا قائداً على فليته⁽⁵⁾؛ سنة 1765 ثم خليفة للباى سنة 1768، وفي سنة 1784 ارتقى بايا بمعسكر⁽⁶⁾، عرف عند العرب باسم "محمد الاكل"⁽⁷⁾.

لقد كشف محمد بن عثمان عن قدرة نادرة في قيادة قبائل فليته، ومن هذا المنطلق عيّنه الباى ابراهيم الملباني خليفة له سنة 1768 حيث اشركه في كل مهامه بل سلم له ادارة كل المنطقة الشرقية للبايلىك، هذه الممارسات منحتة تجربة كبيرة في تسيير قيادة البايلىك⁽⁸⁾.

ان اسم محمد بن عثمان شاع وهو لا يزال خليفة، وذلك اثناء مشاركته كقائد لقوات البايلىك التي شاركت إلى جانب القوات الأخرى سنة 1775 عندما هاجم الاسبان بقيادة أوريلي oreilly العاصمة وسميت هذه الحادثة بيوم الحراش حيث شاركت فيها كل البايلىكات الثلاث؛ بايلىك قسنطينة بقيادة صالح باي وبايلىك المدية بقيادة مصطفى الوزناجي وبايلىك الغرب بقيادة محمد الكبير وبمعيته حوالي عشرة آلاف محارب، وكان النجاح في هذه المعركة يرجع إلى الدور الذي قام به، وانتهت بانحزام الإسبان⁽⁹⁾؛ نتيجة لهذا الدور والنجاح كان الجميع يتربق بعد

Faure,biguet, op.cit ,p :409.

(1)

(2) بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 287.

(3) الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد، المرجع السابق، ص 263.

(4) محمد بن يوسف ، الزياتي، المصدر السابق، ص 205.

(5) فليته: قبائل عربية تنقسم الى اربعة فروع، كانت متمركزة حول بلدة زمورة وهي بطن من بطون سويد.

(6) مولاي، بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979 ، ص 151.

(7) André,gourguos, « notice sur le bey d'oran mohamed el kebir » in R.A N°1,1856,p :405.

(8) Ibid,p :408.

(9) Walsin, esterhazy, op.cit, p :186.

وفاة الباي ابراهيم الملياني أن يعين محمد بن عثمان بايا لبابليك الغرب، لكن غالباً ما كانت المناصب تمنح مقابل مبالغ مالية.

لقد قام الباي محمد الكبير بأعمال هامة مجّدت اسمه ويأتي على رأس أعماله استرجاع مدينة وهران وتحريرها للمرة الثانية من قبضة الاسبان، حيث قام منذ 1791 بمحاصرتها وانتهى الوضع بفتحها سنة 1792، كما أمضى أول اتفاق سلام بين المملكة الاسبانية والايالة الجزائرية يوم 29 أوت 1786، وأثناء هذه الظروف عرفت وهران في بداية أكتوبر 1790 زلزالاً عنيفاً تبع بالحصار العسكري سنة 1792 مع رفعه أثناء فصل الشتاء والعودة إليه في بقية المواسم، وانتهت هذه العملية بفتح المدينة واسترجاعها نهائياً سنة 1792 بعد إبرام اتفاق 12 سبتمبر 1792، وبعد فتحها جعلها الباي محمد الكبير عاصمة للبابليك، فهو أول من لقب بباي وهران وشمل حكمه بابليك الغرب بأكمله.

لقد قام محمد الكبير بإنجازات حضارية هامة شملت حواضر عديدة من بابليك الغرب، فأعاد تشييد وهران وتنشيطها رغم الزلزال الذي خلف خسائر بشرية ومادية هامة إلا أن مشاريع الباي أعادت الحيوية إليها حيث شجع سكان المدن الآتية معسكر، مازونة، تلمسان، مستغانم، مزغان والقبائل المجاورة على الاستقرار والاقامة بوهران، بل عرفت قدوم حتى المغاربة من مدينتي وجدة وفاس، كما شجع الجالية اليهودية بمستغانم إلى التنقل إلى وهران من أجل إعمارها وإعطائها حركية اقتصادية⁽¹⁾.

لقد اهتم محمد الكبير بالجانب العلمي والثقافي، وكانت له علاقات حسنة مع رجال العلم والمعرفة كما اتصفت هذه العلاقات بالودّ مع عبيده الاجانب⁽²⁾، كما تمكن من اخضاع معظم القبائل المتمردة وارجامها على دفع الضرائب مما أدى الى ارتفاع واردات البابليك المالية؛ كانت الضرائب تهدف اساساً الى تغطية مختلف النفقات والحاجات الضرورية مثل رواتب الموظفين، توفير فائض الانتاج من المواد الاولية مثل الحبوب والصوف والجلود والزيت والعسل للتصدير.

اضافة الى ماسبق؛ فهناك الاعمال العمرانية كتجميل وزخرفة بعض المساجد في معسكر كجامع السوق والمسجد العتيق⁽³⁾، كذلك انجازه للمسجد الكبير بوهران الذي حمل اسمه، كما امر بتهديم جزء من التحصينات والابراج التي

(1) Norbet, bel-ange, les juifs de mostaganem, edition l'harmattan, paris, 1990, p : 52.

(2) Desfontaines et payssonel, voyage dans les regences de tunis et d'alger (presentation : dureau de la Malle), volume 2, gide, paris, 1858, p : 153.

(3) Andre, gourguos, op.cit, p : 408.

بناها الاسبان بوهران مع ابقاء البعض منها: كبرج راس العين (saint fernando) وبرج الاحمر saint philippe) وبرج المرجاجو (santa cruz) (1).

لقد مثل عهد محمد الكبير ذروة الازدهار وتقدم باييك الغرب الجزائري في العهد العثماني والقرن الثامن عشر خاصة، وأثناء تأديته لعملية إيصال الدنوش وهو عائد من دار السلطان مات بالقرب من مازونة سنة 1799 وحمله اولاده ميّتا الى وهران، وقيل في موت الباي محمد الكبير ان حسن باشا بعث اليه من سقاه سمّاً وهو ينزل قبيلة اولاد قصير(2)، بينما استرهازي يؤكد انه توفي من غير مرض بمنطقة سباو بقبطنة اولاد خويدم(3)، وقد ترك اخاه المعروف ببوكابوس وابنان هما محمد المقلّش وعثمان الذي كان يشغل منصب خليفة للباي اثناء حكم ابيه، وقد عين هذا الاخير بايا بعد وفاة محمد الكبير.

وبهذا فقد سيطر علي الحكم طيلة القرن الثامن عشر في باييك الغرب الجزائري عائلتان مع بعض فترات انقطاع هما عائلة بوشلاغم التي مكنت في الحكم من 1696 الى 1760 مع توقف من 1738 الى 1748 وعائلة محمد بن عثمان الملقب بالكبير من 1779 الى غاية 1830.

2- قبائل باييك الغرب وتنظيمها:

كانت القبيلة في باييك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر هي الوحدة السياسية للسكان مثل العائلة، ووحدة اجتماعية تتكون من تجمع عدد من الدواوير تنتمي الى جدّ مشترك كما تمثل وحدة اقتصادية واستقلالية ادارية نسبية.

انّ القاعدة الاساسية لتنظيم القبائل كانت تتمثل في تجمّع عدد من الدواوير او الحيام؛ ومجموعة هذه الدواوير تشكل فرقة يحكمها شيخ يعقد اتفاقاً على الولاء للعثمانيين وهذه القبائل ليست غريبة عن بعضها البعض، حيث تنتمي الى نسب واحد واعلى طبقات النسب هي الشعب ثم القبائل ثم العمائر ثم البطون ثم الافخاذ ثم الفصائل(4). وقد كان التقسيم في هذه الفترة هو ان الشعبة تسمى صقاً والقبيلة عرشاً والفرقة خروبة، وقد انتهج العثمانيون سياسة وذلك بتحريض واحدا على الآخر فيفضلون هذا ويعادون ذاك ويجعلون التنافس بينهم حتى لاتتحد فيما بينها.

(1) Walsin, esterhazy, op. cit, p :194.

(2) احمد الشريف، الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر (تحقيق: أحمد توفيق المدني)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص 63.

(3) op. cit, p ::197.

(4) عبد القادر، محمد الامير، مذكرات سيرته الذاتية (تحقيق: محمد الغير بناني وآخرون)، ط3، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص 82.

وقد تقاسمت اوطان بايالك الغرب خلال القرن الثامن عشر عدّة قبائل تتمثل على النحو التالي:

1/ القبائل المخزنية: كانت تتمركز في المناطق الاستراتيجية، وفي ضواحي المدن والحاميات لتسهيل حركة مرور الجنود، وفي الاسواق وبجانب مخازن الحبوب والطواحين وغيرها وتكلف بحراسة الابراج والحصون والمقرات الرئيسية والمسالك الجبلية، وكان يعتمد عليها في استخلاص الضرائب وحفظ الامن؛ وكانت تتمتع بالاعفاء من الضرائب غير الشرعية.

كانت قبائل المخزن في بايالك الغرب تظهر في توزيعها على شكل خطين متوازيين؛ الاول بمحاذاة الجبال التلية من سبخة وهران الى منتصف وادي الشلف، والثاني في اطراف الصحراء من سعيدة الى سبدو الى غاية الحدود الصحراوية وهذا ما كان يسمح بمراقبة واحكام القبضة على قبائل الرعية⁽¹⁾.

لقد ذكر المزارى أن مخزن وهران تشكّل من قسمين: **المخزن الشرقي** وهو نجع المكاحلية وأولاد سيدي عربي وصبيح وأولاد العباس وغيرهم من وادي مينه إلى وادي الشلف، أما **المخزن الغربي** وهو نجع الدواير، الزمالة، الغرابة والبرجية⁽²⁾.

بينما استرهازي ذكر أنّ مخزن وهران تشكل من سبعة عشرة قبيلة وهي: الدواير، الزمالة، الغرابة، البرجية، الحشم، بني شقران، شربريح، سجرة، بني غدو، المكاحلية، اولاد احمد، اولاد بوعزازة، عكرمة، اولاد سلامة، اولاد العباس، اولاد خويدم، عبيد شراقة⁽³⁾، وقد كان لدى الدواير 129 منزلاً تشكّل 23 تجمعاً سكانياً، وللزمالة 30 قرية تحتوي على 161 منزلاً، وللغرابة 138 منزلاً تكون 23 قرية، وكانت قرى بني شقران بنواحي معسكر تشكل 122 منزلاً، وكان قائد الدواير يدعى **قائد آغا** يتحكم في الدواير والبرجية والحشم واولاد عيسى واولاد العباس واليعقوبية والغرابة وغيرها. اما **قائد الزمالة** فكان له خمس قبائل فقط وهي: الزمالة، مجاهر، حميان، الغرابة، اليعقوبية.

لقد كان **اقليم الدواير** محددًا بالبحر المتوسط شمالاً ووادي المالح غرباً وحمام بوحجر وعين الاربعاء في الجنوب الغربي، وجبال تسالة جنوباً ووادي تليلات شرقاً، وقد احتلت القبائل المخزنية مرتبة اجتماعية ممتازة حيث أنّ

(1) Marcel, emerit, l'algerie a l'epoque d'abdelkader, edition la rose, paris, 1951,p :52.

(2) بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 30.

(3) Walsin, esterhazy,op.cit,p :266.

وضعيتها كحليف للباييك تمنحها الأمان ومهمتها المتمثلة في جمع الضرائب التي تمنحها نوعاً من السلطة والجاه⁽¹⁾، وفيما يلي نظرة موجزة عن أهم القبائل:

أ/الدواير: تعتبر القبيلة الاقوى في مخزن وهران، استقرت بباييك الغرب سنة 1750 وتتربع علي مساحة اراضي تناهز 140 الف هكتار⁽²⁾، على بعد ثلاث مراحل عن وهران في سهل خصب، هذه الاراضي كانت قبل قدومهم ملكاً للاندلسيين، وكانت رئاسة الدواير تدور بين ثلاث فرق او مجموعات هي:

1-البحايشية: ينتمون الى قبيلة سويد العربية، وهناك من ذكر بانهم بقايا جيش مولاي اسماعيل تكاثرت فروعهم واعقابهم والدخلاء فيهم حتى تكونت منهم الدواير⁽³⁾، يعتبرون من اكبر الفرق المنتسبين الى اولاد البشير البحتاوي وكانوا يسكنون في نواحي العامرية بين وهران وتلمسان وينقسمون الى سبعة فروع هي: اهل بلحضري، اهل مصطفى بن اسماعيل، اهل المزاري، اهل القاضي، اهل قدور بن اسماعيل، اهل الزوابرية، الكواحلية.

2-الكراطة: وهم من الراشدية بمدينة الكرط بمعسكر، وهم عائلة اولاد الشريف الكرطي تكونوا من سبعة دواير هي: شرايفة، كراتسة، كراطة، فراطسة، اولاد بن ساعد، عائلة المرابط، اولاد سيدي البشير، واغواط بوحجر، وقسم من بني عامر بالاغواط استقروا عند الدواير⁽⁴⁾.

3- البناعدية:نسبة الى جدّهم بن عدّة بن خدّة المنحدر من ذريّة الشيخ السنوسي⁽⁵⁾، وهم من الحشم، وكانت الرئاسة لعائلي اولاد شريف واولاد بن عقّان التي جاءت منها مصطفى بن اسماعيل⁽⁶⁾.

ب/الزماله: إن سبب تسمية الدواير والزماله يعود إلى عهد الباي محمد الكبير حيث انتشر وباء الطاعون سنة 1786 فانقل الباي وحاشيته إلى خارج المدينة نحو سهل ملاتة ونصب خيم من الوبر ليسكن فيها وجعل خداما في دائرة خيامه، فسموا بالدواير وعين آخرون لحمل أثقاله وأثقال جنوده فسموا بالزماله فأصبحوا زماله الباي ودوائره كما أن الدواير جمع دوار وهو الدشرة الأقل من القرية والزماله هي المخزن الثابت من الفرسان والمخيم الدال على التنقل والترحال.

(1) فتحة ، الواليش، المرجع السابق، ص 29.

(2)

Robert, tinthoin, op.cit,p :32.

(3) محمد، السليمانى، اللسان المعرب عن تهافت الاجنبي حول المغرب، ط1، مطبعة الامنية، الرباط، 1977 ، ص ص 77-78.

(4)

op.cit,p :37.

(5) بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ص 31.

(6) للمزيد عن هذه المجموعات انظر:

بن عتو، بلبروات، المرجع السابق، ص ص 254-255- وص ص 258-259-260 .

كانت رئاسة الزمالة تدور بين ثمانية أعراس هي: الشوايلية، الونازرة، المخاطرية، المخاليف، القدادرة، القرايدية، المعايزية، الوردية؛ فالونازرة كان يخرج منها قائد القبيلة وقائد مكاحلية الباي وكان للقدادرة آغاوية القبيلة وقائد المكاحلية، أما بني وّراد فكان لهم آغاوية الزمالة⁽¹⁾.

ج/الغرابية: يطلق عليهم لفظ العبيد أو عبيد البخاري جاؤوا مع مولاي اسماعيل وانقسموا إلى قسمين: عبيد الغرابية شمال سيق، وعبيد الشراقة بين واد المقطع وبوقيراط⁽²⁾، وكانت رئاسة الغرابية تدور في ثمانية فروع: الوردية، العلامية، الخدايمية، الوناونية، السهايلية، المحاميد، الرفافسة، العوايلية⁽³⁾.

د/البرجية: كانت قيادتها تدور بين النقايبية والبلاغة الزبانيون بالتناوب فالأولى من قبيلة الخلافة أبناء عم الأمير عبد القادر والثانية نسبة إلى جدّهم آعمر البلغي الزباني⁽⁴⁾.

هـ/الحشم: إن لفظ الحشم مأخوذ من الحشمة وهي الحياء، كانوا خدّاما وحشما لبني زيان ملوك تلمسان، ثم أصبحوا قبيلة مخزنية في حدود سنة 1790 وذلك بأمر من الباي محمد الكبير، انقسموا إلى عدة فرق فهناك فرق في واد الحمام مع المشاشيل يشكلون مخزنا، أما البقية تابعة لمخزن آغا الدواير، كان للحشم امتياز امتلاك الأراضي في الضفة اليسرى من واد الحمام حتى سهل هبرة، ولا يدفعون كثيرا من الضرائب، كما كانوا لا يتخلون عن سياستهم التوسعية طيلة التواجد العثماني في بايلك الغرب الجزائري⁽⁵⁾.

و/المكاحلية: كانت هي الاخرى قبيلة مخزنية وتتضمّ البطون التالية: اولاد احمد، اولاد بوغراة، اولاد العباس، اولاد سلامة، وهم من عبيد البخاري.

ز/القبائل الاربعة لبني شقران وشربريح، سجراة، بني غدّو: كان يقود هذه القبائل قائد واحد يدعى قائد العواوة وكان البعض منها موضوعاً ضمن قبائل الرعية⁽⁶⁾.

لعبت قبائل المخزن على مستوى بايلك الغرب دوراً هاماً نتيجة الظروف المميّزة له منها الوجود الاسباني في مدينة وهران والمرسى الكبير وتحالف بعض القبائل معه، والعمل على محاربة هذا الوجود، وبفعل الانتساب

(1) Robert,tinthoin, op.cit,p :39.

(2) يحي، بوعزيز، حديث حول محاربة الأمير عبد القادر للشيخ التيجاني، منشور في كتاب مصطفى بن التوهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995، ص 354.

(3) بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ص 32.

(4) نفسه، ص ص 30-32 .

(5) E,lespinasse « notice sur le hachem de mascara »,in R.A N°21,1877, p :141.

Walsin, esterhazy,op.cit,p :266.

(6)

والاستقرار والنشأة على اراضي البايلك اكتسبت هذه المجموعات البشرية كيانا مستقلاً متميزاً، واصبح امتداد نفوذ العثمانيين داخل البلاد يقاس بمدى نشاط هذه القبائل⁽¹⁾.

2/قبائل الرعية: كانت تتكون من مجموع القبائل الخاضعة مباشرة للبايلك وتقيم في القرى والدواوير التي كانت تراقبها قبائل المخزن ويشكلون غالبية السكان.

إن نظام تحديد قبائل الرعية في بايلك الغرب كان متشابكا ومعقدا في التبعية والولاء لعدة جهات، وفي الاستقرار من جهة أخرى، فكان ذلك مثل لعبة الشطرنج في تعقدها وتداخلها⁽²⁾، وكانت قبائل الرعية توجد عموما في موضع التافنة وتشكل شريطا بسبدو ومكزة وتليلات وجبال تسالة وطافراوي إلى الشطوط وسعيدة وفرندة وتيارت وزمورة وفي جنوب وشمال مازونة وغيرها وأغلب هذه القبائل كانت تسكن في الجبال الملائمة للزراعة أو في الهضاب الداخلية وشكلت المورد الرئيسي للبايلك خلال القرن الثامن عشر أمام نقص وغياب مداخيل البحر، وفيما يلي نظرة على هذه القبائل:

ا/رعية الباي: كان الباي يشرف مباشرة على النجوع المشكّلة للقبيلتين القويتين؛ قبيلة بني عامر وقبيلة مجاهر، وعند غيابه يتولّى خليفة الكرسي مع القياد المكلفين بهما وهما قائد بني عامر لقبيلته وقائد مستغانم لمجاهر.

كانت قبيلة بني عامر تتشكّل من ثلاثة بطون هي: بنو يعقوب او اليعقوبية، شافع، بنو حميد، ومن قيادتين كبيرتين هما: بني عامر الغرابية وبني عامر الشراقة، أما الرئاسة فكانت لديار اولاد دموش واولاد حمد بن عمارة، واولاد حمد بن خليفة؛ لقد قام محمد الكبير بعد فتح وهران بوضع قبيلة من الدواوير في وسطهم لمراقبتهم وهي قبيلة الحساسنة على اثر ظهور الدرقاوية في بايلك الغرب⁽³⁾.

أما قبيلة مجاهر فكانت النجوع المشكّلة لها هي: اولاد بوكامل، اولاد معلف، الغفارة، اولاد عيناس، اولاد شافع⁽⁴⁾.

ب/رعية الخليفة: كلّ ماكان يهّم الخليفة هو ضمان المواصلات الى الجزائر، لذلك كان يركّز على حوض الشلف ونواحي تنس فبمحيط الشلف كانت توجد 23 قبيلة، ونواحي تنس 12 قبيلة، أما القبائل التي كانت تحت نفوذه؛ ففي السهول نجد عياشة، واولاد يونس او شرفاء الجبل وبني زنطيس وبني مديونة وبني زروال، واولاد بورحمة، اولاد خلوف، زريفة، وعشعاشة، بني مدّون، صبيح، حميس، اولاد فارس، اولاد قصير، سنجاس، العطّاف

(1) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 101.

(2) Pierre, boyer l'évolution de l'Algerie mediane(ancien departement d'Alger de 1830 à 1956), Maisonneuve, Paris, 1960, p :46.

(3) pierre,boyer «historique des beni ameur des origines au senatus consulte» in R.O.M.M,N°24,1977, pp :56-85.

(4) Walsin, esterhazy, op.cit,p :277.

وبني حمد؛ أما في الجبال فهي وبني وراغ وبني مسلم وحلوية وشكلة، والبصرة ومطماطة والونشريس وبني بدوان، اولاد عياد والبسناس التي تعتبر آخر قبيلة تابعة للخليفة ومنها يدخل قائد جندل.

ج/ رعية قائد جندل: كانت تمتد نفوذه الى ثنية الحد التي كان بمحيطها 11 قبيلة والى اقصى شرق الونشريس حيث يتحكم في قبيلتي اولاد عنتر، واولاد هلال وكانت رعيته الاساسية تتكون من قبائل زرج (زقزق)، وعبيد سدره وبني معيدة وبني بوراشد⁽¹⁾.

د/ رعية فليته: كانت قبيلة فليته تشمل على بطون وعشائر عديدة بين غليزان وتيارت، كان يعين لهما قائداً هاماً لخطورتهم، كانت تضمّ عموماً 21 بطناً اهمها سويد، اولاد رزين، اولاد بوعلي والعنتر، اولاد سيدي علي، منداس، عكرمة الغرابية، عكرمة الشراقة، الحساسنة، بني درقن؛ وقد كان يشرف على فليته وراثياً عائلة سيدي العربي.

هـ/ رعية نواحي تلمسان: كان بتلمسان قائدان، قائد المدينة وقائد الجبل؛ فالاول كان يتحكم في بني وزان والغسل، اولاد سيدي العبدى، بني سنوس، بني ورنيدي، ولهاصة، أما الثاني فيتحكم في الجويدات، اولاد رياح، اولاد رياش، بني صمّيل، بني بوسعيد وغيرها⁽²⁾.

و/ رعية اليعقوبية: اليعقوبية منطقة تقع جنوب معسكر الى غاية الشط الشرقي، وقد كانت مقسمة الى فرعين: غربية تابعة الى آغا الدواير، وشرقية تابعة الى آغا الزمالة واهم قبائلها هي المهايلى، اولاد بالغ، الجعافرة، بني مطهر، الاحرار الغرابية، حميان ببطينها الغربي والشرقي، وفي بلاد اليعقوبية لم يكن يعمل بنظام الاوطان وأما كان يعتمد على نظام شبيه بالمخزن والذي يلغي جزئياً التدّخل العثماني.

3/ القبائل الحليفة: كانت هذه القبائل تعتمد على النفوذ الديني والروحي لرجال الطرق الصوفية والزوايا وعائلات المرابطين وهذا مانجده في قبائل اولاد سيدي الشيخ التي كانت حليفة ومقربة من البايلك، الذي كان يقدم الهدايا والترضيات في مقابل حفظ الامن في منطقتها وضمان تحصيل الضرائب من القبائل التابعة لها.

4/ القبائل المستقلة: كانت هذه القبائل في منأى عن البايلك وممتعة عن تلبية المطالب المخزنية المختلفة، يقطن معظمها في المناطق الجبلية الوعرة او في اقصى الحدود الغربية، اغلبها تطلب الترحال مثل الاحرار، المهاييا، براس،

Walsin, esterhazy, op.cit., pp :275-276.

Ibid,p :271.

(1)

(2)

وبني مّناد وغيرها، كما أنّ معظمها كانت منطوية على نفسها ومحافطة علي حريتها وأنّ بعضها لم يذغن ابدأً للباييك مثل قبيلة سويد غرب مليانة التي كان العثمانيون يجبون منها ضرائب ثقيلة⁽¹⁾.

ولاتكتمل الفائدة دون التحدّث عن القدرات العسكريّة للقبائل وما كانت تقدّمه من فرسان ومشاة، وفيما يلي

تقدير فرسان البايك لاسترهازي⁽²⁾:

الفرسان	القبيلة
15000	الدواير
900	الزمالة
200	الغراية الشراقة
2000	الحشم
500	البرجية
100	سجّارة بني شقران شربريح بني غدّو
200	المكاحلية
50	اولاد حمد، اولاد بوغرة
100	اولاد عدة، اولاد زرفة
100	عكرمة
200	اولاد العباس
100	اولاد خويدم
50	اولاد خضرة
50	اولاد قويدر
50	عبيد شراقة

جدول(1):القدرات العسكريّة لقبائل باييك الغرب الجزائري في جيش الباييك.

Robert, tintoin, « la plaine de reliazne avant l'irrigation » in B.S.G.A.O,T 73,p :54.

(1)

Walsin, esterhazy,op.cit,pp :282-283.

(2)

ثالثاً: السياسة الخارجية لبايلىك الغرب خلال القرن الثامن عشر:

أمام الأطماع الأجنبية التي عرفها بايلىك الغرب، فقد كان الطابع العسكري المميّز للسياسة الخارجية هو الطابع العسكري نظراً لمتطلبات الدفاع ضدّ الإسبان في وهران والمرسى الكبير وكذلك للرغبة التوسعية لسلطين المغرب، فلذلك كان البايلك دائماً على أهبة واستعدادٍ لأيّ طارئ⁽¹⁾.

1/ الاطماع الاسبانية:

كانت نهاية الاندلس بسقوط غرناطة سنة 1492 ، فدفع التعصّب الديني القادة الإسبان وخاصة رجال الكنيسة الى محاربة الاسلام في المغرب نفسه، وقد بدا ذلك منذ مطلع القرن السادس عشر.

فالعامل الديني هو المحرك الرئيسي، حيث تزعم الكاردينال كزيمينيس ximénes حركة تنصير مسلمي الاندلس، ثمّ مؤل هذا الراهب الحملة على وهران سنة 1509 بل قادها بنفسه وهو في السبعين من العمر⁽²⁾، وقد رافقه في ذلك القائد بيدرو نافارو pedro navaro على راس خمسة عشرة جندي ونزل بالمرسى الكبير ومنها اتّجه الى وهران واستعانوا في ذلك على احد اثريائها وهو اليهودي " بن زواوة"⁽³⁾، وبعض اعوانه من الخونة امثال عيسى العربي والقائد بن قانص ففتحوا له ابواب المدينة غدراً وخديعةً، فاقحمها هو وجنوده وهاجموا السكان بوحشية لانظير لها وقتلوا اربعة آلاف رجل واسروا ضعفهم واسالوا الدماء انهاراً حتى احمّرت مياه البحر⁽⁴⁾، في وقت عجز بنو زيّان عن الدفاع عنها فتمركز الإسبان بها ببناء القلاع والتحصينات، ثمّ هبّوا لغزو القبائل المجاورة لوهران فغزوا غمرة سنة 1513 واغاروا على سبخة وهران فاخضعوا الونازرة سنة 1514 احد بطون الزمالة، ثمّ على قبيلة غيزه سنة 1517 ثمّ قلعة بني راشد سنة 1520 ، وهاجموا اولاد علي سنة 1523 ثمّ توغّلوا الى تلمسان وغريس والكرط سنة 1543 ، وفي سنة 1544 الحقوا عين الفرس في اقليم بني شقران، ووصلت الجيوش الاسبانية سنة 1545 مروراً بواد طافراوي الى غاية مصب وادي مكرة ووادي سارنو⁽⁵⁾.

وقد استعان الإسبان ببعض القبائل التي انحازت اليهم ودخلت امرهم مثل بني عامر وكريشتل الذين عرفوا بـ"المغاطيس"⁽⁶⁾، وكيفية التغطيس أنّهم ياتون على دوابهم لبيع العطر ومعهم احزمة من الجلود الفلالية؛ وكانت

(1) A, tomarel, guide generale de l'algerie, impremerie de lavigne, paris 1855, p: 57.

(2) مولاي بلحميسي، « تحرير وهران » المرجع السابق ، ص 58 .

(3) Walsin, esterhazy, op.cit, p: 117.

(4) Guin, L, « quelques notes sur les entreprises espagnols pendant la premiere occupation d'oran », in R.A

N°30, 1866, pp :316-317-318 .

(5) Ibid , p :319.

(6) مشتقة من الكلمة الاسبانية mogatezes التي تعني الوشاية.

مهمتهم تتمثل في جلب الاخبار للاسبان وكذلك اختطاف الاطفال الصغار وجعل الجلود على افواههم حتى لا يتكلموا وحملهم على الدواب الى وهران ويبيعهم للاسبان⁽¹⁾.

ولم يكتف الاسبان بذلك بل وضعوا نظاماً خاصاً لادارة البايلك وذلك بتقسيم الاعراب الخاضعين لسلطتهم الى ثلاث اقسام: قسم الدواير النبيلة او "فرسان المملكة"، وقسم الدواير المنحطة او المستضعفة واخيراً قسم الدواير المختلطة⁽²⁾، وكان هؤلاء الاعراب الخاضعون للسلطة الاسبانية يطلق عليهم "عرب السلام moro de paz" يدفعون للسلطة الاسبانية سنوياً ضريبة الزامية تدعى "الرومية" وهي عبارة عن كمية من القمح تقدر باثنين من الدوبلات عن كل خيمة، مقابل ذلك ينال الدوار الأمان لمدة سنة ولم تكن هذه الضريبة محددة دائماً وإنما كانت حسب كمية المحاصيل وكذلك بحسب عدد خيام الدوار او القبيلة التي تزداد وتنقص⁽³⁾، كما يختلف حجم الدوبلة بحسب اهمية الدواوير فعدد الامداد التي تشملها كل دوبلة يحدد بواسطة اتفاقيات خاصة بين الاسبان وشيوخ القبائل، فالدوبلة في سنة 1708 ؛ سنة الفتح الاول لوهران كانت تشمل 112 مدّاً عربياً اي 28 برشالا اسبانياً او 13 فناقاً قشتالياً او 08 هيكتولتر تقريباً⁽⁴⁾.

لقد حاول جلّ بايات الغرب اخراج العناصر الاجنبية وفرض السيطرة على كامل البايلك ونشير هنا الى اولى المحاولات التي قام بها الباى شعبان الزناقي الذي توفي وهو يحاصر وهران سنة 1696، ثم تلت محاولات اخرى ولعلّ انجحها المتمثلة في الفتح الاول لوهران والذي تمّ على يد الباى بوشلاغم في مطلع القرن الثامن عشر سنة 1708 وغادر الاسبان يوم 21 جانفي 1708 المرسى الكبير باتجاه اسبانيا⁽⁵⁾، وقد كان لهذا الفتح انعكاسات خطيرة داخل الجزائر وخارجها ، فالنسبة لوهران اصبحت عاصمة البايلك وزالت اخر قاعدة اسبانية على الساحل الجزائري⁽⁶⁾، فلم يبقى لهم سوى بعض القواعد في سواحل المغرب الاقصى: مليلية، صحرة باديس، سبتة، وانتقل مصطفى بوشلاغم من معسكر الى وهران واستقر بالقصبة.

(1) مولاي، بلحميسي، "فتح....." المرجع السابق، ص 59.

(2) احمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة....، المرجع السابق، ص447.

(3) نفسه، ص ص 448-449.

(4) كانت وحدات كيل الحبوب هي المد العربي=6.5لتر، والبرشالة القشتالية =728لتر والفناق القشتالي=55لتر.

(5) Elie de, primaudie, histoire de l'occupation espagnole en afrique 1506-1574, jourdan, alger, 1875, p :318.

(6) طرد الاسبان من البنيون سنة 1529 ، بجاية 1555 ، مستغانم 1558.

كما عرفت المدينة تزايد عدد سكانها القادمون من جميع أنحاء البايلىك ونشطت التجارة الداخلية والخارجية وخاصة تجارة الاسلحة المستوردة من فرنسا وانجلترا، وحلّ بالمدينة عدداً من التجار الفرنسيين من بينهم السيد "ديكو **decaux**" الذي عين أوّل قنصل فرنسي بوهران⁽¹⁾.

وقد استمر الوضع الى غاية 1732 حيث عاد الوجود الاسباني الى المنطقة وذلك بعد الحملة التي قادها الكونت دو مونتمار conte de montemar والجيش الملكي الاسباني الذي كان قوامه 26000 جندي و525 سفينة واحتلت وهران ثانية يوم 01 جويلية 1732 والمرسى الكبير في 02 جويلية 1732 واستمرّ الوضع الى غاية 1791 حيث عرفت المنطقة في عهد الباى محمد الكبير حدثاً هاماً في تاريخ البايلىك والايالة بصفة عامة ؛ ففي عهده تمّ الفتح الثاني والنهائي لوهران.

ولكي ندرك مدى انشغال الجزائر بقضية تحرير وهران والمرسى الكبير جرت مجموعة من مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا ترجمتها عدّة رسائل بودلت بين الساسة الاسبان ونظرائهم الجزائريين طيلة الفترة الممتدة بين 1785-1788⁽²⁾، وانتهت هذه المفاوضات بعقد اتفاق حول السلم واقامة علاقات تجارية كما نصّ على ذلك العقد المتفق عليه سنة 1786 حيث نصّ على ان يتوقف الباى محمد الكبير عن مهاجمة وهران مقابل اقتراح دفع اسبانيا كتعويضٍ يقدر مليون ريال كتعويض عن الاضرار التي لحقت بمدينة الجزائر خلال حملتي 1783-1784.

وبحلول سنة 1790 تعرضت وهران لزلزال مدمر حطّم معنويات الاسبان ونال من مركزهم وقوتهم، فاستغل محمد بن عثمان الفرصة وجمع ما امكن جمعه من الرجال والعتاد وزحف على وهران وضيق الخناق على الاسبان فضاء املهم في الاحتفاظ بها وطلبت اسبانيا من داي الجزائر ان يقبل بتطبيق صلح 1786 فرفض الا اذا قبلت اسبانيا الانسحاب من وهران والمرسى الكبير⁽³⁾. واصبحت المدينة تحت سلطة الباى محمد الكبير ابتداءً من سنة 1792 وانتهى الوجود الاسباني الذي دام 283 سنة والذي اقتصر على السيطرة على الساحل حيث بدأ تطبيق الاتفاق المبرم سنة 1791 ابتداءً من مطلع سنة 1792 والذي نصّ على الامور الآتية:

- 1- ان تدفع اسبانيا 12 الف سلطاني كل سنة، حيث يتمّ تاديته بدفع 2000 سلطاني كل شهرين، او 107 ريال صغير (بدقة شيك).
- 2- السماح للاسبان بصيد المرجان على طول سواحل الغرب الجزائري.

(1) Camille, kehl, op.cit,p :43.

(2) يحيى، بوعزيز، « مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا من خلال مراسلات الداى محمد عثمان باشا 1780-1787 » مجلة التاريخ، العدد 18، 1985 ، ص ص 141-140-139-138.

(3) يحيى، بوعزيز، وهران.....، المرجع السابق، ص 104.

- 3- حق اسبانيا شراء الف كيلة قمح كل سنة بسعر السوق التجاري حيث أنه لم يكن يوجد سعر محدد وهذا ما كان يتطلب التفاوض مع الباي كل سنة.
- 4- امتياز خاص وهو الترخيص للسفن الاسبانية بالدخول الى المرسى الكبير دون بقية الشعوب⁽¹⁾.
لكن بعد عقد هذه الاتفاقية بدأت اسبانيا تتماطل في تطبيق بعض بنودها خاصة ما يتعلق بدفع ما عليها، وهذا ما نستشفه من رسالة الداوي حسان الى ملك اسبانيا كارلوس الرابع سنة 1792 عن تاخر اسبانيا في دفع 52 الف ريال ميراني الى باي وهران ثم جواب الملك كارلوس الرابع سنة 1793 بأنه دفع كل شيء ولم يبق عليه سوى عشرة آلاف قرش ارسلها فعلاً من اسبانيا⁽²⁾.
بعد خروج الاسبان من وهران اصبحت هذه الاخيرة عاصمة للباييك ودخلها الباي محمد الكبير وارسل مفتاحيها واواني ملائنة بمائها الى السلطان العثماني، وتوافد اليها العلماء والتجار واصحاب الصناعات والحرف⁽³⁾.
2/الاطماع المغربية:

لقد كان سلاطين المغرب دائماً يسعون الى توسيع نفوذهم شرقاً، وهذا مايتجلى في كثرة الحملات العسكرية خصوصاً في بدايات الحكم العلوي، وهو ماكان بايات الغرب الجزائري على وعي كبير به طيلة القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر؛ لأنّ هذه الفترة تميزت بالصراع والتوتر في العلاقات المغربية بباييك الغرب؛ ففي سنة 1651 قاد **مولاي محمد** هجوماً عسكرياً على منطقة وجدة حيث وصل الى غاية مدينة ندرومة واخضعها لسلطته، لكنه رجع الي وجدة بعدما اقنع بفكرة رسم الحدود بين المغرب واiale الجزائر⁽⁴⁾، لكن الملوك العلويين ظلّوا مقتنعين بامكانية ضمّ مناطق على الواجهة الشرقية، وهو ما تجلّى كذلك في كثرة الحملات العسكرية على باييك الغرب الجزائري خاصة في عهد **مولاي رشيد** و**مولاي اسماعيل** الذي قاد هجوماً على باييك الغرب بين سنتي 1678-1679 ووصل الى غاية الشلف في المنطقة المسماة بـ "زبوجة الوسط"، واراد ان يجعل من وادي تافنة حدوداً له لكنه لم يستطع ذلك⁽⁵⁾.

(1) احمد بن محمد بن علي بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص ص 306-308-309.

(2) احمد الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص ص 33-34.

(3) المصدر السابق، ص 454.

(4) قدور، بوزياتي، "مسألة الحدود بين المغرب وائرالك الجزائر"، مجلة المغارب في العهد العثماني، كلية الآداب والعلوم الانسانية،

الرباط، العدد 41، ص 25.

(5) Gilbert, grand guillaume, nedroma l'evolution d'une medina, leyden,brill,1976,p :60.

بينما المزارى ذكر ان سبب حملة مولاي اسماعيل علي بايالك الغرب هو محاولته الانتقام لمقتل الباى شعبان الزناقي⁽¹⁾، وتاديب القبائل الموالية للاسبان، لكن ما إن بدا في حملته التوسعية حتى ارتمت هذه القبائل بين احضانه كبني عامر والحشم وشجعت نواياه⁽²⁾، لانه ادعى بانه سوف ينهي الوجود العثماني بالجزائر، لكن في عهد الباى محمد الكبير اعيد رسم الحدود واتخذ من وادي الملوية حداً طبيعياً وذلك انطلاقاً من ان هذه الحدود كانت معتمدة سابقاً.

وفي ظل هذه المعطيات التاريخية يمكننا ان نستنتج بانّ العثمانيين وخاصة بايات الغرب الجزائري حاولوا منذ حكم الاسرة السعدية في المغرب تطويق نفوذهم بحطة الحدود وصرف نظرهم عن التوسع، وإن فشلوا في بداية الامر مع السلاطين السعديين فانهم نجحوا مع نظرائهم العلويين، بينما طموحات المغرب كانت تهدف الى احياء مشروع الدولة الموحدية واحساسهم بالانتماء لآل البيت كان الدافع الاساسي لهذا المشروع وهو الاحقية في الخلافة الاسلامية⁽³⁾.

وبوفاة مولاي اسماعيل سنة 1727 انتهت حقبة من العداة والحذر في علاقات المغرب الخارجية مع بايالك الغرب الجزائري خاصة والدولة العثمانية عامة، وبدأ التغيير تدريجياً من التوتر والمواجهة الى المهادنة والتعاون ويتجلى ذلك بداية في التبعية التامة التي أعلنها السلطان مولاي عبد الله للباب العالي في رسالة تقول: "...وأنا اخطب بك في مساجد الجمعة والأعياد كما فعل والدنا مع أسلافكم الجياد، ولو أن الغرب صعب المرام، لاستعملت أقدام الأقدام إلى حضرة ذلك الهمام فهو جدير أن يجعلني من أحبائه وان يحمل علي من هذا الخطب عظيم أعبائه، ولبذلت الجهود المقصود....."⁽⁴⁾، وباستثناء هذه الرسالة فان فترة الازمة السياسية تميزت عموماً بانشغال العثمانيين بحروبهم مع روسيا وحلفائها والمغرب بخلافاته حول السلطة.

الا ان العلاقات بين الدولتين المغربية والعثمانية شهدت انقلاباً في مسارها خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وذلك بعد تولى السلطان مولاي محمد بن عبد الله الذي انتهج سياسة انفتاحية شاملة مع الدولة العثمانية فاصبح التضامن الاسلامي هو المؤطر الجديد للعلاقات المغربية العثمانية، وفي هذا الاطار اعطي السلطان محمد بن عبد الله لسياسة الحوار مع بايات الغرب الجزائري الاسبقية على الحروب؛ والتي اتخذت من موضوع تحرير الاسرى

(1) بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 231.

(2)

Lespinasse,(E),op.cit,p :145.

(3) مصطفى، الغاشى، الرحلة المغربية والشرق العثماني محاولة في بناء الصورة، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث غير منشورة،

جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001-2002، ص 49.

(4) نيقولا، ايفانوف، "الفتح الاسلامي للاقطار العربية 1516-1574"، مجلة الاجتهاد، العدد 44، 1999، ص 212.

المسلمين محركا اساسياً لها بمبالغ مالية كبيرة وذلك عن طريق ايفاده لسفارات في ذلك الشأن كسفارة محمد بن عثمان المكناسي التي مكنته من تبادل الاسرى بين الجزائر واسبانيا⁽¹⁾.

وكان من بين الحسابات التي تحكمت في سياسة السلطان محمد بن عبد الله محاولته كسب تاييد الباب العالي ليمارس ضغطه على حكام ايالة الجزائر، وتشير المصادر المغربية الى ان صلوات الجمعة في المغرب خلال هذه المرحلة كانت تعقبها دعوة ".....اللهم انصر السلطان عبد الحميد.....وجنوده....وكن معه حيث يكون واستعمله بطاعتك في كل حركة وسكون.... وانزل السكينة على المسلمين واجمع كلمتهم حتى يكونوا على عدوهم...."⁽²⁾.

وقد نجحت مساعي السلطان المغربي نسبياً في تحقيق هذا الهدف وهو مايمكن ان نفسر به عتاب الباب العالي لداي الجزائر على عدم قبول شفاعة السلطان المغربي في فكّ الاسيرتين الاسبانيتين؛ زوجة وابنة الحاكم الاسباني للمرسى الكبير اللتان تدخل بشانهما الملك الاسباني كارلوس الثالث الذي طلب من السلطان المغربي محمد بن عبد الله التدخل عند داي الجزائر لفكّ سراحهما⁽³⁾.

اما في عهد السلطان مولاي سليمان فقد شهدت العلاقات المغربية العثمانية نوعا من التراجع في مجال التعاون، بسبب سياسة الاحتراز والانغلاق التي سلكها هذا الاخير في علاقاته الخارجية؛ حيث بدا بتوطيد جكمه والقضاء على الثورات التي كانت مشتعلة في بلاده، وفي هذه الفترة قام العثمانيون بضمّ اقليم وجدة وقام الباي محمد الكبير بجباية ضرائبها سنة 1796، فكان رد فعل السلطان مولاي سليمان ان بعث بعساكره اليها وبعث برسالة الى الباي ليتخلّى عنها وعن قبائلها التي كان يتصرف فيها، فامثل الباي وكتب لنائبه ان يتخلّى عنها⁽⁴⁾، ووضح للسلطان المغربي ان عمله ذلك كان مقصوداً وذلك باشغال اهل وجدة على عدم الثورة عليه مثلما ثارت عليه الشاوية⁽⁵⁾، لكن بعد وفاة الباي محمد الكبير وتولي ابنه لبايلكة الغرب اراد استرجاع وجدة ثانية.

(1) محمد بن عثمان، المكناسي، الاكسبير في افتكاك الاسير (تحقيق وتعليق: محمد الفاسي)، مطبعة اكدال، الرباط، 1965، ص ص 164-165.

(2) عبد الرحيم، بنحادة، المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث غير منشورة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهرز، فاس، 1995-1996، ص 290.

(3) عبد الرحيم، بنحادة، المرجع السابق، ص 61.

(4) قدور الحسني، الورطاسي، المطرب في تاريخ شرق المغرب، ط1، مطبعة الرسالة، الرباط، 1984، ص 71.

(5) Faure, biguet, op.cit, p:266.

رابعاً: دور السلطة الروحية في بابلك الغرب :

امتاز بابلك الغرب عن باقي بابلكات الجزائر بانتشار السلطة الروحية ممثلة في القيادات المرابطية والفرق الدينية، وقد لعبت ادواراً ومكانة معتبرة، اما بقية الجزائر فقد كان النفوذ فيها حسب ابو القاسم سعد الله يتمثل في قيادة الاجواد او القيادات الدنيوية⁽¹⁾.

فالخارطة الدينية لبابلك الغرب خلال القرن 18 يمكن تقسيمها الى عنصرين هما: مناطق نفوذ المرابطون المحليون الذين كانوا منتشرين بكثرة في اغلب المناطق والذين تحالف معهم العثمانيون قبل فتح وهران واستعملوا نفوذهم عن طيب خاطر، وهذا للتحكم في السكان ولتسيير الجباية، ضف الى ذلك مناطق نفوذ الطرق الصوفية، ومن هذا المنطلق اوجد العثمانيون طريقة ادارية محكمة تمثلت في حكم الجزائريين بالجزائريين⁽²⁾ خاصة بالريف ليكون اشرافهم غير مباشر وهذا باعطاء صلاحيات محدودة للمتعاملين مع الاهالي تخضع لتوجيهات الموظفين الاتراك المقيمين بالمراكز العسكرية والحواضر الكبرى⁽³⁾، في حين كان تدخلهم المباشر عند الضرورة القصوى فقط كمنشوب الثورات حيث يخرجون لقمعها خاصة عند امتناع الاهالي عن دفع الضرائب، وهذا يعني ان العثمانيين حاولوا خلق اطار للتواصل مع الاهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطة الروحية⁽⁴⁾.

اولاً: الرباطات الدينية:

اشتهرت الرباطات الدينية بحراسة الثغور، وهذا منذ اوائل الفتح الاسلامي وازدادت اهميتها عندما تكالبت الاطماع المسيحية على شواطئ المغرب العربي والشمال الافريقي اثر الحروب الصليبية⁽⁵⁾. لقد انحصرت الرباطات الدينية بالغرب الجزائري نظراً لاستمرارية التواجد الاسباني في وهران والمرسى الكبير⁽⁶⁾، وقد خصها بايات البابلك عناية فائقة وتعاونوا مع مؤسسيها وامموها ونظموها نظاماً لم يعهد من قبل⁽⁷⁾، ومن جهتهم فقد عمل المرابطون على ملا الفراغ السياسي والثقافي خاصة في المجتمع الريفي ببابلك الغرب الذي عاش في عزلة عن الادارة العثمانية، ففي منطقة الظهرة والونشريس هناك العديد من المرابطين الذين اتبع معهم العثمانيون سياسة المحبة والاحترام فكانوا يفضلون تولية السلطة في يد عائلة البراكنة كما ان مرابطو مجاجة بوادي الشلف

(1) ابو القاسم ، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992 ، ص172.

(2) عمار، هلال، دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 ، ص16.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000، ص76.

(4) محفوظ ، قداش، «الجزائر في العهد التركي»، مجلة الاصاله ، العدد 52 ، 1977 ، ص ص 10-11.

(5) المهدي، ابو عبدلي، «الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى»، مجلة الاصاله، العدد13، 1973 ، ص 22.

(6) ابن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 233.

(7) المرجع السابق، ص 27.

يتمتعون بنفس النفوذ في كا الناحية وخاصة في قبيلة اولاد قصير وكانوا غير خاضعين للضرائب وكذلك الحال بالنسبة لاشراف سيدي العربي وغيرهم، ولكن بعد تحرير وهران تغيرت السياسة واصبح هؤلاء المرابطون المحليون محل متابعة وقتل وهذا ما يظهر مثلا في قتل الباي حسن للشيخ بن قندوز في واد رهيو، كما ان المرابطون الذين كانوا يخطئون او يسيئون المعاملة وغيرها يعاقبون وهذا ما فعله الباي محمد الكبير مع احد مرابطي تسالة الذي عاقبه بإركابه على ظهر حمار ممسكا بذيله ويتجول به في المخيمات بطريقة مهينة ومثيرة للسخرية⁽¹⁾.

ثانيا: الطرق الصوفية:

تميزت مواقف الطرق الصوفية في فترة موضوع البحث بتعددتها وتباينها حيث ان بعضها كان مسائرا للسلطة وبعضها معتدلا والبعض الاخر كان مناهضا ومعارضاً لبابلك، كما ان تلك الطرق التي كانت منتشرة في المنطقة كانت تتاثر بمبيلاتهما في المغرب والمشرق ماعدا الطريقة التيجانية ذات الاصل الجزائري بينما الدرقاوية والطيبية ذات اصول مغربية⁽²⁾. وفيما يلي اهم الطرق الصوفية المؤثرة في المنطقة:

اولا: الطريقة القادرية: انتشرت بكثافة في بابلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 حيث تقيم القبائل المشهورة بانتمائها العربي في سهول وهران، كانت تعتبر ذات اساس ارسقراطي لذلك اتباعها كانوا قلة رغم مواردنا الهامة واملاكها في مختلف الجهات⁽³⁾.

استفادت القادرية من عطف السلطة وكان لها الدور الاساسي في السياسة العثمانية منذ بداية القرن 16 حيث تحالف معهم احمد بن يوسف الملياني سنة 1597 ومن هنا بدا اول تحالف عثماني مرابطي وهذا لادراك العثمانيين بان رجال التصوف هم خير خليف لهم في صراعهم ضد الاسبان، ومنذ ذلك الحين وهي تتجنب الاشتباك السياسي مع السلطة وتحافظ على علاقات طيبة معها بسبب الوجود الاسباني في وهران والمرسى الكبير، واعتبر القادريون الجهاد وسيلة واسلوبا ونهجا لتوجيه الاحداث لصالحهم الى غاية تحرير وهران النهائي، حيث بدا يتحول اغلب شيوخها الى موقف الحيلة والحذر من البابلك خاصة مع تزايد الضغوط على السكان، وبناءا عليه فقد بداوا يعارضون ويوسعون نشاطهم ضد بايات الغرب الجزائري.

كانت اهم زوايا القادرية هي زاوية القيطنة على وادي الحمام التي اسسها الحاج مصطفى بن المختار الغريسي جد الامير عبد القادر الذي درس وتفقه في غريس، ووظف في زاويته علماء امثال عبد القادر المشرفي، وكان من

Desfontaine, (L ,R),op.cit,p :192.

(1)

Deneveau, les khouan ordre religieux chez les musulmans de l'algerie, 2eme editions, imprimerie Guyot, paris, 1846, p :101.

(2)

Claude ,bontens , op.cit,p : 78.

(3)

بين تلاميذه ومريدي طريقتيه باي وهران محمد بن عثمان الكبير⁽¹⁾، وعرفت اشعاعا دينيا وثقافيا معتبرا حتى أصبحت كل قبائل الحشم تقدم له الصدقات وتقدره وتحترمه.

ثانيا: الطريقة التيجانية: كان مهدها مدينة عين ماضي الموجودة بجبال عمور والقريبة من الاغواط، عرفت انتشارا واسعا وقد ساعدها في ذلك التجارة عبر الواحات الصحراوية وذلك ابتداء منذ 1783 واصبح احمد التيجاني يشكل خطرا على الوجود العثماني؛ ونشير هنا الى حملة الباي محمد الكبيرضده بين 1784-1785 الذي استطاع أن يفرض ضرائب لكن لم يظفر بالشكل النهائي من التيجانيين⁽²⁾.

لقد كانت التيجانية تكشف عن آرائها في كل محاولة إخضاعها من العثمانيين لكن تعود إلى ممارسة نشاطها المعتاد عقب كل حملة⁽³⁾، الى ان انتقلت الى سياسة الحياد السياسي لتتفرغ لنشر الاسلام ونشر زواياها في تمبكتو والسنغال والى غاية افريقيا الوسطى لكن رغم ذلك لم تستطع التوسع شمالا⁽⁴⁾.

ثالثا: الطريقة الدرقاوية: اخذت الطريقة الدرقاوية الاتجاه الشعبي حيث ان المنضمون اليها كانوا غالبا من قبائل الرعية، وهي ذات اصول مغربية سعت للوقوف في وجه السلطة العثمانية بل كانت تدفع للتمرد على السلطة الحاكمة وانتشرت بكثرة في بايلك الغرب والمنطقة الوسطى خاصة وهذا ما جعل بعض القبائل المتمردة على السلطة المركزية ترتمي بسرعة في اخضاعها من اجل التحالف معها كقبيلة بني عامر التي استقبلت عددا من العائلات الدرقاوية على أراضيها⁽⁵⁾.

لقد بدأت الطريقة الدرقاوية نشاطها في الجزائر في إقليم تلمسان منذ عهد الباي الحاج خليل، وقام انذاك محمد الكبير لما كان قائدا على فليطة بالقضاء عليها فركدت بذلك نوعا ما لتعود بقوة بين سنوات 1803-1812 معلنة الثورة في بايلك الغرب ضد الوجود العثماني والتي تزعمها محمد بن الشريف الدرقاوي، ولما سمع الباي مصطفى بذلك جمع له الجيوش والتقى الجمعان في فرطاسة سنة 1804 فهزم فيها الباي لأول مرة وفر الى وهران⁽⁶⁾، لكن رد الفعل كان سريعا حيث عزل الباي مصطفى وعين الباي محمد المقلش الذي قام بمحاربة الدرقاويين بلا هوادة

(1) يحي، بو عزيز، اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 244-245.

(2) للمزيد عن الحملة انظر:

بن هطال، احمد التلمساني، رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري، (تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم)، عالم الكتب، القاهرة، 1969 .

(3) Mangin, (E), «note sur l'histoire de laghouat», in R.A, N38, p : 80.

(4) Garrot, (H), «l'islamisme et son acton en berberie », in B.S.G.A, 11eme annee, 1906, p : 168.

(5) Pierre, Boyer, « historique des beni », op.cit , p : 53.

(6) بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 304.

وحقق عليهم انتصارات متتالية وطاردهم في كل مكان إلى أن اجبروا إلى الاحتماء بمرتفعات الونشريس ومرتفعات ترارة حيث استقروا عند قبيلتي أولاد إبراهيم وبني عامر، وفي سهل مكره جنوب تسالة وكذلك عند أولاد سليمان، وفي جنوب التيطري⁽¹⁾.

رابعا: الطريقة الطيبية: نسبة إلى مؤسسها مولاي الطيب الشريف، لم تكن منتشرة بكثافة في الجزائر؛ وإنما وجدت في بعض السهول الوهرانية ومناطق ترارة الجبلية؛ وقد استطاع شيوخها من استمالة ومساندة قبائل الدواير والزماله المخزنتين وكذا بعض اثرياء تلمسان خاصة بعد تمرکزها بزواية البسناس، وتذكر بعض المؤلفات التاريخية ان مقدم الطريقة الطيبية لم يكن يقبل جوائز العثمانيين لكن شفاعته مقبولة عندهم⁽²⁾، ولم يكن لهم أي نشاط معادٍ للعثمانيين وإنما كانت كجماعة من المخبرين⁽³⁾؛ وحركة معادية للقادرية.

خامسا: الطريقة الشيعية: تمتعت بنفوذ واسع امتد إلى غاية الهضاب العليا باعتبار ان شيوخها لم يكونوا يدفعون أي ضريبة إلى بايات وهران وإنما كانوا هم من يجمع الضرائب ويكتفون بتقديم الهدايا إلى العثمانيين؛ حتى انه عندما أصبح سيدي بوبكر ولد سيدي الشيخ بن الدين مشرفا على هذه الطريقة لم يستصحب الاغوات معهم أكثر من مائة فارس لجباية الضرائب، إضافة إلى انه عندما كان يذهب إلى وهران كان الباي يرسل في لقائه الموسيقيين وحصانا مسرجا ويطلق سراح العبيد⁽⁴⁾.

وتقيم مجموعتين من القبائل تحالفا مع قبيلة أولاد سيدي الشيخ المرابطية في السلم والحرب وهي⁽⁵⁾:

المجموعة الأولى: تمثلها قبيلة البيوض سيدي الشيخ، أهل ستين، أولاد سيدي الشيخ الشراقة الاجواد، أولاد سيدي الحاج بوحفص، أولاد سيدي الحاج بن عامر، مشرية الكسل، أولاد سيدي سليمان، غسول، أولاد عيسى، أولاد سيدي احمد المجدوب، قبيلة عربوات.

المجموعة الثانية: وتتمثل في قبيلة أولاد سيدي التاج.

خامسا: علاقة المدينة بالريف ببابلك الغرب الجزائري: مهما كانت نوعية المدينة فهي لها علاقات بما يحيط

بها من ضواحي، بل عبر هذه الضواحي يتجسد الجانب التطبيقي لوظائف المدينة⁽⁶⁾، فالعلاقات التي سادت بين المدينة والريف ببابلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 لم تكن على مستوى الإنتاج الزراعي أو الحيواني أو

(1) Delpech, (A), « Le soulèvement des derk'oua de la province d'Oran », in R.A, N18, 1874, p39.

(2) Ganiage(j), histoire contemporaine du maghreb de 1830 a nos jours, edition fayard, paris, 1944, p :38.

(3) Idem, p :831.

(4) Walsin, esterhazy, op.cit, p :270.

(5) بن عتو، بلبراوات، المرجع السابق، ص 264 .

(6) Beaujeu, Garnier Jacqueline, geographie urbaine, armand colin, paris 1980, p :299.

الصناعي بل حددتها كذلك تنقلات الأشخاص، فالمدينة لم تستقبل فقط إنتاجا ريفيا أو صدرت إنتاجا حضريا بل رافق ذلك حركات تنقل على مستوى الأشخاص بين الطرفين وكان لهذا العامل تأثيرات عديدة على مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

لقد كان للتجار دورا كبيرا في عملية الاتصال بين المدينة والريف حيث يقومون بشراء منتوجات الريف من اجل تزويد المدن كما يمونون الريف بالمواد الضرورية المنتجة في المدن او القادمة من الخارج، فالتجار مارسوا سيطرتهم على الأسواق المحلية بصفة عامة⁽¹⁾، لكن الشيء المؤكد أن هذه العلاقة كانت متينة حتى في فترات الانكماش والانتعاش الاقتصادي وبذلك ظلت الزراعة والصناعة والتجارة من أهم العوامل المتحكمة فيها.

ان موقع مدن باييك الغرب الجزائري مهما تنوع واختلف الا اننا لاحظنا العديد من التشابهات إضافة إلى توفر كل واحدة على عوامل اساسية جعلت ادوارها السياسية والاقتصادية والثقافية أكثر فعالية واهمية وتفرض هيمنتها على الريف، ويمكن ان نلمس هذه الاهمية بالنسبة لكل مدينة على النحو الآتي:

تلمسان: تقع تلمسان في اقصى باييك الغرب، شكل موقعها عبر العصور موقعا ملائما وممتازا ووضعها الطوبوغرافي جعل منها منطقة ثرية ومزدهرة⁽²⁾، حيث ساهم في الربط بين الصحراء والبحر كما شكل نقطة التقاء وعبور لاهم الطرق، تلك التي تأتي من الجنوب متوجهة نحو الشمال عابرة الموانئ الاربعة للباييك هنين ورشقون والغزوات والمرسى الكبير اضافة الى الطريق الهام الذي يمثل محور الشرق والغرب.

إن الموقع الطبيعي لتلمسان إضافة إلى وفرة المياه والخصوبة جعلها مخزنا للسلع بالنسبة لباييك الغرب ولجنوب غرب إفريقيا منذ أزمنة طويلة ومستقرا للتجمعات البشرية وقد انعكس ذلك إيجابا عليها بوجود المساجد والمسجد الكبير وهو أكبر بناية تقابله سوق القيصرية إضافة إلى المكتبة وشرق المسجد يوجد بيت البايليك⁽³⁾، إضافة إلى مؤسسات حضرية اخرى تعتبر ضرورية لمركز المدينة منها الحمامات والفنادق حيث كان يوجد بها فندقان وحمامان. ان كل من تناول تلمسان بالوصف يصفها بفخر واعتزاز كما انها تميزت بانتشار العلوم والفنون ومثلت المدينة الاسلامية الواضحة الوظائف والفئات الاجتماعية⁽⁴⁾، فشهرة تلمسان تجاوزت حدود الايالة فتميزت باهمية تنظيم طرقها وسوقها حيث كلن هذا التنظيم مشابها لما هو عليه في مدينة فاس.

(1) رؤوف، عبد السلام، الملامح الاقتصادية لنظام الأصناف في العراق إبان العصر العثماني، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، العراق، 1986، ص 457.

(2) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 57.

(3) Andre, Cocq, op. cit, p :238.

(4) Laugier, De tassy, histoire du royaume d'alger (preface Noël Laveau Andre Nouschi), edition Loysel, Paris, 1992, p123.

مازونة: تقع مازونة في منطقة جبال الظهرة على مفترق ممرات ذات أهمية استراتيجية واقتصادية، تشرف من الجنوب الغربي على سهول وادي ارهيو ومن الجنوب الشرقي على سهول الشلف الأكثر رطوبة ومتاخمة للسهول الوهرانية؛ ان هذا الموقع جعل من المدينة نقطة عبور بين المغرب وتونس مرورا بعدة مدن، اضافة الى موقعها بالقرب من سهول مينة التي تؤدي بسهولة إلى منطقة السهول العليا، عرفت بمسجدها الكبير ومدرستها الشهيرة إضافة إلى السوق حيث انه فضلا عن وظيفته الاقتصادية كان مركزا للحياة الثقافية والدينية والإدارية⁽¹⁾، هذا الموقع يشرح لنا الدور الذي لعبته هذه المدينة ضف إلى ذلك أن جبال الظهرة التي هي جزء من السلسلة التلية التي تمتد على منطقة شاسعة تتشكل من كتل جبلية تمتد من زكار إلى غاية مصب وادي الشلف؛ في هذه المنطقة تحتل مازونة مكانة هامة تتربع على حافة وادي وارزان رافد من روافد وادي الشلف تحيط بها بساتين وحدائق جد خلاصة تفسر لنا ثراء غطائها النباتي⁽²⁾.

لقد استمرت مازونة عاصمة للبايلك من سنة 1563 الى غاية 1700 وخلال هذه المرحلة عرفت انتعاشا اقتصاديا وثقافيا هاما، حيث ان دورها الثقافي على مستوى البايلك والمغرب العربي كانت له انعكاسات هامة وتأثيرات كبيرة، هذا الاشعاع الثقافي يعكس ازدهارا ونمو اقتصاديا وبروز فئات اجتماعية كان لها دور فعال في تنشيط الحياة الاقتصادية والنهوض بالحياة الثقافية، كما عرفت في القرن الثامن عشر ازدهارا انعكس ذلك في بروز المنشآت العمرانية كالقصور والمنازل الجميلة والاسوار⁽³⁾، واحترف جل سكانها الصناعة والزراعة فهذه الانشطة جعلت المدينة ذات حياة اقتصادية مزدهرة ونشيطة.

مستغانم: ان الطبيعة منححت مستغانم موقعا من الدرجة الاولى، فهي تقع في منطقة محمية من البحر الابيض المتوسط من الجهة الغربية، يخترقها وادي عين الصفراء و يصب في البحر شرق المدينة نهر الشلف تحيط بها بساتين واحواز خصبة⁽⁴⁾.

لقد كانت المدينة ذات اهمية لكونها تشرف على تمركز وجمع تجارة كل من سهلي شلف ومينة، كما تعتبر المدينة الثانية على مستوى البايلك من حيث الاهمية بعد مدينة تلمسان⁽⁵⁾، اضافة الى ذلك تعتبر مدينة مستغانم مركزا

Djillali, Sari ,op.cit,p.51.

(1)

Moulay,Belhamissi,mazouna une petite ville une longue histoire, S.N.E.D , alger,1982,p.13.

(2)

Ibid,p 43.

(3)

Thomas,Shaw,op.cit, p236.

(4)

Moulay,Belhamissi, histoire de mostaganem, centre national des études historique,alger,1976, p 34.

(5)

ثقافيا من الطراز الأول أما ميزاتها التجارية فهي ناجمة عن إطارها الإقليمي فاحتلال الأسبان لوهرا و المرسى الكبير جعل من مينائها معروفا بحركته النشيطة لكونه منفذا على الخارج لمدن مثل معسكر ومستغانم ومناطق واسعة. لقد اعطى مجئ الأندلسيين مع مطلع القرن 16 واستقرارهم بمدينة مستغانم وضواحيها انتعاشا لنموها الاقتصادي والديموغرافي، كما ان احتلال الاسبان لوهرا و المرسى الكبير جعل من مدينة مستغانم قاعدة هامة لمحاربة الاسبان كما جعل منها الباى بوشلاغم عاصمته من 1732 الى غاية 1738 أي تاريخ عودة مقر البايك إلى معسكر بعد وفاة الباى بوشلاغم الذي كانت له وعائلته والباى مصطفى الأحمر المسراقي والباى محمد الكبير أوقافا واحباس هامة بالمدينة⁽¹⁾.

معسكر: تتوسط اعراشا واحوازا هامة، تقع المدينة على حافة سلسلة جبال بني شقران حيث توجد معسكر جنوبها كما تحيط بها سهول غريس التي تعد من اخصب سهول الجزائر⁽²⁾، زادت اهمية معسكر اثناء العهد العثماني حيث اصبحت السيطرة عليها ضرورية لتأمين المواصلات بين تلمسان وقلعة بني راشد وهذا ما جعل الاتراك يبقون بها بحامية عسكرية وقيمون عليها حاكما وذلك اثر تنظيم البايك سنة 1563⁽³⁾، وقد شكلت مركزا مهما على الطريق الرئيسي بين قلعة بني راشد وتلمسان مما جعلها سوقا للمنتوجات القادمة من السودان ومستودعا لبضائع فاس وملتقى لتجارة الغرب الجزائري ومحطة للعشائر الكبرى بالناحية كبنى عامر والحشم والشراقة وبني شقران⁽⁴⁾. تتوسط معسكر منطقة تتميز بترائها الزراعي والصناعي ففي قلعة بني راشد كانت تصنع الاسلحة النارية والصابون والسروج والزرايب الحمراء والبرانيس حيث يباع البرنس الواحد بمائة فرنك حتى اصبح الفرنسيون من هواها عشية الاحتلال⁽⁵⁾، وكانت تصدر هذه المنتوجات الى النواحي والدول المجاورة لها عن طريق معسكر، وقد عرفت قبائل بني راشد بتقربها من الحكم التركي.

لقد بلغت معسكر اوج قوتها وعظمتها عندما انتقل مقر البايك من مازونة إليها سنة 1701 حيث عرفت أيام الباى مصطفى بوشلاغم انتعاشا اقتصاديا وازدهرت انشطتها الحرفية والتجارية وبرز دورها الثقافي، وعرفت ازهي أيامها تحت حكم الباى محمد الكبير الذي مكث بها ما بين 1779 الى 1792 وأقام بها المدارس والمساجد وشيد بها المرافق العامة وقصدها العلماء ونزل عليها الطلبة للدراسة في معاهدها العليا للتلمذ على أساتذتها⁽⁶⁾.

(1) Moulay, Belhamissi, histoire de mostaganem , op.cit, p 34.

(2) Louis de, Baudicour, histoire de la colonisation de l'algerie, challamel, paris, 1830, p 191.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 247.

(4) نفسه، ص 248.

(5) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 59.

(6) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وابحاث.....، المرجع السابق، ص 248.

لقد تمتعت جل مدن بايالك الغرب الجزائري بموقع هام واحاط بها احواز جد هامة وتوفرت بها المياه ، وهذه عوامل رئيسية ادت الى تطور الحياة الحضرية مقارنة بالريف؛ ومن جهة اخرى فقد شكل الاطار التاريخي لجل هذه المدن اطارا ثريا وغنيا بتطوراته واحداثه، فجلها عرفت عبر فترات مختلفة من تاريخها كعواصم سياسية واشتهرت كمراكز تجارية وحرفية وثقافية وغالبا ما تجاوزت حدود البلاد.

لقد استفادت مدن بايالك الغرب الجزائري من تراث حضاري وتلك ميزة تميزت بها جل الحواضر العربية الاسلامية حيث استفادت من التراث الحضاري الذي سبق هذه المرحلة التاريخية اي القرن الثامن عشر، ومنها ما يعود الى الاثار الرومانية او الاغريقية او الفينيقية وهذا يعني ان معظمها استفادت من الحضارات السابقة، فالنواة الاولى لهذه الحواضر كبقية الحواضر الاخرى العربية الاسلامية فكانت ذات طبيعة ومستويات مختلفة اضافة الى عوامل اخرى مناخية وعرقية ودينية⁽¹⁾.

فالعامل التاريخي قوي وعميق في القدم ونتيجة لهذا الثقل الحضاري استطاعت المدينة ببايالك الغرب الجزائري ان تفرض هيمنتها علي الريف، ففي البداية كانت نوعا من الهيمنة المباشرة عن طريق مراقبة الفحوص والاحواز بطرق متعددة سواء عبر الملكية العقارية للحضريين في ارياف مدن تلمسان ومازونة ومستغانم ومعسكر او بطريقة غير مباشرة وتتجلى في نشاط التجار والاسواق التي كانت تقام خارج المدن، فالسوق كان وسيلة لمراقبة سكان الارياف ومنعهم من التحالف ضد الحكم العثماني؛ اما الهيمنة الثالثة تاتي عن طريق الهيمنة السياسية والتي كانت تضم كل الايالة⁽²⁾.

كما شكل الانتاج الريفي المصدر الاساسي خلال القرن الثامن عشر لضمان مداخل وقوة الطبقة الحاكمة في المدن في ظل تراجع مداخل البحر، فالريف كان اساس ثروة البلاد على حد تعبير حمدان خوجة⁽³⁾، فاستغلال العمل الريفي كان يتحقق عن طريق الضغط الضريبي واستغلال اليد العاملة اثناء الحاجة وبالتالي كان هذا يحمل في طياته علاقة غير متكافئة ولا عادلة⁽⁴⁾، وفي بعض الاحيان كان يفتح المجال لسكان الارياف لانجاز مشاريع في المدينة مثل ما هو الحال بالنسبة لقادة المخزن، ونذكر هنا ان طبقة العامة في المدن قد غذاها توافد المجموعات القادمة من الريف وقد لعبت دورا هاما في تنمية العامل الديمغرافي وذلك بتغذية المدينة بالقوة البشرية.

(1) Gaoud, Msefer, villes islamiques cites d'hier et d'aujourd'hui, la plume, tunis, 1984, p 15.

(2) René, Galissot, « le maghreb precolonial », in la pensée, n 142, 1968, p 69.

(3) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 37.

(4) ناصر الدين، سعيدوني، « وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والاثار التي ترتبت عليها»، المجلة التاريخية المغربية، العدد 07-08، 1977، ص 19.

لقد تآثر الريف مباشرة بكل التغيرات والتقلبات التي عرفتها المدينة في بابلك الغرب الجزائري عبر مراحلها التاريخية، حيث ان كثيرا ما ينتعش الريف نتيجة انتعاش المدينة والعكس صحيح، كما شكلت المدينة منفذا على الخارج لمنتجات الريف حيث كانت الجامعة والموزعة له سواء عن طريق اسواقها او موانئها او طرقها التجارية او عن طريق الاحتكاك بالاجانب الذين كانوا يقصدونها؛ وهنا يمكن ان نستنتج الاهمية التي اكتسبتها حواضر بابلك الغرب الجزائري ممثلة في مازونة ومستغانم وندرومة وتلمسان ومعسكر

ان المدينة في بابلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر شكلت جهازا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا لنمو الريف؛ لكن جهاز استغلالي لثرواته وطفيلي على حساب الريف، حيث عرفت هذه الفترة التاريخية بتراجع مداخيل البحر نتيجة تطور سفن الدول الاوروبية وعندها حتما ستلجأ المدينة الى الريف لتعويض هذا النقص في المداخيل وبذلك ستعرف الضرائب ارتفاعا ملحوظا لتعويض هذا الفراغ⁽¹⁾.

لقد مارست المدينة سلطتها السياسية على الريف في اطار جمع الثروة فكان البايات لا يكترون بتقاليد رعاياهم وعاداتهم ماداموا يدفعون الضرائب ولا يعترضون سبيل جيوشهم⁽²⁾، اضافة الى هذا نجد تاثير الضرائب في رؤية سكان الارياف للمدن حيث طبعها النفور والكراهة؛ فلما دخل الفرنسيون مدينة وهران فر سكانها وانتشروا في الاماكن الريفية فلقبهم اهل البادية وسدوا عليهم الطرقات ونهبوا ما عندهم من اموال وامتعة، كما ان نظرة قبائل المخزن للسكان كانت مغايرة تماما بسبب نظرة الاستعلاء التي كانت لدى هذه القبائل على ماسواها من القبائل الاخرى والتي تعتبرها في غير مستواها وكان هذا النفور متبادلا بينها وبين قبائل الرعية.

ان دور المراقبة الذي كانت تقوم به الدولة على مستوى البايك اعطى للارستقراطية العسكرية والتجارية التي كانت تعيش في المدينة قوة وسندا كبيرا لاستغلال الريف سواء عن طريق الضرائب او عن طريق الحرفيين والتجارن فرؤوس اموال هؤلاء كانت توظف خارج اسوار المدن في الاماكن البعيدة وهذا ما سمح لها بامتلاك ممتلكات عقارية في الاحواز والارياف وهذا كان عملية ضرورية لطبقة البرجوازية⁽³⁾، فمدن بابلك الغرب الجزائري تقع معظمها في قلب فحوص تتوفر على الشروط الطبيعية خاصة امكانية السقي التي تشكل العنصر الاساسي في الملك العقاري لارستقراطي المدن وهذا ما يجعلنا نستنتج ان حواضر البايك كانت تتوسط اريافا ذات مردود زراعي ورعوي هام

(1) HENRI-DELMAS, DE GRAMMONT, histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830 (présenté par Lemnouar merouche), édition bouchene, paris, 2001, p. 23.

(2) شارل، اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية: تونس، الجزائر، المغرب الاقصى من الفتح الاسلامي الى سنة 1830 (تعريب: محمد مزاري واخرون)، ط 02، ج 02، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص 378.

(3) Jacque, Berque, «medinas, villeneuves et bidonvilles», in C.T, n° 21, 1958, p 11.

وذلك نتيجة توفر عنصر الماء واحتوائها على سهول خصبة كسهول سيدي بلعباس ومعسكر وسهل سرسو وهذا يجعلنا ننظر الى هذه العلاقة بانها علاقة الأكل والمأكول على حد تعبير استرهازي⁽¹⁾.

إن توغل نفوذ ارسقراطية مدن بابلك الغرب الجزائري في اريافه لم يكن يوما من الأيام ثابتا على حال واحدة وانما كان يتوسع كلما قويت شوكة الحكومة وزاد نفوذ الحكام واذغن الاهالى للرضوخ والطاعة ويتقلص كلما كثرت الثورات وشاعت الفوضى ؛ على أن هذه الظاهرة شاركت فيها الجزائر بقية أقطار المغرب العربي ولا سيما المغرب الأقصى بحيث أصبح تاريخ هذه الأقطار عبارة عن العلاقة بين المناطق التي يسود فيها نفوذ الدولة وبين المناطق المستعصية على سلطة الحكام التي كانت عادة تسمى ببلاد السبية أو ارض الخلاء والبارود، وانطلاقا من ذلك أصبحت قبائل المخزن طبقة وسطى في الأرياف تماثل طبقة الكراغلة في المدن وذلك باعتبارها طائفة اجتماعية تشد الحاكم بالمحكوم وتخدم مصالح الجماعة التركية الحاكمة على حساب سكان الأرياف⁽²⁾، اما ابن خلدون فقد أكد في القرن 14 عن وجود علاقات التبعية بين المدينة والريف على المستوى العقاري والتجاري والسياسي والديني⁽³⁾، فمتى زاد العمران في المدينة زادت النشاطات والكسب والعوائد وهذه الحالة تتوافق مع عهد الباي محمد الكبير حيث ان المشاريع العمرانية التي قام بها والازدهار التي عرفته مرحلة حكمه لبابلك الغرب الجزائري انعكست ايجابا على المدينة والريف⁽⁴⁾؛ فثراء المدينة واستقرارها يساهم في مد الريف بما هو ضروري وما كان يؤخذ من الريف كضرائب كان يعود عليهم في شكل سلع ومواد مختلفة أي أن أموال الجباية ذاهبة عنهم عائدة إليهم في العطاء على حد تعبير ابن خلدون⁽⁵⁾.

الا ان الملاحظ حول العلاقة التي سادت بين المدينة والريف ببابلك الغرب الجزائري، ان الارياف لم تستفيد من الجانب العمراني الذي كان سائدا في المدن، الا ان قبائل المخزن كانت عاملا مساعدا على الحد من الحياة البدوية والانتقال التدريجي من الترحال الى الاستقرار في الارض؛ هذا الاستقرار الذي حدث على ثلاث مراحل متعاقبة فالمرحلة الاولى عاش اثناءها فرسان المخزن تحت الخيام يمارسون زراعة بسيطة ويربون الماشية بسهول وهران وغريس وبعض الجهات من الهضاب العليا وفي المرحلة الثانية اصبحت بعض العشائر تعيش على نشاط اقتصادي متكامل ترتبط فيه الزراعة بتربية الماشية ورافق هذا التحول العزوف عن سكنى الخيام والميول نحو القرابي المصنوعة من الطين

(1) Walsin, Esterhazy, op.cit, p.235.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، «وضعية عشائر المخزن.....»، المرجع السابق، ص 76.

(3) عبد الرحمن، ابن خلدون، المقدمة، ج2، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 436.

(4) André, gourguos, « notice sur le bey d'oran », op.cit, p :408.

(5) المصدر السابق، ص 448.

والمغطاة من الأخشاب و غصون الأشجار، أما المرحلة الثالثة والتي لم تعرفها سوى بعض العشائر المخزنية فقد اتخذ فيها الاستقرار في شكل تجمعات سكانية عرفت بالدواوين أو المشاتي القريبة من أبراج وحصون الحراسة والمراقبة التي كانت في الغالب تتوسط الأراضي الخصبة والمراعي المشاعة⁽¹⁾.

ان علاقة المدينة بريف بايلك الغرب الجزائري تعززت وتدعمت وتكاملت بصفة استثنائية خلال القرن الثامن عشر وذلك نتيجة ندرة مداخل البحر فاصبح الريف الممون الرئيسي للمدينة فالنشاطات الاقتصادية توزعت على محورين أساسيين هما: محور سكان المدن وامتيازاتهم ومكاسبهم على أنها ذات طابع إداري ومهني وعرقي ومحور الريف المزارعون والرعاة إضافة إلى بدو الصحراء الرحل، بينما شكل سكان الأرياف الأغلبية والقوة الاقتصادية المغلوبة على أمرها فهم إما يستخدمون في أعمال السخرة أو الخماسة أو خاضعون بصفة مباشرة لمطالب المخزن⁽²⁾.

لقد كان الريف ينتج للمدينة قوتها ويجرك أسواقها بدون أن تقدم له المدينة شيئا ومع ذلك كان الريف مرغما على دفع الضرائب ولا يقف معهم احد اذا أصابهم كارثة طبيعية كقلة الأمطار أو الأوبئة، لذلك اكتفى العثمانيون بالإشراف المباشر على الأرياف وإعطاء للأعيان والموظفين المحليين المتعاملين مع السكان صلاحيات محدودة خاضعة لتوجيهاتهم⁽³⁾.

احتلت المدينة مجالا مميزا عن المجال الريفي فكانت العلاقة الموجودة بين هذين المجالين تتوقف على علاقات الإنتاج وتقسيم العمل داخل المجتمع وقد شملت جوانب مختلفة من الحياة توجهها في حالات انكماشها وانتعاشها عملية توزيع الخيرات وفي هذا الصدد؛ فان من التأثيرات السلبية لتواجد عشائر المخزن أنها أثرت على توزيع الكثافة السكانية بالريف حيث استولت على الأراضي الخصبة بالمناطق السهلية وقد تسبب ذلك في إحداث ضغط على بقية السكان مما اضطر الكثير منهم الى الالتجاء الى المناطق الجبلية او السهول الفقيرة وهذا مادي إلى تراجع الانتاج الزراعي، ضف الى ذلك ان هذا التخلخل في التوزيع السكاني سيكون له اثر واضح على مستقبل الجزائر لانه ساعد على ايجاد فراغ نسبي امام التوسع الاستيطاني الفرنسي الذي بادر بالاستيلاء على وهران ومعسكر بحجة ان هذه المناطق لم يكن بها تجمعات سكانية كثيفة⁽⁴⁾.

(1) ناصر الدين ن سعيدوني، «وضعية عشائر المخزن.....»، المرجع السابق، ص 76

(2) ناصر الدين ، سعيدوني، «نظرة في التاريخ الاقتصادي للجزائر في العهد العثماني»، مجلة سرتا، العدد 03 ، 1980 ، ص 79.

(3) عمر، بن خروف، «العلاقات الخارجية للجزائر في العهد العثماني سياسيا واقتصاديا وثقافيا»، عرض بحث قدم في ندوة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 ، الجزائر، يوم الثلاثاء 2002/05/28.

(4) ناصر الدين ن سعيدوني، «وضعية عشائر المخزن.....»، المرجع السابق، ص 74.

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

- * لقد كان الجهاز الإداري لبابلك الغرب منظما الى عدد كبير من القبائل التابعة لشيخوها وكل مجموعة من القبائل تشكل وطنا يحكمه قائد ومجموعة من القيادات تشكل اغاليك ومجموعة اغاليك يحكمها باشا او خليفة.
- * كان لبابلك الغرب نظام داخلي خاص وتراتبية ادارية تمثلت في العديد من الوظائف، تلك الوظائف كانت تتداخل فيها سلطات الموظفين بعضها في بعض فهناك الموظفون القريبون من الباي وهناك الموظفون القائمون على شؤون المدن، والموظفون القائمون على شؤون الارياف.
- * ان بابلك الغرب كان يتشكل من من عدد من الزعامات المحلية وكانت عماد النفوذ به يتمثل في القيادات الدينية او المرابطية التي كانت لها ادوار معتبرة في ظل تباين مواقفها فبعضها مسير للسلطة وبعضها معتدلا والبعض الاخر مناهضا ومعارضاً للبابلك.
- * كانت قبائل بابلك الغرب مقسمة الى قسمين بارزين وهما القبائل ذات المناصب والامتيازات وتدعى قبائل المخزن، والقسم الاخر يتمثل في الطبقة المغلوبة على امرها وتتشكل من قبائل الرعية والقبائل الخليفة التي كانت تعتمد على النفوذ الروحي لرجال الطرق والزوايا وترفض الاعتراف بالسلطة.
- * لقد كان لقبائل بابلك الغرب قدرات عسكرية معتبرة فكانت قبائل المخزن تعد من اهم مخازن بايات الغرب لما لها من قوة عسكرية.
- * عرف بابلك الغرب خلال هذه المرحلة التاريخية فترات تاريخية هامة تمثلت في عهد الباي بوشلاغم (1700-1732)، والباي محمد الكبير (1799-1784) الذي كانت فترة حكمه الاكثر اهمية نظرا لما عرفته من استقرار سياسي واستكمال البابلك لوحده الترابية باسترجاع مدينة وهران.

3- الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب خلال

القرن 18

اولا:- الزراعة

1-1: أنواع الأراضي الزراعية

2-1: الثروة الزراعية والحيوانية

ثانيا:- الصناعة

1-2: الحرف والصنائع

2-2: الفئات الصناعية

ثالثا:- التجارة

1-3: التجارة الداخلية

2-3: التجارة الخارجية

رابعا:- العملات والأسعار

1-4: العملات

2-4: الأسعار

خامسا:- الضرائب والرسوم

1-5: ضرائب الاهالي الخاضعون للاسبان

2-5: الضرائب العثمانية

تمهيد:

تناولت في هذا الفصل الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر؛ واعتبارا من أن مفهوم الاقتصاد يتركز على جملة من العناصر أهمها الزراعة، ومن منطلق أن الباي كان تاجرا في مقاطعته فقد قسمت ملكية الأراضي الزراعية على أساس إقطاعي حيث أراضي البايك الخصبة تستقر عليها قبائل المخزن وأراضي القبائل المجرة على دفع الضريبة وأراضي العزل القابلة للمصادرة؛ وكان ذلك عاملا غير مساعد على التطور الاقتصادي وكابحا في نمو الإنتاج الزراعي إذ أن النشاط الحربي لفرسان المخزن شكل عائقا أمام تطور الإنتاج في أراضي البايك وهجرت القبائل إلى المناطق النائية بسبب رفضها دفع الضرائب وامتهانها لتربية المواشي أما أراضي العزل فمعظمها جبلية ولم تحقق الغرض الذي منحت من أجله، وقد انعكس هذا الوضع على الثروة الزراعية والحيوانية.

وبالمقابل وما تمثله الصناعة من أهمية في اقتصاد الدول فقد عرف البايك مجموعة من الحرف والصناعات في المدن بمواد أولية وطريقة صنع محلية وعملت على تلبية متطلبات عديدة للاستهلاك والاستعمال اليومي؛ ثم أشرت إلى التجارة بنوعيتها الداخلية الممارسة في الأسواق والخارجية التي كانت تتم مع عدة نطاقات جغرافية عالمية تأتي سفنها تقريبا فارغة إلى موانئ البايك لتعود محملة بالحبوب وقد لعب اليهود دورا بارزا ومثلوا عناصر اتصال وربط في هذا المجال بين مختلف الموانئ النشطة على الضفة الجنوبية للمتوسط خاصة في عهد الباي محمد الكبير. وبما أن العملة تعتبر وجه من وجوه الاقتصاد فقد تطرقت إليها وذلك بالإشارة إلى أهم العملات السائدة في بايلك الغرب الجزائري الأمر الذي دفع التجار الأجانب إلى عدم اخذ الاعتبار لواقع العملة الجزائرية وتحديد سعرها حسب قيمة نقودهم الخاصة.

وأخيرا ذكرت طريقة التحصيل الضريبي من طرف العثمانيين أو حتى الاسبان، فالنسبة للعثمانيين بسبب تراجع مداخيل البحر خلال القرن الثامن عشر وبالتالي ضرورة العودة للاعتماد على الريف ومداخيله ومواده الأولية دون الالتفات إلى حاجياته الأساسية وهذا ما انجر عنه ترك سكانه لأراضيهم واللجوء إلى حياة الترحال وكثرت الجماعات والقحط وكثرت الثورات وتسلطت قبائل المخزن على بقية الرعية، أما بالنسبة لاسبان فقد قبلت القبائل التابعة لهم دفع الضرائب طواعية مقابل الحصول على الأمان.

كان للنشاط الاقتصادي تأثيرا بالغا في تاريخ بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر خاصة بعد اعتماد باياته على الموارد الداخلية في ظل شح الموارد الخارجية ، واعتبارا من أن مفهوم الاقتصاد يتركز على جملة من العناصر الأساسية وهي: الزراعة والصناعة والتجارة والأسواق والعملات والرسوم وغيرها.

أولا: الزراعة:

1 - أنواع الأراضي الزراعية:

إن طبيعة الوضع الاجتماعي كانت إقطاعية تقودها السلطة العثمانية والإقطاعية القبلية المحلية⁽¹⁾، فالباي كان تاجرا في مقاطعته اذ يأخذ رسما من التجار مقداره 5 % من السلع، ويبيع هذه البضائع الى السكان نقدا أو مقابل حبوب او مواشى كالأبقار والأغنام⁽²⁾، ومن هذا المنطلق فقد قسمت ملكية الأراضي الى عدة أنواع هي:

1/ اراضي البايك: وهي الاراضي الخصبة المحيطة بالحوضر الكبرى لبايك الغرب، حيث توجد الحاميات العسكرية؛ كانت تعرف عادة باسم المشاتي⁽³⁾؛ استقرت عليها قبائل المخزن وباشرت فيها نشاطها الزراعي بعد طرد القبائل المعادية للعثمانيين او المتعاملة مع الاسبان كبنى عامر وفليته، على أن الشيء الذي يمكن استنتاجه أن هذا النوع من الاراضي لا يباع ولا يشتري، وكل ما في الأمر أن قبائل المخزن تقوم باستغلالها مقابل تأدية خدمة معينة متفق عليها ضمنا بين أفراد العشيرة ورجال البايك وتلخص هذه الخدمة في أن الفرد المنتمي إلى قبائل المخزن والذي له حق الانتفاع بالأرض يجب ان يكون قادرا على تادية واجبه العسكري ويضمن له مقابل ذلك حق انتقال الارض الى ابنه الاكبر او من يكون على رأس أسرته من الإخوة والأبناء الآخرين في حال وفاته.⁽⁴⁾

وقد نتج عن هذا النوع من الملكية ان تحولت مساحات شاسعة من اراضي البايك المخصصة لقبائل المخزن الى ملكيات خاصة عندما تمكنت بعض العائلات المنتمية الى المخزن من الاستحواذ على الجزء الاكبر من المشاتي التي كانت تعيش عليها واصبح في استطاعة هاته الاسر ان تمارس حق الملكية باتم معنى الكلمة من ميراث وبيع وشراء وغير ذلك ويظهر هذا التأثير السلبي في أن 78 % من سهول بايلك الغرب ظلت سيئة التصرف تغطي معظم

(1) عبد المالك، خلف التميمي، «ملاحم الوضع الاقتصادي في المغرب العربي قبيل الاستعمار الغربي»، المجلة التاريخية المغربية، العدد 29-30-1980، ص 111.

حمدان بن عثمان، خوجة، المرآة، (تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 59.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، «وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والاثار التي ترتبت عنها»، المجلة التاريخية المغربية، العدد 07-08، 1977، ص 69.

(4) BACHE , (E.L) , «la propriété arabe en Algérie avant 1830» , in R.A.C , T 3 , 1860 , PP :698-699.

جهاتها الحشائش البرية والأشجار غير المنتجة لان النشاط الحربي لفرسان المخزن شكل عائقا امام تطور الانتاج وتحسين طرق استغلال الأرض⁽¹⁾.

ومما يلاحظ ان هذا النوع من الاراضي استغل كذلك من طرف بعض السكان بحصولهم على خمس الانتاج، كما عرف بايلك الغرب ظاهرة السخرة فبعد تحرير وهران الاول سنة 1708 استولى الباى مصطفى بوشلاغم على قطعة ارض وغرس فيها اشجار الزيتون وانشا فيها بركة ماء لسقي القمح والشعير كما انشا الباى شعبان مزرعة في اراضي اولاد علي وفرع الهيرة في إقليم سيرات وانشأ لها نظام ري وظلت هذه المزرعة تنتج لحساب البايات الذين خلفوه وشغل فيها العبيد والزنوج، ونفش الشئء بالنسبة للباى اسحاق ابراهيم الذي اقام بمعسكر واصبح مالكا لأراض شاسعة في سهل غريس على ضفاف وادي الشلف بدوار «الجليدة» يقال لها «بلاد الباى»⁽²⁾.

ب/أراضي القبائل:

كانت قبائل بايلك الغرب تملك قطعا من الأراضي تمارس فيها نشاطها الزراعي بشكل مشترك من زراعة ورعي، وتختلف ممارسة الملكية وانشطتها الاقتصادية من قبيلة لآخرى حسب البيئة الجغرافية ومدى خصوبة الأرض، هذا النوع من الاراضي لم يكن بعيدا عن السلطة حيث أن هذه القبائل عليها أن تدفع ضريبة للباى.

إن الإنتاج في هذا النوع من الملكية له وظيفة تتعدى حاجات القبيلة الاقتصادية حيث انه يساهم إلى حد كبير في تدعيم مكانة القبيلة وشيخها سياسيا واجتماعيا وكذلك حربيا، لكن رغم ذلك يبقى الباى من حقه فرض ضرائب على المحاصيل والماشية والأرض والسوق ويستخدم في بعض الأحيان قوة الجيش الانكشاري لجبايتها⁽³⁾.

ج/أراضي العزل:

هي الاراضي التي يصادرها او يشتريها الباى من القبائل ويتنازل عنها لصالح كبار موظفيه، وعادة كانت تمنح القبائل التي ترضى بتقديم الولاء والجند والضرائب للباى اضافة الى جزء من المحاصيل التي تنتجها ارضها، وكانت تتصف بصغر مساحتها ووقوع اغلبها في المناطق الجبلية المكتظة بالسكان او بجوار الحواضر حيث يكثر الاقبال على امتلاكها من طرف موظفي البايلك، واشتهرت منها ملكيات بمسرغين والدار البيضاء بالقرب من وهران⁽⁴⁾.

(1) ناصر الدين، سعيدوني، «وضعية عشائر.....»، المرجع السابق، ص 60-74.

(2) صالح، عباد، المرجع السابق، ص 390.

(3) عبد المالك، خلف التميمي، المرجع السابق، ص 113.

(4) المرجع السابق، ص 51.

ان هذا النوع من الملكيات غير مستقر لان هذه الاراضي تتوقف على مدى تحقيق الاغراض التي من اجلها منحت وبدون ذلك تسحب مباشرة من اولئك الذين منحت لهم لتنتقل الى اشخاص اخرين وهذا الوضع يؤدي الى تنافس حاد ليس في مصلحة المجتمع لكنه يساهم في تغذية الصراع بين المستغلين والمستغلين من السكان⁽¹⁾.

2 - الثروة الزراعية والحيوانية:

كان بايلك الغرب يشتمل على عدد من السهول مثل سهل غريس الخصب الذي كان ينتج كميات كبيرة من الحبوب؛ ويعتبر القمح المنتج الرئيسي في كامل الغرب الجزائري اضافة الى الخضر والفواكه والمواشي وغيرها⁽²⁾، وكان سهل تلمسان يحتوي على حدائق خضراء ذات اشجار مثمرة تسقى بالمياه حيث ذكر ديفونتان انه لم يشاهد في حياته بلدا مرويا مثل تلمسان وارضه المحروثة التي تتوازي بها البساتين وحقول الحبوب واشجار الزيتون الممتدة على اطراف المدينة والقرى المجاورة مثل عين الحوت والحناية وكانت جميع هذه الاماكن باستثناء سيدي بومدين من املاك الكراغلة⁽³⁾.

اضافة الى سهلي غريس وتلمسان كانت هناك سهول اخرى تحتوي على العديد من المزروعات مثل سهول مستغانم التي يصفها "روزيت" بانها قد سقيت بعيون المياه الغزيرة والابار والاحواض والنواعير الهوائية وبها حدائق الكروم والاشجار وبها علامات الزراعات الثرية والمكثفة⁽⁴⁾، وسهل هبرة ومليانة وتنس ووهران، هذا الاخير لم يكن مستغلا بصفة جيدة قبل فتح وهران بسبب الاوضاع الامنية غير المشجعة، لكن بعد استرجاع وهران النهائي سنة 1792 اصبحت القبائل المخزنية من دواير وزمالة وغيرها هي صاحبة الارض ولا سيما سهل الظهرة الواقعة قرب وهران والتي منحها لهم حسن باشا⁽⁵⁾.

لقد كان الانتاج الزراعي في بايلك الغرب الجزائري يتم في مواسم دون الاخرى، وذلك لقلة الوسائل الضرورية، ولندرة طرق ووسائل الري وانحصارها في اماكن دون غيرها مثل تلمسان وندرومة ومستغانم وسيق ومليانة حيث

(1) عبد اللطيف، بن اشنهو، تكوين التخلف في الجزائر، محاولة لدراسة حدود التنمية الراسمالية في الجزائر بين 1830-1962، (ترجمة مجموعة من الاساتذة)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص ص 26-28.

(2) اندري برنيان، اندري نوشي، ايف لاکوست، الجزائر بين الماضي والحاضر (تعريب: رابح اسطنبولي، المنصف عاشور، مراد تفاحي)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص 187.

(3) Desfontaines(L,R), fragments d'un voyage dans les regences de tunis et d'alger fait de 1783 a 1786, librairie de gide, paris, 1838, p : 164 .

(4) ROZET(M), voyage dans la regence d'alger ou description du pays occupe par l'armee francais en afrique, 3 Volume, arthus bertrand, paris, 1833, p :197.

(5) ROBERT, tinthoine, colonisation et evolution des genres de vie dans la region ouest d'oran de 1830 a 1885, (5) Librairie fouque, oran, 1947, pp :89-90.

توجد بعض السدود التي انشأها السكان او التي بناها العبيد لصالح الباي او لفائدة تجار المدن كما هو الحال بالنسبة لسدود غليزان على وادي مينه وسيق.

كما تميز بايلك الغرب الجزائري بالمزروعات ذات الطابع التجاري حيث نجد القطن والكتان والارز والتبغ فكان الارز مثلا ينتج بنواحي مليانة المتاخمة لوادي الشلف وجهات مستغانم حيث كان يزرع في شهر ماي وتجنّى ثماره في شهر أوت⁽¹⁾ ويضاف الى ذلك انتاج العسل والشمع التي كانت تشتهر به الأقاليم الجبلية ببائلك الغرب الممتدة من راس فالكون الى الحدود المغربية وقد كان سكان البائلك يستهلكون جزءا منه والبقية يباع لوكلاء البائلك⁽²⁾؛ إضافة الى القطن والكرموس، اما عن تخزين هذه الغلال وحفظها لمدة أطول فكان يتم في مخابئ خاصة عرفت " المطامير " التي كانت كثيرة في سهول وهران⁽³⁾.

أما عن الثروة الحيوانية - الجانب الاخر من الميدان الزراعي - فكانت متوفرة ومنتشرة في كل نواحي البائلك خاصة في الهضاب العليا، وكانت تربية الماشية عموما في السهول الكبرى مثل احواز وهران لدى قبائل المخزن وفي سهول معسكر ومكرة حيث توجد قبائل الرعية، وقد كانت تربية البقر تشكل المصدر الرئيسي لراس مال السكان لانهم في الغالب لا يستهلكون الا لحوم الاغنام اما الابقار فتباع في الأسواق إضافة إلى الماعز والنعام وغيرها، ومن جهة اخرى كان سكان بايلك الغرب يصطادون السمك بالقرب من سواحلهم وان الاسماك بها كثيرة⁽⁴⁾.

كما امتاز بايلك الغرب الجزائري بتربية الخيول والاعتناء بها وعرف بسلالة خيوله الجيدة، حيث نجد ان قبائل معسكر كانت تستكثر منها وكذلك قبائل الشراقة والانجاد واليعقوبية وغيرها، وكانت الإبل متوفرة في جنوب البائلك وتستعمل اوبارها لصناعة الملابس كالبرانس وصناعة الخيام، كما كان يوجد بالمنطقة الكثير من البغال والحمير والكثير من الحيوانات المفترسة كالاسود والنمور⁽⁵⁾.

ثانيا: الصناعة:

ان المقصود بالصناعة هنا؛ الصناعة التقليدية التي تتمثل في الحرف والصنائع الممارسة في مختلف حواضر بايلك الغرب الجزائري والتي لم تلقى رواجاً في الارياف التي كانت تقوم على الصناعات العائلية فيما عدا السلع

(1) VENTURE , de pradis, tunis et alger au 18eme siecle, memoires et observations rassambles et presentes par Joseph cuoq, edition sindbad, paris, 1983, p :127.

(2) BERNARD, caporal, oran capitale du beylik de l'ouest 1792-1831, edition alpha. Alger, 2012, pp :198-199.

(3) ROZET(M), op.cit,p :284.

(4) عبد القادر، نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من اقدم عصورها الى انتهاء الحكم التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965 ،

ص144.

(5) Op.cit, p : 292.

المستوردة كالسكر والشاي ومواد الخياطة⁽¹⁾، وبالتالي فهذه الحرف والصنائع كانت مخصصة لتسديد حاجات الطبقة الغنية في حواضر بايلك الغرب.

لقد ساهمت مجموعة عوامل في وجود الحرف والصنائع في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 تتمثل في الموقع الاستراتيجي الذي يقع على شرايين تجارية هامة واحتواء البايك على موانئ يتم عبرها التسويق كميناء وهران والمرسى الكبير ورشقون وميناء ارزبو ومستغانم، ضف إلى ذلك امتلاك حواضر البايك الرئيسية كمازونة ومستغانم ووهران ومعسكر وندرومة على مناطق ريفية هامة تغذي أنشطة المدينة بالمواد الأساسية، حيث ان اغلب الحرف كانت تقوم بمعالجة المواد الأولية النجمة عن النشاط الرعوي والزراعي وأكثر الإنتاج وفرة الجلود والصوف⁽²⁾. كان للعامل البشري دورا فعالا في تشجيع استمرارية الحرف والصنائع ببايلك الغرب عبر مختلف الفترات التاريخية، ونشير هنا إلى نزوح الأندلسيين الذين كان العدد الكبير منهم من الحرفيين والصناع ورجال علم ومعرفة ضف إلى ذلك أنهم أعطوا طاقة ديموغرافية للبايلك.

1- الحرف والصنائع:

1/ الصناعة النسيجية: كانت الصناعة الأكثر توسعا وانتشارا في بايلك الغرب، فإننتاجها تجاوز السوق المحلية والاكتفاء الذاتي ومثلت محورا هاما في العلاقات الدولية التجارية سواء على المستوى المتوسطي أو العالمي⁽³⁾. لقد عرفت الصناعة النسيجية تنوعا في الانتاج شمل الاغطية الحمراء والاقمشة العادية التي كان يستعملها الجيش والمحازم المتنوعة التي كانت تنسج نسجا متينا، وتنقل الى جميع انحاء الايالة⁽⁴⁾، فمساهمة تلمسان كانت دون منافس على مستوى البايك نتيجة الانتاج الهام لمعامل الصوف⁽⁵⁾، كما كان انتاج مازونة هاما في المنتوجات القطنية والصوفية نظرا لامتلاكها حوالي 1400 آلة نسيج دون احتساب ما كان يتواجد في احوازها؛ كما عرفت معسكر بصناعة الشواشي الصوفية التي كانت تلون بصباغ القرمز المتوفر فيها وتصدر الى مناطق بعيدة خاصة المشرق العربي⁽⁶⁾ اما مدينة ندرومة فوجد فيها مايزيد عن 25 محلا للنسيج⁽⁷⁾؛ وفي مستغانم فان رواج هذه الصناعة

(1) اندري برنيان، اندري نوشي، ايف لاکوست، المرجع السابق، ص 196.

(2) BOUDIA ,Merad, la formation sociale algerienne precoloniale, O.P.U, alger,1981, p :163.

(3) FERNAND , BRAUDEL, « l' economie de la mediteranee au 17eme siecle », in C.T , tome 04, no 14, 1956, p :191.

(4) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 57.

(5) ANDRE , Cocq, histoire de tlemcen ville francaise, edition internationale, tanger,1940,p :309.

(6) PERROL(A.M) , alger equisse topographique et historique du royaume et de la ville, 3 eme edition,

Impremerie de goulthier la guioque, paris, 1830, p : 49.

(7) RICARD , PROSPER « l' artisanat indigene en oranie , quelque apercus sur cette branche de L' economie algerienne », in B.S.G.A.O , no , 1939-1940, pp :99-100.

يعود الى ازدهار زراعة القطن بضواحيها وقد كان عامل جلب للاندلسيين للاستقرار بها، وبدورهم ساهموا في اثناء هذه الزراعة وتوسيع صناعتها⁽¹⁾، اضافة الى استفادة المدينة من المنتج الرعوي الذي ساهم في صناعة الزرابي والاعطية اضافة الى الحياك.

وغالبا ما طبعت هذه الحرفة في الأرياف بالصبغة العائلية حيث كانت العائلات تصنع المنسوجات من الفليج والخيام والحياك واللحاف لتباع في أسواق المدن، فالنساء هن اللواتي يقمن بغزل الصوف وتحضيره بصفة عامة فالرقيق يستعمل لصناعة الحياك والالبسة الفاخرة والغليظ لصناعة الأغطية والزرابي.

ب/صناعة الحلبي: لقد شكل اليهود أهم صناع هذه الحرف الى جانب ممارستهم لحرف اخرى منها الخياطة⁽²⁾، وانتشار هذه الحرفة ناجم في الاساس عن وجود فئات اجتماعية ثرية تمثلها ارسقراطية المدن ببائلك الغرب حيث شكلت الزيون الرئيسي لهذه الصناعة؛ وهنا نشير الى مكانة تلمسان وندرومة إضافة الى معسكر ومستغانم، واعتبرت الحرفة المهيمنة والمسيطرة في مدينة مازونة⁽³⁾.

ج/الصناعة الفخارية: انتشرت بكثرة في بايلك الغرب نتيجة قدمها وتوارثها من الاب الى الابن وتوفر موادها الاولية خاصة الطين، ففي مدينة ندرومة وجدت ثمانية مصانع وثلاثة افران لتجفيف القطع المصنوعة، حيث كان كل مصنع ينتج 50 قطعة فخارية في الاسبوع؛ علما ان الصانع لا يشتغل ايام الجمعة والاحد وفي فصل الشتاء⁽⁴⁾. لقد انتشرت كذلك هذه الصناعة في تلمسان التي وجد بها ثمانية مصانع وعرفت في كل من معسكر ومستغانم ومدينة مازونة المعروفة بوفرة المادة الطينية وكثرتها⁽⁵⁾.

د/صناعة الجلود: لعبت دورا هاما في الحياة الحرفية بتلمسان حيث كان دباغ الجلود يمونون عدة صناعات بالمواد الاولية كصانعي الاحذية، ويشهد على هذه الصناعة بهذه المدينة اسم الطريق الذي كانت تحمله وهو من اهم طرقات مدينة تلمسان، هذا الطريق يحمل الان اسم طريق معسكر⁽⁶⁾، اضافة الى منتوجات معسكر ومستغانم نتيجة المادة الاولية الرعوية التي كانت تصل الى هذه المدن ، واشتهرت مازونة بدباغ الجلود وكانت هذه الحرفة منتشرة عبر

EUGENE, CARETTE, commerce de l'algerie avec l'afrique centrale, cuyot, paris, 1844,p :44. (1)

EISENBETH(M),« les juifs en algerie et en tunisie » ,in R.A, no 96, 1952, pp :137-139. (2)

PIERRE , PELLARY ,notices geographiques sur le dahra oranais, secretariat de l'association, paris,1896,p :16. (3)

EMILE , JANIER ,« les industries indigenes de la region des traras » in R.A ,no, 1944, p :43. (4)

DJILALI , SARI, les villes precoloniales de l'algerie occidentale,nedroma,mazouna, kalaa, sned,alger,1970,p :37⁽⁵⁾

ANDRE , COcq , op.cit.p :309 (6)

كامل أحياء هذه المدينة، وكان صناع الجلود يصنعون بضائع للتصدير وألبسة فرسان المخزن والبدو وركاب الخيل⁽¹⁾.

ه/الصناعة الغذائية: ممثلة في المطاحن التي كانت في الغالب تقع خارج المدن كمطاحن مستغانم، والمطاحن الممتدة على طول وادي ارهيو⁽²⁾، لأنها عادة كانت تدار بالقوة المائية لذلك وجدت معظمها بمحاذاة المجاري المائية والودية والأنهار، وكانت هذه الوحدات الانتاجية تابعة للبايلك وتموينها بالمواد الأولية يتم عن طريق الباي او احد كبار موظفيه، اذ نجد ان باي وهران كان يدفع للحكومة المركزية مبلغا ماليا كبيرا مقابل احتكاره حق شراء القمح الذي كان ينتجه بايلك الغرب⁽³⁾.

و/صناعة الحرير: مثل الشالات والمناديل والعمائم والقماش المطرز بالذهب، وقد اشتهرت تلمسان ومازونة ومعسكر ومستغانم وندرومة بهذه الصناعة وخاصة الطرز على الجلود والأقمشة القطنية، وقد بيعت منتوجاتها بأثمان مرتفعة⁽⁴⁾، وقد عرفت مستغانم العديد من المحلات للطرز بخيوط الذهب، ونشير هنا ان النساء كان يتعاطين الطرز على الحرير بنسبة هامة وممارسته بمختلف أشكاله وفي هذا المجال نشير إلى بنات مازونة اللواتي اشتهرن بغزل الخيوط الحريرية⁽⁵⁾.

بالإضافة إلى هذه الصناعات فقد عرف بايلك الغرب خلال القرن 18 فروعاً أخرى للصناعة مثل صناعة الأسلحة وورشات ضرب السكة والصناعة الخشبية وصناعة الحلفاء والصناعة المعدنية ومعاصر الزيتون التي كان إنتاجها موجهاً للاستهلاك المحلي، فالبايلك لم يكن بحاجة إلى استيراد زيت الزيتون⁽⁶⁾.

لقد كان المسؤولون في البايلك يبذلون كل جهودهم لتنمية الصناعات المختلفة، إذ يقول حمدان خوجة " انهم كانوا يدفعون لصانع السفن؛ عن كل مركب رياتات وعندما يرمى المركب في البحر يتقاضى مائة ريال"⁽⁷⁾.

1- الفئات الصناعية: كانت فئة الصناعيين مهيكلة على شكل وحدات، ومقارنة ببقية البايلكات ففي

بايلك الغرب كان عددها قليلا⁽⁸⁾، وكانت هذه الوحدات مقسمة على اساس عرقي مثل اليهود المشهورين

(1) اندري برنيان، اندري نوشي، ايف لاکوست، المرجع السابق، ص 197.

(2)

BERNARD , CAPORAL,op.cit,p :359.

(3) رحمونة، بليل، العلاقات التجارية لايالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط مارسيليا وليفورن 1700-1827، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة، جامعة وهران، 2002-2003، ص 43.

(4) BELALFRED ,« Nedroma metropole musulmane des traras» In B.S.G.A.A, no 140, 1934, p :505.

(5) MOULAY, belhamissi, mazouna une petite ville une longue histoire,sned, alger, 1980, p :39.

(6) BERNARD ,CAPORAL,op.cit, p :359.

(7) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 81 .

(8)

Op.cit, p : 354.

بصناعة المعادن الثمينة، والحضر الاندلسيين اضافة الى عدد كبير من الكراغلة والاتراك الذين تقاسموا مع السكان بعض الحرف كما نجد صنعا وحرفيين من مختلف المناطق مثل المزايين والزنج وحتى بعض المغاربة. وكان على راس كل حرفة امين يعين من طرف قايد الدار، ومبدئيا يقوم باقتراحه رؤساء الوحدات الصناعية لكن من الممكن ان لا تاخذ السلطة الادارية هذا الاقتراح بعين الاعتبار⁽¹⁾.

ان وظيفة امين الصناعة ادارية وقضائية ويلعب دور شخصية اخلاقية فهو الذي يمثل وحدته ويدافع عنها عندما تمس مصالحها، ويشرف على الصندوق المالى الممون من حقوق الرؤساء، ويراقب محاولات الغش في الصناعة ويفصل في النزاعات بين المشتريين والمنتجين ويساعده في هذه المهام خليفة⁽²⁾؛ كما يسعى لاحترام المهنة والارتقاء فيها على أسس مهنية صحيحة داخل الوحدة الإنتاجية.

أما على مستوى المحل أو ماكان يعرف " الحانوت" الذي لايتعدى طوله 2.5 مترا وعرضه 1.5 مترا⁽³⁾ يوجد المعلم اي صاحب الورشة الذي يقوم بشراء المواد الأولية كالصوف والجلد والصبغة ويوزع المهام مابين العمال، ثم هناك الصانع الذي يعتبر خليفة المعلم فمثلا صناعة النسيج كان بها العديد من الصناع موزعين على هذا النحو: الصفاح الذي يقوم بمراقبة سلاسل آلة النسيج، والسدايسي الذي يشتغل لوحده على آلة نسيج صغيرة الحجم، ثم المدور الذي يقوم بتكيبب الصوف وتدويرها، ثم هناك المتعلم الذي يريد تعلم الصناعة⁽⁴⁾.

إن طريقة العمل بهذه الورشات الإنتاجية كان هادئا وبتمهل خارق للعادة خاصة عند صانعي المجوهرات والساعات⁽⁵⁾، وأما أيام العمل فكانت عادة تحدد بدايتها بطولوع الشمس مع التوقف عند آذان الصلاة، مع التغيب في بعض الاستثناءات كالأعياد الدينية والأعياد الرسمية التي لم تكن كثيرة؛ وقد خلقت الوحدة الإنتاجية تقاليد اجتماعية لدى العمال فهي تقوم بجمع التبرعات ومنح القروض وكانت تسحب من صندوق التضامن للوحدة⁽⁶⁾.

ثالثا: التجارة:

إن التجارة في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18، كما هو الشأن في جميع البايلكات؛ نوعان خارجية وداخلية، وتمت الداخلية داخل المدن بواسطة الأسواق الأسبوعية أو السنوية في الأرياف، وقد عزز التبادل التجاري الداخلي عاملان هما: تشجيع البايات للأسواق التجارية سعيا لفرض نفوذهم على سكان الأرياف عندما يختلفون

WALSIN, ESTERHAZY, op.cit, p : 280

(1)

BERNARD, CAPORAL, op.cit.p : 355.

(2)

ROGER- LE,TOURNEAU, les villes musulmanes de l'afrique du nord, impremerie officielle,alger, 1957, p :60.

(3)

Op.cit, pp :354-355.

(4)

ROZET(M) ,op.cit, p : 89.

(5)

FREDJ, STANBOULI,« système social et sataification urbaine au Maghreb» in R.T.S.S, no 50, p : 54.

(6)

في هذه الأسواق، ضف إلى ذلك مرور القوافل التجارية عبر أراضي البايك في اتجاه الصحراء أو المغرب أو بلاد المشرق العربي⁽¹⁾.

1- التجارة الداخلية: كان للتجارة الداخلية أهمية كبرى في بايلك الغرب حيث عملت على ربط الاتصال بين السكان عن طريق الأسواق الأسبوعية وكانت تلك العلاقات تتم بين الريف والمدينة، حيث ينقل سكان الريف منتجاتهم إلى المدينة لبيعها ويشترى منها المصنوعات المحلية والمستوردة، وفي هذا المجال فقد عرفت الحياة التجارية في بايلك الغرب عدة مستويات نذكر منها مايلي:

1/ الأسواق الداخلية:

شكلت فيها المدينة نقطة التقاء وتبادل ليس فقط لسكانها بل حتى بين سكان الريف والمناطق المجاورة، إذا فالمدينة كانت تجمع وتوزع المنتجات التي تحصل عليها والتي تنتجها⁽²⁾، حيث تشهد المدينة في سوقها الأسبوعي حركة غير عادية نتيجة تدفق التجار والزبائن والمنتجات التي كانت تشكل من المواد المصنعة والمواد الزراعية والحيوانية. لقد اتصفت مدينة تلمسان بحركة تجارية مكثفة؛ حيث تردد على سوقها كل القبائل المجاورة من منطقة ندرومة وجبال تارة⁽³⁾، أما في معسكر فكان يعقد كل خميس سوقا تباع فيه الحبوب والحيوانات والعبء المجفف القادم من منطقة مليانة⁽⁴⁾؛ والعسل والاقمشة إضافة إلى تجهيزات الخيل، كان سوق معسكر ذا أهمية كبيرة إلى درجة أن علاقاتها التجارية كانت تمتد إلى غاية اعماق افريقيا.

بالإضافة إلى الأسواق الداخلية والأسبوعية للمدينة فلقد كان يعقد أسواق عند أبواب المدن وعادة يكون الباب الذي يربط المدينة بالطرق التجارية الهامة، فمدينة معسكر على سبيل المثال لا الحصر كان يعقد كل يوم جمعة وسبت واحد سوقا عند باب بابا علي حيث يباع فيه البارود ولوازم الخياطة والتوابل كما وجدت الفنادق لاستقبال التجار القادمين من تلمسان وحتى من المغرب⁽⁵⁾.

أما مدينة ندرومة فكان يعقد سوقها الأسبوعي كل يوم خميس حيث يشهد حركة نشيطة ويقصده أكثر من 4000 شخص يأتون من وجدة المغربية ومغنية وتلمسان، وكانت منتوجاتها رائجة خاصة منها النسيج والفخارية والصوفية.

(1) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي في الجزائر في اواخر العهد العثماني 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 38.

(2) GEORGES, MARCAIS, « recherche d'archeologie musulmane honain », in R.A, t LXIX, 1928, p : 340

(3) ANDRE, COCQ, op.cit, pp :300-301.

(4) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 58.

(5) MARCEL, EMERIT, op.cit, p : 90

كما كانت مدينة مازونة تعقد سوقها كل يوم سبت تباع فيه المنتوجات الصوفية والقطنية، وكانت الأهمية التجارية لمستغانم تكمن في نشاط مينائها الذي جعلها تتصف بالوظائف التجارية والاقتصادية قبل الوظائف العسكرية والدينية⁽¹⁾.

ب/ الاسواق المتنقلة:

عرفت كذلك بتجارة القوافل؛ اذ شهدت العلاقات بين المدن تطورا ملحوظا وذلك نظرا لوجود طرق مواصلات كانت تسمح بمرور القوافل محفوفة بأبراج الحراسة التي يتولى شؤونها قبائل المخزن حيث تأخذ الرسوم عند الدخول أو الخروج من المدينة على الحمولات سواء كانت الخيل أو النوق⁽²⁾، وهذه الصعوبات جعلت الأسعار مختلفة حسب نوعية المواد المسوقة سواء بيعت من طرف المنتج او بعد تنقل طويل؛ وكانت هذه الطرق كذلك مزودة بجسور على الأودية مثل جسر الصفصاف في جهة تلمسان وجسر قنطرة الشلف⁽³⁾، وكذلك فنادق للراحة.

إن المبادلات التجارية مع الريف كانت ذات أهمية كبيرة لأنها كانت تشمل كل المنتوجات الفلاحية سواء من اجل تموين المدينة أو التسويق نحو الخارج⁽⁴⁾؛ وكانت المراكز الأكثر حيوية تلك الموجودة على حافة السهول العليا الغربية والتل، لكن المشكل كان في خط المبادلات التجارية بين الصحراء ومناطق شمال البايك، فكان مثلا قبائل الصحراء تأتي إلى الشمال للتبادل التجاري وكان سكان مدن بايلك الغرب يتقايضون معها بالحبوب وغيرها⁽⁴⁾، وهكذا تنقل المنتوجات من عرش الى آخر ويأتي تجار التل للتبادل مع سكان الجنوب الصوف مقابل الحبوب، وغالبا ما تقوم القبائل شبه البدوية بالتنقل الى القبائل البدوية من اجل شراء التمر والمواد السودانية مقابل الحبوب والمواد المصنعة⁽⁵⁾؛ وعادة كانت التجارة مع المناطق الصحراوية تعرقلها المناوشات بين القبائل وتتم عبر مراحل وفصول معينة ففي نهاية فصل الربيع تغادر اماكنها صوب مدن شمال البايك لتقترب من التل محملة ابلها بكل المواد التي تنتجها وتبقى هناك طيلة فصل الصيف تقوم بالبيع والشراء هناك لتعود الى موطنها في فصل الشتاء.

كما تعرف المنتوجات في هذه الأسواق المتنقلة تنافسا كبيرا خاصة في السوق الذي كان يتم على ضفاف واد الشلف حيث نافست برانس معسكر منتوجات بايلك الشرق، وتدفع قوافل تلمسان لسلعها المستوردة من فاس

(1) NORBET, BEL-ANGE, op.cit, p : 55.

(2) اندري برنيان، اندري نوشي، ايف لاکوست، المرجع السابق، ص 194.

(3) ALBERT, DEVOULX, tchirifat. recueil de notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger , (3) Imprimerie du gouvernement, Alger, 1952, p : 79.

(4) ELIE, DE LA PRIMAUDIE, le commerce et la navigation de l'algerie avant la conquete francaise, impremerie (4) La hure, paris, 1861, p : 216.

(4) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص 217.

(5) MAUROY(M), precis de l'histoire et du commerce de l'afrique septentrionale depuis les temps anciens (5) Jusqu'au temps moderne, 4eme edition, impremerie royal, paris, 1852, p : 136 .

دينارين لكل حمل كضريبة⁽¹⁾، كما كانت بعض القبائل مشهورة بمبادلاتها التجارية مثل قبيلة سيدي العربي التي كانت تسكن قرب مستغانم حيث تمر عليها تقريبا كل بضائع تلك المنطقة والمتجهة نحو سوق ضفاف واد الشلف⁽²⁾.

أما في المناطق المحيطة بوهران فقد عرفت أربعة أسواق متنقلة تباع فيها كميات كبيرة من القمح فالأول في البرية والثاني في حمام بوحجر غرب سهل ملاتة ، والثالث الخاص لشحن وتجارة القمح في منطقة المالح، اما الرابع الذي كان تحت اشراف قبائل الزمالة وجد في منطقة اغبال، وكان يمثل الباي في هذه الاسواق الأربعة قائد مهمته مراقبة البيع وجباية الرسوم المختلفة حسب طبيعة المنتج⁽³⁾.

2- التجارة الخارجية:

إن التجارة الخارجية تعتبر احد أهم المفاتيح التي من خلالها يمكن أن نقرأ أو نقدم فهما للنمو الحضاري للمغرب العربي ككل؛ وباعتبار الدور الوسطي الذي لعبه بايلك الغرب عبر ازمنا سابقة فقد لعب ادوارا هامة في حوض البحر المتوسط خلال القرن 18 فيما يخص المبادلات والتفاعلات التجارية؛ وقد ساهمت مجموعة عوامل في ذلك تتمثل في انفتاح سواحل بايلك الغرب على سواحل جنوب غرب أوروبا؛ حيث أن موانئه لم تستقبل فقط المواد التجارية لكن استقبلت اللاجئين والقراصنة والرحالة ورجال الدين خاصة خلال القرن 15 الذي لا يتكلم عن صفقات تجارية وامتيازات البيع والتبادل⁽⁴⁾؛ لكن تمركز عدد كبير من التجار في وهران وتلمسان من الاسبان والفرنسيين والايطاليين، وظلت تلمسان نقطة عبور بين تجار الشمال والجنوب الذي تنطلق منه القوافل بداية من السودان الغربي مرورا بسجلماسة وتافالالت ثم وجدة وفاس قاصدة هذه المدينة من اجل المنتوجات التلمسانية

(1) عبدالله بن محمد، الشويهد، قانون اسواق مدينة الجزائر 1695-1705 ، (تحقيق وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني)، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006 ، ص 40 .

(2) GENTY DE , BUSSY, l'établissement des francais dans la régence d'alger,tome2, 2eme edition,librairie firmers Didot frere, paris,1839,p :253 .

(3) ROBERET, TINTHOIN,colonisation et evolution des genres de vie dans la region ouest d'oran de 1830-1885, (3) Librairie fouque,oran, 1947, p :27.

(4) FERNAND,BRAUDEL,la méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II les événements, (4) La politique et les hommes, tome 3,9eme édition ,armond colin, paris,1990,p :425.

مقابل العاج والذهب والعبيد⁽¹⁾، فالحركة التجارية في بايلك الغرب خلال القرن 18 تميزت بميزة خاصة وذلك من خلال محاورها الرئيسية التي كانت تتم على النحو الآتي:

* **من الجنوب إلى الشمال:** تتم عن طريق القبائل والقوافل التجارية التي تستعمل الجمال والحمير في الصحراء، وفي الشمال البغال والجمال وتسلق طرقا تختلف عن مثيلاتها في أوروبا وهي تنقسم إلى سلطانية وجهوية، والسلطانية هي الطرق التجارية الكبرى⁽²⁾، ويوجد منها في بايلك الغرب⁽³⁾:

الطريق العرضاني الشمالي يربط وهران بفاس مرورا بتلمسان ووجدة.

الطريق العرضاني الأوسط يربط وهران بتومبوكتو مرورا بارزيو والخيش ومشرية وعين الصفراء وفقيق ولهذا الطريق فرع اخر في شرقه يبدأ من الخيش إلى البيض إلى الأبيض سيدي الشيخ وصولا الى توات.

الطريق العرضاني الجنوبي يربط وهران بالسودان الغربي مرورا بتلمسان وفاس وتافالنت ومراكش.

* **من الشمال نحو الخارج:** تتم عن طريق الموانئ التي كانت لها سيطرة على التجارة الخارجية ليس فحسب على المنطقة الغربية وانما كامل الجزائر اثناء العهد العثماني أي منذ القرن 16 و 17 ، فعندما تسجل المنطقة الغربية 24 رحلة إلى ميناء ليفورنه الايطالية؛ تسجل المنطقة الشرقية 18 رحلة فقط⁽⁴⁾، ولم تنقطع المبادلات التجارية عن طريق البحر، وقد تميزت بمرحلتين بالنظر الى موانئ البايك؛ مرحلة الاحتلال الاسباني لوهران 1505-1792 حيث كانت تلمسان مركزا للتصدير والاستيراد عبر ميناء هنين وميناء الغزوات ورشقون نظرا لتوفر الامن للسفن، فقد مثلت منتجات الصحراء ما يقارب 18000 حمولة اي ما يعادل 18000 جمل محمل بسلع مختلفة يتم تصديرها في اتجاهات مختلفة خاصة نحو ايطاليا⁽⁵⁾، إضافة إلى ميناء مستغانم الذي عد أهم نقطة للبيع والتوزيع بين البايك وفرنسا خاصة التجار المارسلين⁽⁶⁾؛ لكن بعد تحرير وهران من قبضة الاسبان سنة 1792 وانتقال عاصمة البايك إليها تحولت الحركة التجارية إلى مينائها خاصة مع اسبانيا التي كانت تعرف قيمة هذا الميناء في حجم المبادلات التجارية العالمية فقد قامت بتوسيعه ودعم رصيفه القاري وحفر العديد من المخازن في الجدران الصخرية مابين 1786-1788 لتخزين البضائع الموجهة للتصدير⁽⁷⁾، إضافة إلى ميناء ارزيو الذي كان الميناء الرئيسي لتصدير

(1) RICARD, PROSPER, op.cit,p :107.

(2) VENTURE DE , PARADIS, op.cit, p :120.

(3) يحي، بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص 90-91 و ص 112.

(4) FERNAND, BRAUDEL, la méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II, routes, ports et

Trafics, tome 1, Armand colin, paris, 1951, p :45.

(5) VENTURE DE , PARADIS, op.cit, p :123.

(6) NORBERT, BEL-ANGE, op.cit, p :55.

(7) رحمونة، بليل، المرجع السابق، ص 51.

الحبوب لباي معسكر، وقد عمل باي وهران سنة 1787 على إقامة عدد من المخازن به⁽¹⁾، وفي سنة 1779 منع داي الجزائر ورفع الاستثناء على السفن الإنجليزية التي كانت تشحن حمولتين من القمح من ميناء ارزيو لتموين جبل طارق وماهون⁽²⁾، وكان يشحن سنويا 200 الى 250 سفينة محملة بالحبوب لاتقل حمولتها عن 20000 الى 30000 فناق قمح في الاسبوع⁽³⁾.

لقد تعامل بايلك الغرب في تجارته الخارجية خلال القرن 18 مع عدة نطاقات جغرافية مجاورة اوغير مجاورة من الدول الإسلامية وغير الإسلامية.

- **التجارة مع المغرب:** لقد كانت هناك تجارة بين الجزائر والمغرب، ولا سيما بين بايلك الغرب الجزائري ومملكة فاس، فاتجاه الحركات التجارية التي كانت تنطلق من وهران وتلمسان كلها نحو المناطق الصحراوية المغربية خاصة تافيلالت التي شكلت ولمدة طويلة مدينة هامة وملتقى للطرق التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب أو العكس ونظرا لذلك فقد تميزت بظهور ارسنقراطية ثرية⁽⁴⁾، ثم تتجه إلى تومبوكتو عن طريق الصحراء، والثانية الى مدينة الصويرة باتجاه الاطلسي وكانت صعبة ومهمة في آن واحد⁽⁵⁾، وكانت قوافل وهران وتلمسان تتلقى من مدينة سلى وطنجة وتيطوان سلعا أوروبية هامة لتتجه بها مباشرة إلى داخل إفريقيا، كما كانت مدينة تلمسان تتلقى كميات هامة من الصوف والقطن والاقمشة الحريرية لتموين المحلات الحرفية، علما أن هذه المواد الاولية كانت تنتشر في أعالي منطقة ملوية وذات نوعية ريفية عن تلك القادمة من المغرب⁽⁶⁾.

وبهذا ظلت أسواق تلمسان تتحكم في تجارة كميات كبيرة من القطن والتوابل والأقمشة والجلود مع الأخشاب والبنادق وريش النعام والعاج والعلك، وكانت تجلب هذه المواد من جبل طارق او فاس عن طريق ممر تازة أو ترسل من تافيلالت مقابل تصدير الإنتاج المحلي من الحبوب والبلاغي والزيت⁽⁷⁾، ضف الى ذلك الدور الذي لعبه تجار

(1) ROLAND, VILLOT, « arzew sous l'occupation espagnole et la domination turque », in B.S.G.A.O , no 74, 1951, p : 10-11 .

(2) PAUL, MASSON, histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque 1560-1793 Hachette, paris, 1909, p : 153 .

(3) RENE, LESPES, « oran ville et port avant l'occupation française » in R.A, no LXXV, 1934, p280.

(4) RENARD, THOMASSY, le maroc et ses caravanes, relation de la France avec cette empire, firmin didot, paris, 1845, p : 73.

(5) وليم، شالر، مذكرات وليم شالر قنصل امريكا في الجزائر 1816-1822 (تعريب وتعليق: اسماعيل العربي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 103 .

(6) اندري برنيان، اندري نوشي، ايف لاکوست، المرجع السابق، ص 196.

(7) ALFRED, ROUX, la cvilisation ottoman, edition oriental, paris, 1997, p : 33.

فاس كوسطاء بهذه المدينة الى درجة ان الحكم المركزي على مستوى البايك لم يكن يتحكم في سوق المدينة، بل كان كل صفقاته التجارية تجرى تحت مراقبة تجار فاس.

- **التجارة مع الدول الأوروبية:** كانت تعيش دول أوروبا خلال القرن 18 نزاعا فيما بينها نتيجة تضارب المصالح واختلاف النظم السياسية، ثم جاءت الثورة الفرنسية التي كادت تعمرها جميعا، لذلك فان عددا من هذه الدول ظلت تتقرب من الجزائر وتخطب ودها، وقد وجدت الجزائر في هذه المواقف الأوروبية فرصة لخدمة مصالحها فتؤيد هذا مرة، وتقف إلى جانب ذلك مرة أخرى إلى أن يضاعف الهدايا ويزيد في تنوعها⁽¹⁾.

لقد كان لحروب الثورة الفرنسية في أوروبا عدة انعكاسات اجتماعية تتمثل خاصة في انتشار المجاعات؛ الأمر الذي دفع بالدول الأوروبية إلى تأمين غذائها من الجزائر ولأجل ذلك عملت على التوسع والانتشار واحتكار وسائل المواصلات البحرية وهذا ما خلق نوعا من التنافس فيما بينها في تجارتها مع الجزائر⁽²⁾.

إن كل من الداوي والبايات كانوا الممثلين الحقيقيين وأسياد التجارة الخارجية في الجزائر بدون منازع خلال القرن 18، وبالفعل فان الباي محمد الكبير سنة 1790 كان يشتري موزونة قمح من الفلاحين في الأرياف بـ 02 بدقة شيك ويبيعهها بـ 07 بدقة شيك، وشمع العسل بـ 60 بدقة شيك ليتم بيعها بـ 163 بدقة شيك، وهكذا يجمع ثروة كبيرة يتقاسمها مع داي الجزائر وكبار ضباط الحكومة العثمانية بدار السلطان⁽³⁾؛ وحتى وان لم تجد السفن ما تشحنه فإنها إذا مرت بالسبخ بين وهران وارزويو عمرت جوفها بالملح ويشتريه الباي بـ 22 صولديا ونصفا للقنطار وتذهب به إلى الجزائر ليبياع بـ 45 صولديا، والسفينة التي ترسو بميناء ارزويو تدفع 25 سكة جزائرية و 01% لقبطان المرسى⁽⁴⁾.

إن أهم ما كان يصدره بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 في اتجاه الدول الأوروبية هو الحبوب خاصة القمح والشعير، ولو ان هاته ليست حديثة في الجزائر خلال العهد العثماني، فقد عرف مستويات تصدير هامة عبر فترات تاريخية سابقة ومنذ القدم، إلا أن الشيء المميز له هو بلوغه ذروة التصدير بين سنوات 1741-1815 والاستثناء خاصة بين سنوات 1766-1803 وبين 1777-1779 التي عرفت ارتفاعا منتظما لأرباحه نتيجة

(1) محمد العربي، الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،

ص 120.

(2) نفسه، ص 80.

(3) VENTURE DE ,PARADIS, op.cit, p :124-125.

(4) احمد توفيق، المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 175.

تزايد الطلب عليه في الأسواق الأوروبية ، حتى أصبحت تسمى هاته الفترة التاريخية بـ "عصر القمح"⁽¹⁾؛ وقد تحكمت في ذلك مجموعة عوامل تتمثل في طول فترة حكم الداوي محمد بن عثمان باشا (1766-1791) التي تميزت بالرخاء والرفاهية واستفادة باياته في الشرق والغرب من ذلك من خلال تعيينهم لمسيرين أكفاء يسهرون على مداخيل الخزينة ويحافظون على الثروة التي جمعت⁽²⁾، ضف إلى ذلك دور الشركة الملكية الإفريقية التي انشأت سنة 1751 والتي كانت تهدف بدرجة كبيرة إلى تصدير أكبر كمية ممكنة من الحبوب في اتجاه مرسيليا ومنها توزع على المناطق المحتاجة في فرنسا خاصة وأوروبا عامة، وإذا كان الداوي هو الذي يبرم المعاهدات التجارية مع ممثلي الحكومة الفرنسية ويعين نوعية البضائع التي تشتريها الشركة الملكية الإفريقية فان هذه الأخيرة تفتنت ورأت من الضروري استمالة البايات على مستوى البايلكات بالوسائل المختلفة ابتداء من الملاطفة إلى تقديم الهدايا للباي والأعيان وبيع الأسلحة لقبائل المخزن لضمان حماية تجارها⁽³⁾.

وفي جميع الحالات فان البايات شجعوا زراعة الحبوب على مستوى البايلكات، فمحمد الكبير باي وهران كان يعرض أكبر كمية للبيع، وأسس نظام القروض للفلاحين لإنعاش الإنتاج⁽⁴⁾، وأنشأ مخازن بميناء ارزيو وتكليف موظف به يشتري نقدا كل كميات الحبوب المقدمة من طرف الفلاحين أو إعطائهم بعض الأشياء لبيعها في الأسواق⁽⁵⁾، ففي سنة 1808 صرح بوتان في احد تقاريره بان كل من موانئ ارزيو وهران والمرسى الكبير صدروا نحو الخارج بمعدل سنوي يفوق 300000 كيلة حبوب وهذا يعني ثلث ماكانت تصدره الجزائر⁽⁶⁾.

إن المساهمة الكبيرة للحبوب في التعاملات التجارية لبايلك الغرب مع دول أوروبا لم تدم طويلا، ففي نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 عرفت تراجعا ولم يعد يعطى لها اهمية بسبب ظهور مؤشرات اللامن وعدم الاستقرار في بايلك الغرب نتيجة نشاط الطريقة الدرقاوية والتيجانية في تأليب السكان ضد البايات، وانتشار الامراض والابوثة خاصة وباء الطاعون حيث اورد "دوغرامون" ان هذا الوباء حصد بين شهر افريل وجوان من سنة 1787 حوالي

(1) LEMNOUAR, MEROUCHE, recherches sur l'Algérie a l'époque ottomane, monnaies, prix et revenus 1520-1830, Edif, alger, 2000, p: 177.

(2) Ibid, p: 178.

(3) ERKUMENT, KURAN, « la lettre du dernier dey d'alger au grand vizir de l'empire ottoman », in R.A, N° 96, p: 190.

(4) VENTURE DE, PARADIS, op.cit : 127.

(5) BERNARD, CAPORAL, op.cit, p: 378.

(6) ROBERT, TINTHOIN, mers-el kebir, librairie fouque, oran, 1952, p: 95.

8065 شخص⁽¹⁾، فاصبحت وهران مدينة شبه خالية من جراء تفشي المرض، وان كان هذا الوضع غير مرضي بالنسبة للبايلك فإنه خدم أطرافا أخرى والدليل هو استمرار عمليات التصدير.

إلى جانب الوباء فقد عرفت الجزائر المجاعات نتيجة الجفاف كمجاعة سنة 1794 التي أعقبها زحف الجراد حيث اختفت المواد الاستهلاكية من الأسواق وارتفعت الأسعار حتى أصبح الباشا يفرق الرغيف بين الناس في المدن فسمي بعام "خبز الباشا"⁽²⁾، فادت هذه الأوضاع المزرية بالدايات إلى إصدار أوامر للبايلكات بعدم تصدير الحبوب، فالباي محمد الكبير لم يتحصل على موافقة سنة 1798 لتصدير 10000 كيلة⁽³⁾، إضافة إلى فتح مخازن الحبوب أمام هؤلاء الذين هددتهم الجوع، وفي هذا الشأن يذكر المزارى: "حدثت بأول مملكة محمد الكبير بمعسكر مسغبة عظيمة هلك بها أناس كثيرة إلى أن أكلوا الميتة والدم والخنزير ولحم الآدمي"⁽⁴⁾. كما امتنع البعض عن دفع الضرائب واستنجد الداي باللجوء لاستيراد قمح البحر الأسود.

1/ التجارة مع اسبانيا: عندما خرج الأسبان من وهران تفاوضوا مع ايالة الجزائر وتمكنوا من الحصول على إذن يسمح لهم بإنشاء شركة ماثلة للشركة الملكية الإفريقية في عاصمة بايلك الغرب الجزائري تتولى التجارة وتحظى بنفس الامتيازات⁽⁵⁾، لأنهم كانوا في حاجة ماسة إلى كميات كبيرة من القمح نظرا لفقر بلادهم وتزايد عدد السكان.

والمتمتع لتجارة بايلك الغرب مع اسبانيا يلاحظ أنها كانت موجودة حتى قبل التحرير النهائي لوهران⁽⁶⁾، ونشير هنا انه بين سنوات 1786-1790 كانت التجارة حرة مثلها وكلاء تجاريون اسبان بلغ عددهم 46 وكيلا نهبوا حوالي 50% من كميات الحبوب الجزائرية المستوردة من طرف اسبانيا بين 1786 - 1788⁽⁷⁾؛ أو عن طريق الوسطاء اليهود خاصة اليهودي كوهين بكري الذي كان يفاوض داي الجزائر للحصول على كميات كبيرة من الحبوب لحساب الشركات التجارية الاسبانية في قادس ومالقة وقرطاجنة واليكانت⁽⁸⁾.

(1) HENRI-DELMAS, DE GRAMMONT, histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830 (présenté: Lemnour merouche), édition bouchene, paris, 2001, p: 273

(2) بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص 360.

(3) ANDRIAN, BERBRUGGER, « la regence d'alger sous le consulat et l'empire » in R.A, n°15, 1871, p: 329.

(4) المصدر السابق، ص 297.

(5) HENRI-DELMAS, DE GRAMMONT, op.cit , p: 346.

(6) PAUL, MASSON, l'agence nationale d'Afrique 1794-1801, hachette, paris, 1921, p: 311 .

(7) ISMET TERKI, HASSAINE, « la politique commerciale espagnole dans l'algerie ottomane 1787-1830 », in cahiers CRASC, n°09, 2005, p: 140.

(8) LEON, FEY, histoire d'Oran avant, pendant et apres la domination espagnole, edition adolphe perrier, oran, 1858 Oran, p: 131.

وبعيدا عن هذا النوع من طرق الشراء والمشتريين، فان موانئ الجزائر كانت مستهدفة ومبرجة من طرف قنصل اسبانيا في الجزائر دولاص هيراس ونائبه دولاريا، وهذه الفكرة كانت مقترحة حتى من بعض الأرباب الخواص في مدينة ماهون بجزر البليار الاسبانية ولتحقيق هذه الغاية كان لابد من تأسيس شركات تجارية اسبانية بميناء الجزائر مماثلة للشركات الفرنسية وهذا ماحدث فعلا بظهور الشركة التجارية الاسبانية ماك دونال وكاستليني في اكتوبر 1787⁽¹⁾ من مدينة قرطاجنة التي لم تتقيد بشروط البيع والشراء بالموانئ الجزائرية وأرسلت وكلائها مباشرة إلى ميناء ارزيو والتفاوض مع باي معسكر محمد الكبير لشحن كميات من القمح، لكن اعتبر ذلك في نظر داي الجزائر سرقة للبند الثاني والعشرون من معاهدة السلام بين الجزائر واسبانيا الذي يؤكد على انه لايمكن للمراكب الاسبانية أن تقصد المراسي الجزائرية خارج العاصمة لكي تفرغ اوتشحن حمولتها إلا برخصة من حكومة الجزائر كما هو معمول به مع جميع الدول الأخرى⁽²⁾.

لقد استطاعت في نهاية المطاف هذه الشركة أن تشحن كمية كبيرة من القمح بواسطة تدخل اليهودي كوهين بكري؛ وقد عجل ذلك على نهاية نشاطها بايالة الجزائر عامة وإلغاء اتصالاتها مع ميناء ارزيو، لتحل محلها شركة اسبانية ثانية مهتمة بسوق الحبوب الجزائرية وهي شركة خوان بوتيسستا المنحدرة من مدينة مرسية الاسبانية التي اصيب سكانها بالجماعة نتيجة الجفاف، وامام هذا الوضع اشترطت الشركة الاسبانية سنة 1788 تزويدها بـ 40000 كيلة من القمح و 20000 كيلة من الخرطال؛ لكن شرطها كان مرفوضا من طرف داي الجزائر بداعي غلاء أسعار الحبوب مما دفعها الى الاستنجد بالوكلاء الفرنسيون واستطاعت بذلك الحصول على ثلاثة شحنات من القمح من مينائي الجزائر وارزيو.

ان عدم معرفة النظام السياسي والاقتصادي لايالة الجزائر من طرف شركة خوان بوتيسستا عجل بنهايتها تاركة ورائها ديونا لـ 3000 كيلة قمح شحنت من ميناء ارزيو.

ان تخصص التجارة الاسبانية مع الجزائر عامة وبايلك الغرب خاصة بتجارة الحبوب تفسرها فترات الجفاف التي مرت بها أوروبا في نهاية القرن 18 وخاصة الجنوب الاسباني، كما يفسر من جهة ثانية الوفرة الإنتاجية التي كانت سائدة في الجزائر⁽³⁾.

(1) JEAN,CAZENAVE, « les presides espagnols d'afrique,leur organisatio au 18 siecle»,in R.A,n° LXIII,1922,p257.

(2) يحي، بو عزيز، مفاوضات الصلح.....، المرجع السابق، ص 147.

(3) LOUIS,CARA DEL Aguila , les espagnols en afrique du nord,relations politiques et commerciales avec l'algerie⁽³⁾ 1786-1830, these de doctorat 3eme cycle dactylograhiée, etude iberiques ,bordeaux 3,p :230.

رغم فشل الأسباب في التوسع التجاري في الجزائر وبايلك الغرب خاصة خلال المرحلة الأولى، إلا أنهم صمموا على تجديد الكرة بين سنوات 1790-1796 في إطار تجارة منظمة ومراقبة وموجهة وتغيير نهائي للسياسة التجارية اتجاه الجزائر⁽¹⁾، وقد ساهم في ذلك حدثان رئيسيان طيلة الفترة الممتدة بين 1790-1797 أولهما المرسوم الملكي لـ 21 فبراير 1790 الموقع من طرف الملك شارل الرابع والذي جاء بتتويجا لسياسة الوزير الأول الإصلاحية فلوريدا بلانكا؛ حيث تم بموجبه انهاء التجارة الاسبانية الحرة والفوضوية في موانئ الجزائر وتعويضها بسياسة تجارية مراقبة وموجهة، وإلغاء البند الثاني والعشرون من معاهدة السلام، أما الحدث الثاني يتمثل في الجلاء النهائي للاسبان من وهران⁽²⁾.

ابتداء من سنة 1790 الى 1830 اخذ التوسع الاسباني في شمال إفريقيا شكلا جديدا ومرحلة فريدة في تاريخ العلاقات ما بين اسبانيا والجزائر، وبالفعل فقد تأسست شركة "Goyeneche, Rigal et Urrutia" وكانت مهمتها تزويد الجيش الاسباني في المدن؛ فالنسيا، مرسية، مالقة، الجزيرة، مليلية بالمواد الغذائية؛ وقد استطاعت سنة 1790 شراء حمولة 20000 كيلة قمح و20000 كيلة شعير من بايلك الغرب، وفي السنة الموالية 60000 كيلة قمح و40000 كيلة شعير⁽³⁾.

أما بالنسبة للغرب الجزائري فقد تم إنشاء الشركة الاسبانية المسماة "compagnie campana d'oran" في سنة 1792 نظرا لدرائتها ببنية سوق القمح الجزائري، وخبرتها في مجال التجارة مع دول شمال إفريقيا لأنها كانت قطب تجاري في مدينة الدار البيضاء بالمغرب منذ 1782⁽⁴⁾، وبإمكانها أن تسد وبطريقة منتظمة في الخزينة الملكية 300000 بياستر قوي، وبهذا سوف تشتري جميع منتوجات الغرب الجزائري كالقمح والشعير والبقول والحمص والجلود والكتان وشمع العسل، أما عن شروط عملها وتطوير نشاطها التجاري في بايلك الغرب فيمكن أن نستشفه من خلال الامرية الملكية الصادرة يوم 04 أكتوبر 1791 والتي جاء فيها مايلي⁽⁵⁾:

*إرسال الشركة لممثلها الخاص الي الجزائر لمعرفة وتقصي الحقائق في حال نشوب نزاع بين الطرفين.

*تعيين موظفين دائمين يمثلان الشركة، واحد بالنسبة للجزائر والآخر بالنسبة لوهران ويشترط أن يكونا من جنسية اسبانية.

(1) ISMET, TERKI HASSAINE «oran au 18 siecle : du dessarroi a la clairvoyance politique de l'Espagne», in Insaniyat, n° 23-24, 2009, p : 15.

(2) ISMET, TERKI HASSAINE, « la politique commerciale.....», op.cit, p : 143.

(3) Ibid, p : 146-147-148.

(4) LOUIS, CARA DEL AGUILA, op.cit, p : 61.

(5) BERNARD, CAPORAL, op.cit, p : 383.

*تلتزم الشركة على الدفع سنويا رسوما جراء نشاطها التجاري في وهران بقيمة 12000 سكة جزائرية، على أن يكون تاريخ سريانها ابتداء من 01 جانفي 1792.

*يتعهد الداوي بالبيع سنويا 6000 كيلة قمح و60000 كيلة شعير للتجار الأسبان.

*تتعهد الشركة التجارية الاسبانية التي سوف تنشأ في وهران بدفع حقوق التنصيب المقدرة بـ 666 سكة جزائرية تمنح للداوي، و431 سكة جزائرية لمساعديه.

*عن طريق تركية شخصية لنائب القنصل الاسباني، بإمكان الشركة التجارية الاسبانية أن تعيد نشاطها مستقبلا لدى داي الجزائر اوباي معسكر.

*السماح لـ "فرانيسكو ساقى" بشحن المواشي من ميناء الجزائر لفائدة جزر البليار.

وبمجرد ما تم هذا الاتفاق، باشرت الشركة الاسبانية نشاطها إلا أنها واجهتها عدة صعوبات تتمثل في تراجع إنتاج الحبوب بسبب الوباء الذي انتشر بسرعة في الجزائر سنة 1792 ولجوء داي الجزائر إلى تسقيف أسعارها نتيجة الطلب الداخلي المتزايد عليها من جهة، ومن جهة ثانية المنافسة الفرنسية والانجليزية في ميناء ارزيو.

والى جانب هذه المشاكل، لم يكن لها اتصال مباشر بالأهالي، فباي وهران يعتبر الوسيط الوحيد بين التجار الأجانب والفلاحون الأهالي، ولما كانت ادارتها غير قادرة على اللحاح في مطالبها انسحبت نهائيا من وهران في 17 أكتوبر 1794 بعد وفائها بتسديد ديونها المقدرة بـ 40000 بياستر قوي ما يعادل 10000 كيلة قمح و100 قنطار من عسل الشمع وبخسارة مالية قدرت بـ 1.405375 ريال لستين من النشاط ممتدة من 1 مارس 1792 إلى 1 مارس 1794⁽¹⁾، وفيما يلي نقدم لما صدرته هذه الشركة من وهران ما بين 30 سبتمبر 1792 إلى 17 أكتوبر 1794 أخذنا من المعلومات بالتصرف عن الأستاذ عصمت تركي حساين الذي اعتمد على النص الاسباني من أرشيف التاريخ الوطني بمدريد⁽²⁾.

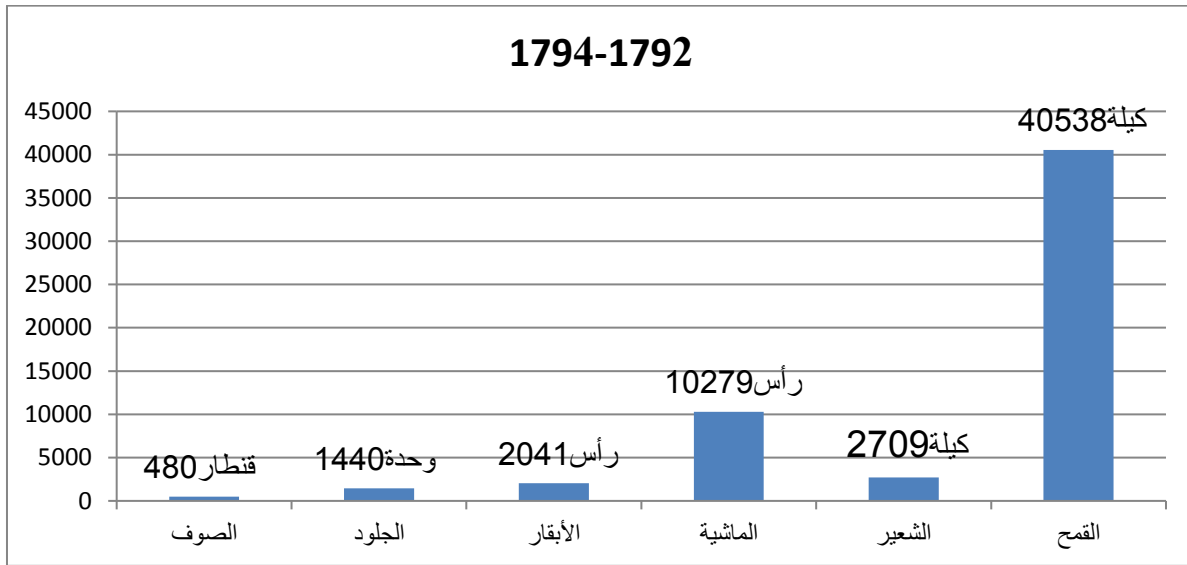
المواد	الكمية	المواد	الكمية
القمح	40538 كيلة	الملح	123.5 صابورة
الشعير	2709 كيلة	الصابون	23310 كيس
المواشي	10279 رأس	شحوم المواشي	25 جرة
الأبقار	2041 رأس	زيت الزيتون	25 جرة
الجلود	1440 وحدة	أوبار الجمال	16 كورة
الصفوف	480 قنطار		

LEON,FEY, op.cit ,pp :47-48.

(1)

ISMET ,TERKI HASSAINE«oran au 18 siecle : du dessarroi a»,op.cit,p :21.

(2)



- أعمدة بيانية للمواد المصدرة من طرف شركة **compagnie Campana d'Oran** نحو اسبانيا-

وفي الوقت الذي انسحبت فيه الشركة التجارية الاسبانية حلت محلها شركة اسبانية أخرى متخصصة في صيد المرجان بسواحل بايلك الغرب الجزائري والتي كانت متواجدة بالسواحل الليبية ، لكن منافسة صيادي مالطة وجنوة لها وبعد المسافة بين السواحل الليبية والاسبانية جعلها تستقر بالسواحل الجزائرية بين ارزيو ومستغانم ، سميت هذه الشركة بـ "شركة خوان موري" ، لكن رفضها دفع الضرائب في ميناء وهران عجل على نهايتها⁽¹⁾.

وهكذا فشل الأسبان في منافسة الفرنسيين والانجليز على الموانئ الجزائرية؛ لكنهم لم يستطيعوا البقاء على هذا الفشل بل واصلوا في محاولاتهم إلى أن ظهرت شركة "juan Garrigo" الذي كان اسيرا بالجزائر، وفي يوم 08 أكتوبر 1792 تلقى هذا الأخير اوامر من الوزير الاول الاسباني "الكونت اراندا" لتحويل 100000 بياستر قوي من برشلونة الى ايالة الجزائر للسماح له بمباشرة نشاطه التجاري بشراء سنة 1792 حمولة 03 سفن محملة بـ 85000 كيلة قمح، و03 سفن اخرى محملة بـ 4000 قنطار من الصوف، وفي السنة الموالية 2000 قنطار من القطن و 500 قنطار من شمع العسل⁽²⁾، لكن انتشار الوباء بالجزائر وكاجراء وقائي لم تقبل هذه السفن المحملة الرسو بميناء برشلونة واجبرت على العودة الى الجزائر وبالتالي الخسائر كانت كبيرة لهذه الشركة قدرت بـ 30146 بياستر قوي واغلقت ابوابها بالجزائر يوم 11 نوفمبر 1793.

إلا أن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد بل ساهم مؤسسها إلى إيجاد شريك اسباني له لاقترام السوق الجزائرية للحبوب؛ وتم ذلك فعلا مع "luis rigal de la pradera" الذي كان ذات شهرة في سوق الحبوب ببائلك

(1) THOMAS , shaw,op.cit,p136.

(2) JUAN BAUTISTA ,VILAR ,« relaciones comerciales hispano-argelinas en el periodo 1791-1814» IN hispania,(2) n° 26,p :436.

الغرب الجزائري ومحل ثقة من طرف الباي محمد الكبير الذي صادق على ان يكون ميناء ارزيو قطب تجاري لبايلك الغرب⁽¹⁾.

هكذا اذا بدأت هذه الشركة خاصة بعدما ابدت موافقتها بالدفع سنويا 12000 سكة جزائرية لداي الجزائر للاستفادة من 15000 او 20000 كيلة قمح بالاضافة الى دفع ضريبة الغرامة وكميات من القمح لباي وهران وقبائل المخزن واعادة شراؤه بسعر السوق الداخلية والرسو بميناء ارزيو، مع الالتزام بالبند السادس من معاهدة الصلح بين الجزائر واسبانيا الذي يؤكد انه في حالة غرق مركب اسباني قرب السواحل الجزائرية أو لاحقه الأعداء بنفس المكان أو أجبرته رداءة الطقس عليه الاقتراب من الشواطئ ويقدم له كل مايلزمه لاصلاح واسترداد حمولته على ان يدفع مقابل الخدمات والاسعافات⁽²⁾.

لقد استمر النجاح لهذه الشركة الى غاية 1796 بتصديرها من الجزائر نحو اسبانيا عدد كبير من المحاصيل الزراعية الغذائية كالحبوب والمواشي والزيوت والتمور اضافة الى القطن والجلود وشمع العسل وبمجيئ الوزير الاول الاسباني "Manuel Godoy" على راس الحكومة الاسبانية ؛ وضع نقطة النهاية لعشرة سنوات من العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر واسبانيا ليعاد بعثها من جديد بين سنوات 1800-1830 تحت حكم الملك "فرناندو السابع" مع تسجيل غياب للوكلاء الاسبان في الاسواق الجزائرية وهذا ما سيسمح لليهود الاخوة بكري وفتالي بوشناق بانتهاز الفرصة والاستحواذ على النشاطات التجارية والعمليات المالية بين البلدين⁽³⁾.

ب/التجارة مع فرنسا: إن عدم ارتباط الاسبان بشركاتهم التجارية ببائلك الغرب خلال القرن 18 قد عوض بمجيئ الفرنسيون والانجليز الذين كانوا الأكثر حضورا بميناء ارزيو ووهران.

لقد كانت تجارة فرنسا مع ايالة الجزائر منذ 1741 عن طريق الوكالة الملكية الإفريقية التي كان مقرها بمرسيليا مع فتح ادارات لها في كل من عنابة والقل وخاصة في القالة حيث اهتمت بصيد المرجان وشراء القمح والجلود ببائلك الشرق، وسرعان مازال نشاطها عندما اندلعت الثورة الفرنسية سنة 1789 حيث اصدر المجلس الوطني الفرنسي قرارا يسمح لجميع الفرنسيين بتعاطي التجارة في جميع المؤسسات الفرنسية الموجودة في شمال افريقيا؛ فاستغله الكورسيكيون والاسبان على حساب هذه الشركة التي ظلت تستعطف السلطات للتراجع عن هذا القرار⁽⁴⁾.

(1) GORGUOS, « notice sur le bey mohammed el kebir » in R.A, n°01, 1856,p :411.

(2) يحي ، بو عزيز، «مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا.....»، المرجع السابق، ص 144.

(3) LOUIS, CARA DEL AGUILA , op.cit,p :288.

(4) محمد العربي، الزبييري، المرجع السابق، ص 204.

لئن اختفت الشركة الملكية الافريقية؛ ظهرت هيئة تجارية جديدة سميت "الوكالة الافريقية" وبمجرد ظهورها وجدت نفسها امام صعوبات وعراقيل، ومما لاشك فيه ان فرنسا كانت عندئذ تقدر مدى اهمية الدور الذي تلعبه هذه المؤسسة في موانئ الغرب الجزائري ولكنها كانت عاجزة عن تلبية رغباتها المالية لان خزانة الدولة كانت فارغة، لذلك ستتنازل الوكالة الافريقية عن كثير من حقوقها لليهود التجار القادمون من ليفورنه وهم الاخوة بكري وشريكهم نفتالي بوشناق الذين استطاعوا وفي ظرف قصير وابتداء من سنة 1793 أن يشحنوا من ميناء وهران والمرسى الكبير وارزويو 100 سفينة في اتجاه فرنسا⁽¹⁾.

ان احتياجات فرنسا للحبوب الجزائرية اصبحت جد مهمة، ففي سنة 1794 اشترت اكثر من 170000 كيلة رغم القيود التي وضعها داي الجزائر، وفي هذه السنة سيطر فعليا الشريكان اليهوديان على أكبر جزء من الميادين التي كانت وقفا على التجار الفرنسيين⁽²⁾، رغم احتجاج قنصل فرنسا في الجزائر جون أنطوان فالير على ذلك. ففي فرنسا استطاع اليهودي يعقوب بكري تاسيس شركة تجارية بمرسيليا سنة 1795 يوجه منها الى سائر اوربا مايبعثه اليه اخوته من بضائع من الجزائر وتمكن سيمون ابوقية من ربط علاقات ودية مع المسؤولين الفرنسيين و اقناعهم بانه الممثل والمتعامل الرئيسي لشؤون الداى، وهكذا تم شحن 100000 حمولة قمح، فالاولى كانت بـ 100 فرنك للحمولة والثانية بـ 120 فرنك، وبفضل هذه الثقة التي احرزوا عليها في مختلف المستويات استطاعوا ان يجمعوا ثروة طائلة ونفس الشيء بالنسبة للداي والباي⁽³⁾.

وفي الوقت الذي وجهت فيه شركة بكري نشاطها نحو اوربا، كان بوشناق نفتالي قد ركز جهوده على بايلك الشرق الجزائري ينافس الشركة الملكية الافريقية ويعمل على الاحلال محلها، وحاول القنصل الفرنسي فاليار ان يمنعه من ذلك لكنه سرعان ما تحلى عن فكرته⁽⁴⁾، وفي هذا الصدد وجهت الحكومة الفرنسية تعليمات لقنصلها تنص على التعاون مع اليهود او مع غيرهم ممن يستطيع ان يبيع للشعب الفرنسي كميات كبيرة من القمح.

وعندما قاد نابوليون حملته العسكرية على مصر سنة 1798 راهن على ايالة الجزائر لتموين جيشه وللتعبير عن حسن الارادة قررت فرنسا تصفية ديونها العالقة المقدرة بـ 2297455 ليرة وتعهدت بتخليص الحسابات المقدرة بـ

(1) XAVIER, YACONO , l'histoire de l'algerie de la fin de la regence turque a l'insurrection de 1954, l'antlanthrope⁽¹⁾ Paris, 1993, p :34.

(2) PAUL, MASSON, « a la veille d'une conquete. concessions et compagnies d'afrique 1800-1830 », in B.G.H.D, n° 02 , 1909, pp :57-58.

(3) EUGENE, PLANTET, correspondance des deys d'alger avec la cour de France 1579-1833, volume 2, edition Bouslama, tunis, 1981, p :451.

(4) محمد العربي ، الزبيري، المرجع السابق، ص ص 220-221.

150000 ليرة كل 15 يوما⁽¹⁾، وفي هذه الاثناء كان بكري قد تمكن من التفاهم مع الايالة لتموين تولون ومالطة وجيش بونايرت بالحبوب الجزائرية مع امتياز الشحن من ميناء ارزيو ووهران فرغم ندرة الحبوب تحصل على رخصة تصدير 10000 كيلة شعير⁽²⁾.

ان احتلال نابوليون لمصر احدث قطيعة في العلاقات بين الجزائر وفرنسا باعتبار ان مصر كانت جزءا لا يتجزأ من الاراضي العثمانية، لكن ذلك سمح لشركة بكري وبوشناق لان تستحوذ بكل سهولة على التجارة الخارجية للجزائر وبالمقابل فان خزينة الدولة الفرنسية لم تتحسن ولم يكن لها في قدرة السلطات المختصة ان تدفع نقدا قيمة كل ما وصل الى ميناء مرسيليا ولاجل ذلك تجمع عند ادارة الشركة اليهودية عدد من السندات تمثل اكثر من 200000 بياستر قوي اي ما يعادل 1000000 فرنك⁽³⁾.

ولجمع هذه الديون كلها فكر نفتالي في ضرورة تحقيق السلم بين البلدين حتي يتسنى للدائى المطالبة بحقوق الشركة وحدث ذلك فعلا سنة 1801 في معاهدة صلح نص بندها الثالث عشر ان القنصل العام الفرنسي دوبراتانفيل يتعهد باسم الحكومة الفرنسية بدفع المبالغ التي يطالب بها الجزائريون، لكن الفرنسيون استمروا في مماطلتهم، وهذا التماطل كان ضربة قاسية للامتيازات الفرنسية، ولكي تتخلص فرنسا من هذا الوضع المخرج عينت لجانا تعمل على ايجاد النظام الذي يجب اتباعه في استغلال المؤسسات الافريقية بدون مشاكل فانتهت الدراسة الى ضرورة تسليمها الى التجار الخواص حيث تمكن السيد باري من الفوز بهذه الصفقة وانشاء وكالة تجارية جديدة ولم يتردد باي الغرب الجزائري ان قام بدراسة مع مالك هذه الوكالة لتحديد السعر المفضل للقطن والجلود والذي بإمكانه ان يرتفع سنويا الى 300000 فرنك.

اما عن نشاط شركة باري من حيث التصدير فيتمثل في الحبوب والصوف والجلود والشحوم بينما الواردات عبارة عن مواد غذائية ومواد الزينة وقطع غيار السفن وبعض انواع الأقمشة⁽⁴⁾.

ج/ التجارة مع إنجلترا: في اطار لعبة التوازن العادية داخل الايالة، فان علاقات إنجلترا بها كانت سلمية في غالب الاحيان ولم تعرف القطيعة مثل ماكان الحال بالنسبة لاسبان والفرنسيون⁽⁵⁾، وهذا ما اشارت اليه مجلة "كارتلي QUARTERLY" سنة 1816: "لقد استحققتنا من ايالات شمال افريقيا بانها لم تغلق ابواب موانئها يوما في

(1) PAUL, MASSON , « a la veille d'une », op.cit, p :60.

(2) ANDRIAN, BERBRUGGER, op.cit, p :252.

(3) EUGENE, PLANTET, op.cit, p 99.

(4) محمد العربي، الزبيري، المرجع السابق، صص 246-247-248.

(5) BERNARD, CAPORAL, op.cit, p :401.

وجه سفننا، وحتى عندما وجه نابوليون بونابرت حملته العسكرية ضد مصر، وسنعمل كل ما في وسعنا لحسمها، لانهم يتكلمون عن تمسكهم بعلاقاتهم مع إنجلترا....⁽¹⁾.

وعندما فتح الباي محمد الكبير وهران، موته المملكة المتحدة بالاسلحة، وتحصلت شركة "لانج" على امتياز شحن الحبوب من موانئ الغرب الجزائري مقابل تزويد البايك بالمدافع والذخيرة⁽²⁾، ومن جهته الباي محمد الكبير لم يتردد بين سنوات 1792-1793 في تمويل وبشكل واسع التجار الانجليز لجبل طارق وقادس الذين كانوا ياتون بكثرة لميناء ارزيو لشحن الحبوب.

لقد اشار " شاو " ان التجار الانجليز في بداية القرن 18 كانوا يقومون بتصدير 07 الى 08 الاف طن من الحديد الى الغرب الجزائري، وكان للفتح فائدة كبيرة لانجلترا لاستيراد احتياجاتها وصيد المرجان في السواحل الغربية⁽³⁾، فميناء ارزيو كان يرسل سنويا من 200 الى 250 باخرة محملة بالحبوب وغيرها⁽⁴⁾.

وبمجرد انشغال فرنسا في حربها ضد الدولة العثمانية بين 1800-1801 بسبب حملة نابوليون على مصر، سلم باي الغرب عثمان بن محمد لتجار جبل طارق الحبوب والمواشي باسعار جيدة عن تلك التي كان تقترحها شركة بكري، كما اذن لموانئ وهران وارزيو وهنين بتموين جبل طارق ومالطة بشحنات من القمح والشعير والفول وعدد كبير من الثيران⁽⁵⁾.

وبالرغم من الامتيازات التي تحصل عليها الانجليز في الغرب الجزائري الا انها عرفت الانكماش والتقلص بسبب قصف الاميرال نيال لمدينة الجزائر وحصار مينائها سنة 1824 حيث بعث نائب القنصل الانجليزي في الجزائر برسالة الى حكومته المركزية يشير فيها الى ان منتوجات مختلفة كالقمح والشعير والصوف والابقار التي كانت تصدر من وهران في اتجاه جبل طارق نقص إنتاجها ولا يمكن تقدير كميتها أما الرسوم فتدفع نقدا⁽⁶⁾.

هذا عن الدول الأساسية التي كانت تتاجر مباشرة مع بايلك الغرب الجزائري، وكان له تجارة مع اماكن اخرى لكنها تتم باسم الجزائر مثل التجارة مع مدينة ليفورنة ومصرفي هذه العملية التجارية شكل بايلك الغرب حلقة هامة للربط بين القوافل المغربية التي تنضم إلى قوافل الايالات الأخرى وتحت مراقبة الحكام فكانت الجزائر تستورد

(1) BERNARD, CAPORAL, op.cit, ,p :403.

(2) LOUIS,CARA DEL AGUILA , op.cit,p :162.

(3) THOMAS,SHAW,op.cit,p :136.

(4) SIR GODFREY,FISHER,legende berbaresque.guerre,commerce et pirateie en afrique du nord de 1415-1830

Traduit et annoncé :farida hellal,O.P.U ,alger,1991,p :395.

(5) اندري برنيان، اندري نوشي، ايف لاکوست، المرجع السابق، ص 195.

(6) ELIE DE, PRIMAUDAIE, le commerce et la navigation de l'algerie avant la conquete francaise, ch.lahure et cie paris, 1861,p240 .

البن، الكتان، القطن، الحرير، العقاقير، الرخام والمصنوعات الفاخرة كالسجاد، وتصدر بعض الأشياء كشمع العسل والزيت وندارا الحبوب.

رابعا: العملات والأسعار:

1/ العملات: تعتبر العملة حجر الزاوية لكل تعامل مالي على المستوى المحلي والخارجي، فهي تعطي صورة صادقة للرقى الاقتصادي للبلاد، غير أن النقود التي كانت تستعمل بالايالة الجزائرية خلال القرن 18 ليست كلها محلية الصنع فهي على صنفين عملة محلية وعملة مستوردة ذات أصل أجنبي⁽¹⁾.

ولتجنب اي تسرب للعملة او تزوير اختير بعض الصناع الماهرين من اليهود للعمل بدار السكة تحت إشراف أمين السكة وحددت لهم مرتبات، فقد كانوا ينالون 400 صائمة عن كل قنطار من العملة وعن صب رطل من قطع السلطاني 05 ريالات وعن صب ربع طل من السلطاني 03 ريالات⁽²⁾، اما 24 يهوديا العامل بدار السكة ينالون 02 ريال في اليوم من طرف القصر.

ونستنتج من خلال دفتر التشريعات ان السلم الاداري في صرف الاجور يخضع للرتبة الادارية لكل موظف، فقد جاء في هذه الوثيقة التي يعود تاريخها الى 1758 ان الداى علي باشا اعطى اوامر لامين السكة ووكيل الحرج والعمال وصاحب الطابع بضرب ارباع بوجو واثمان البوجو بالفضة وقد حددت المرتبات على هذا الشكل: عن كل كيس يزن 10 ارطال ياخذ الامين 10 ريالات، وكيل الحرج 01 ريال، العمال اليهود 20 ريالا، وعن كل قنطار ياخذ صاحب الطابع 21 ريالا ولراقم الطابع 77 ريالا، والامين 100 ريالا، العمال اليهود 200 ريال ووكيل الحرج 10 ريالات⁽³⁾.

أما عملية غسل النقود بالنار لتنظيفها فان أجور العمال اليهود تحدد بـ 05 ريالات لكل 1000 ريال إذا كانت العملية لصالح الباى أو القياد، وإذا كانت لصالح القصر حددت بـ 03 ريالات لكل 1000 ريال⁽⁴⁾.

لقد كانت الجزائر سوقا حرة للتعامل النقدي الذي افرز ربط علاقات تجارية مع عدة دول أوروبية مما جعل الأجانب والمسلمين يقبلون على ادخار العملات الجزائرية لقيمتها في حركية التجارة والصرف رغم منافسة النقد

(1) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي.....، المرجع السابق، ص 189.

ALBERT, DEVOULX, tachrifat....., op.cit, p :80.

Ibid, p :81.

Ibid, p :81.

السلطاني والاسباني لها منذ القرن السابع عشر⁽¹⁾، وعرفت الأحوال النقدية والصراف منذ بداية القرن الثامن عشر تسجيل السيطرة الكاملة للريال الذي أضحى قيمته تساوي 05 دوبات أي مايعادل 232 اسبر⁽²⁾. وعلى هذا الأساس؛ فان حركية العملات المصرفية في الجزائر لم تكن مستقرة وكانت تتماشى مع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات التجارية الخارجية فبقدر ما عرفت استقرارا بين سنوات 1685-1816 حيث كان النقد الأكثر استعمالا ما بين 1535 إلى 1617 هو الدوبلة الجزائرية^(*) كنقد حسابي في المعاملات والذي كان يساوي 50 اسبر؛ إلى جانب استعمال السلطاني القديم الذي كان يساوي 150 اسبر⁽³⁾، لكن بحلول سنة 1723 الى 1775 عرفت السوق النقدية الجزائرية عملة البدقة شيك وكذلك زوج بوجو او ما عرف ببياستر الجزائر في عدة معاملات تجارية؛ وحتى الشركة الملكية الافريقية دفعت مستحقات عمالها بنقد ريال بوجو سنة 1738⁽⁴⁾. اما من حيث طريقة الاستعمال واجراء العمليات الحسابية الضرورية لكل تعامل مالي نجد البدقة شيك تكون الوحدة الحسابية لكل العملات النقدية الجزائرية التي كانت لاتتعدى المجال النظري وهذا ما حد من صلاحيتها حتى غدت بعض المواد الاولية الاكثر استعمالا اصلح لان تكون وحدة اساسية لقياس العملة كمادة الزيت⁽⁵⁾، ضف الى ذلك انما لم تعتمد على تشريع او قانون حكومي يكسبها امتيازات خاصة في المعاملات المالية، وهذا مادفع بالتجار الاجانب الى عدم اخذ الاعتبار لواقع النقود الجزائرية بل كانوا يحددون اسعار عملائهم وكذلك العملات الجزائرية حسب قيمة نقودهم الخاصة.

اما الوضع الذي كان له تاثير مباشر على العملة الجزائرية يكمن في ضيق استعمالها واقتصرها على الحواضر الكبرى⁽⁶⁾، وهذا ما ترتب عنه خلق طبقة ارسقراطية ثرية في المدن وانتشار الفقر في الارياف؛ كما عرفت العملة الجزائرية منافسة النقود المزيفة خاصة في اواخر العهد العثماني وللحد من هذه الظاهرة كان ينزل عقوبة الاعدام او الحرق بالنار على المزورين⁽⁷⁾ حتى يكونوا عبرة للاخرين.

(1) حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين واوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659-1830، مذكرة ماجستير في التاريخ حيث غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2007-2008، ص 39.

(2) نفسه، ص ص30-31.

(*) تسمى بالدينار الخمسيني وقد عادلته قيمتها سنة 1634 حوالي 0.5 ليرة بريطانية وللنفاصيل اكثر انظر:

L, merouche, op .cit, p.31.

Ibid, pp.30-31.

Ibid, pp.39-41.

(5) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص ص205-206.

(6) نفسه، ص 215.

L, de tassy, op.cit, p.150.

لقد كان استعمال النقود النحاسية والذهبية ضئيلا جدا مقارنة مع النقود الفضية والسبب في ذلك سهولة استعمالها في قضاء الحاجات اليومية، بينما النحاسية والذهبية لم تلق الراج لصعوبة التعامل بها نظرا لارتفاع قيمتها ولأنها تثير اهتمام الحكام فيتعرض أصحابها للمصادرة والتغريم فضلا عن أن كثيرا من السكان كانوا يجهلون قيمة الذهب الحقيقية⁽¹⁾. وفيما يلي قيمة النقود الذهبية المتداولة:

L.merouche	Tachrifat L.merouche	P.ernest picard	L.merouche		
ما يعادل من بياستر	ما يعادل من ريال بوجو ⁽⁴⁾	ما يعادل من بدقة شيك ⁽³⁾	ما يعادل من موزونة ⁽²⁾	وزنها من الذهب	النقود الذهبية
02	4.5 ⁽⁵⁾	13.5	108	3 إلى 3.5 غ	سلطاني قديم
02	2.25	6.5 ثم 8 إلى 9 ⁽⁶⁾	108	3 إلى 3.5 غ	سلطاني جديد
01	1.125	6.75	54	1.5 إلى 1.75 غ	نصف سلطاني
0.5	0.568	3.375	27	0.75 إلى 0.87 غ	ربع سلطاني

جدول يمثل قيمة النقود الذهبية المتداولة في الجزائر العثمانية وما يعادلها بالنقود الفضية

إلى جانب هذه العملات فقد اتسع استعمال العملات الأجنبية ببايلك الغرب الجزائري خاصة الاسبانية والمغربية، أما عن العملة الاسبانية فقد ساعدها على غزو أسواق الغرب الجزائري وتدعيم قيمتها النقدية؛ العلاقة التي كانت تربط الجزائر باسبانيا منذ استيلاء الأسبان على اغلب موانئ البايك ومكوئهم مدة طويلة بوهران والمرسى الكبير، أما النقود المغربية فلاقت رواجاً في نواحي تلمسان وندرومة بفضل تجار فاس⁽⁷⁾.

(1) Emanuel, Aranda, relation de la captivite et liberte de sieur emanuel d'aranda gadis esclave a alger, j. (1)

Mommart, bruxelle, 1662, p. 394.

L, merouche, op .cit, p.44. (2)

P, ernest picard, op, cit, p.42. (3)

Albert, devoulx, tachrifat, op.cit, p.81 (4)

L, merouche, op, cit, pp.35-39 (5)

Ibid, p.44 (6)

(7) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص 196-200.

2/ الاسعار: رغم مامرت به الايالة الجزائرية من محن طبيعية واوبئة وتهديدات عسكرية بحرية اوروبية اثرت في التجارة الداخلية والخارجية، الا ان تحديات المنتجين الفلاحيين والصناع كانت لها انعكاسات في توفير السلع وتبادلها والحفاظ على ثبات اسعارها في اسواق المدن والارياف، وتحقيق التوازن في الاستهلاك الغذائي وتوفير الحاجيات الضرورية من الألبسة والوسائل الحربية وتحقيق نسبة من الادخار والثروة؛ أما الأسعار فكانت متقلبة حسب الفصول والمواسم والوفرة والندرة وقد حفظت لنا بعض المصادر اثمان بعض المواد في بعض السنوات وتبدو في مجملها واغلبها زهيدة إذا ما قورنت بأسعار اليوم، وفيما يلي أسعار بعض المواد الأكثر تداولاً:

2-1 اسعار الخبز:

كانت أسواق بايلك الغرب الجزائري تعرض انواعا مختلفة من الخبز حسب أوزانه ونوعيته وهذا ما أكده فانتور دو بارادي أن خبز الذخيرة العادي المصنوع من الدقيق اللين والصلب يبيع لسكان الارياف بـ 01 صولدي ، أما خبز البشماط الذي يشبه البسكويت فقد يبيع باكثر من 01 اسبر⁽¹⁾، ويضاف الى هذين النوعين خبز نصف المطهي الذي يسمى بوزاي(Buzai) وهو يشبه الخبز المشرقي؛ وكان الأكثر استهلاكاً من قبل الجيش العثماني وقد يبيع بـ 10 اسبر، ضف إلى ذلك خبز الردوم الذي يزن 240 غرام وسعره 03 اسبر⁽²⁾.

لقد عرفت أسعار الخبز عدة تغيرات من سنة 1667 الى 1809 حيث وصل سعر خبزة من 1.25 إلى 1.59 اسبر وقنطار من خبز البشماط من 1.48 الى 1.72 بياستر وذلك بين سنوات 1667- 1683، وارتفع سعر خبز الردم من 03 الى 08 اسبر من سنة 1780 الى سنة 1787 إلى أن أصبحت 50 خبزة تباع من 15 إلى 18 اسبر سنة 1809⁽³⁾.

2-2 اسعار اللحوم:

لقد أورد الرحالة بايصونال بان أسعار اللحوم كانت في متناول كل فرد في الايالة الجزائرية نظرا لوفرتها وانخفاض اسعارها ولان عرضها كان اكثر من طلبها⁽⁴⁾ورغم ذلك فالانكشاريون كانت لهم امتيازات في اقتنائها بتخفيض قيمتها بثلث اسعارها العامة⁽⁵⁾،فما بين 1667 الى 1675 قدر سعر قنطار من لحم البقر ما بين 2.18 بياستر و 2.35 بياستر وقد عادل بذلك سعر ربع شاة المقدر بـ 2.55 بياستر، وهذا استنادا لما أورده فانتور دو بارادي

(1) Venture de,Paradis,« alger au 18eme siecle», in R.A, n°,1895, p290.

(2) L,merouche,op,cit, p :143.

(3) Ibid,pp :145-146.

(4) Jean- andre, Peyssonnel,voyage dans les regences de tunis et d'alger(Presentation et notes de lucette Valensi), editions la decouverte, paris, 1987,p :236.

(5) Ibid,p :236.

سنة 1788 الذي أكد ان لحوم البقر كانت تاكل فقط من طرف فقراء المدن والاوربيون⁽¹⁾ ، وقد صرح روزيه عند قدومه الى وهران سنة 1830 بان سعر البقرة الواحدة الصغيرة التي تزن 200 رطلا تساوي من 03 الى 04 صوردي وان ثمن الخروف الواحد ثلاثة ارباع بوجو او 04 فرنكات⁽²⁾.

وبحلول سنة 1803 ارتفعت اسعار اللحوم نتيجة الظروف الطبيعية الصعبة خاصة الجفاف فبعدها كان لحم البقر بـ 2.55 بياستر للقنطار ارتفع الى 08 بياستر وبالتالي فان اسعار اللحوم تراوحت بين الوفرة وانخفاض اسعارها في نهاية القرن 17 وطيلة القرن 18 وارتفاعها مع بداية القرن 19 وهذا ما يمكن ان نستنتجه كذلك من اسعار البيض والدواجن حيث قدر سعر الدجاجة سنة 1700 ما بين 0.11 الى 0.18 بياستر، والحمام بـ 0.075 بياستر والبط بـ 0.24 الى 0.29 بدقة شيك وسعر الطاووس بـ 03.02 بدقة شيك، والديك الرومي بـ 3.58 بدقة شيك الا ان هذه الاسعار المقدمة من طرف المصادر الاوروبية تبدو منخفضة جدا مقارنة مع ما قدمته المصادر العثمانية وهذا ما يؤكد شوا⁽³⁾ ، وبحلول سنة 1808 ارتفعت اسعار الطيور والدواجن حيث قدر سعر حمامتين بـ 10 صولدي وسعر دجاجة واحدة بـ 1.40 صولدي وسعر بيضة واحدة بـ 1.5 صولدي⁽⁴⁾.

2-3 اسعار الالبسة:

لم تكن أسعار الألبسة متوهجة في الأسواق بنفس الكيفية التي كانت عليها اسعار المنتوجات الفلاحية خاصة الحبوب، وقد خضعت للعرض والطلب وحسب نوعية النسيج وهذه كلها مؤشرات تبين أهميتها الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر العثمانية⁽⁵⁾ ولتوضيح ذلك اخترنا بعض الأمثلة التي تشرح هذه الوضعية والمتمثلة فيما يلي:

ا/اسعار الاقمشة والاعطية:

كان سعر الغطاء في سنة 1691 يقدر بـ 3.10 بياستر ثم ارتفع سعره سنة 1790 إلى 3.80 بياستر ليعود إلى الانخفاض مع نهاية القرن 18 الى 02 بياستر، أما سعر الذراع من القفطان فقيمته سنة 1695 قدرت بـ 1.38 بياستر وكان سعر القفطان الجاهز سنة 1649 يقدر بـ 300 دويلة وارتفع سعر الذراع الواحد سنة 1803 الى 03 بياستر؛ في حين ان المصنوعات الحريرية تباع بأثمان غالية حيث قدرت سنة 1693 بـ 2.40 بياستر للذراع الواحد وارتفع بعد ذلك الى 3.20 بياستر⁽⁶⁾.

Venture de,Paradis, tunis et alger.....,op.cit,pp :130-131. (1)

Rozet(M),op,cit,p :273. (2)

Thomas,Shaw ,op.cit,p :296. (3)

L,merouche,op,cit, pp :147-148. (4)

Ibid,p :156. (5)

Ibid,pp :158-159. (6)

ب/ سعر الجبة وسعر القميص والاحزمة:

من الترضيات التي قدمت لعلي باشا سنة 1787 ؛ 20 جبة(قندورة) حمراء بسعر 40 بوجو و20 قندورة زرقاء بسعر40 بوجو⁽¹⁾، أما القميص سنة 1691 فقد قدر سعره 04 دوبات، في حين سعر الحزمة اختلفت حسب نوعيتها فالأحزمة الجيدة من القماش العادي قدر سعرها بـ02 بدقة شيك للحزام الواحد، أما الحزام الأحمر فسعره 02.5 بدقة شيك في حين أن الحزام المطرز بالذهب والفضة فيفوق 03 بدقة شيك⁽²⁾.

ج/ سعر الاحذية:

ان للاحذية انواع؛ فالخذاء العادي المصنوع بالجلد الاصفر او الاسود المطرز حسب التقاليد حدد سعره بـ 12 موزونة⁽³⁾وهناك نوع اخر من الاحذية يعرف بخذاء طماك(temak) الخاص بالموظفين يزيد عن النوع الأول بنصف السعر⁽⁴⁾.

د/ سعر الاسلحة:

عرفت الجزائر استيراد الأسلحة الجيدة من فرنسا وإنجلترا خلال القرن الثامن عشر ، في حين أن صناعة البارود كانت محلية؛ وكان سعر البندقية يقدر بـ 03 بياستر اما سعر المسدسات فقد أورد الزياني خلال زيارته لقسنطينة والتفائه بالباي في قصره، ان الباي امر مملوكه باستقدام زوج من الكوايبس ثم سال الزياني كم تساوي هذه عندهم؟ ثم أمر مملوكه مرة أخرى بان يناوله قطعة من الكوايبس الاخرى والسيف، وتابع حديثه بتحديد قيمة تلك الأسلحة فالكوايبس الأولى بـ1000 ريال والثانية بـ1500 إلى 2000 ريال والسيف وكذا⁽⁵⁾.

إضافة إلى هذا كان يباع في الأسواق العبيد السود ما بين 40 و50 سلطانيا للعبد الواحد ويصل سعر العبد الذي يشتغل في المطبخ إلى 100 سلطانيا⁽⁶⁾.

خامسا: الضرائب والرسوم:

لقد شكلت مداخيل الضرائب خلال القرن الثامن عشر المورد الرئيسي لبايلك الغرب خاصة بعد تراجع مداخيل البحر؛ وتختلف في نوعيتها وقيمتها لذلك عالجتها بعض المصادر باعتبارها رسوما او ضرائب مباشرة وغير مباشرة أو ماعالجها البعض الآخر بوصفها ضرائب شرعية وغير شرعية أو ما حصرها البعض الآخر في ضرائب قارة ثابتة

Tachrifat,op.cit,pp:38-39.

Venture de,Paradis ,tunis et alger au.....,op.cit,pp :121-122.

Ibid,p :122.

Tachrifat,op.cit,p :38.

(1)

(2)

(3)

(4)

(5) محمد بن يوسف، الزياني، المصدر السابق، ص 245-246.

(6) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 35.

وضرائب غير ثابتة⁽¹⁾، ولكن مادام الهدف هو إعطاء فكرة عن مصادر دخل البايك وتأثيرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكانه الذين انقسموا في دفعها الى صنفين:

أولا : ضرائب يدفعها الاهالي الخاضعون للأسبان:

لقد قسم سكان بايلك الغرب قبل إلى قسمين: القسم الصغير تابع للأسبان والقسم الأكبر تابع للعثمانيين، وقد اجبر القسم التابع للأسبان على دفع الضرائب طيلة وجود الأسبان بالمنطقة وكان لليهود دورا كبيرا في هذه العملية وهذا ما يؤكد المشرفي قائلا: «... كان لليهود صولة عظيمة على بني عامر لكون الجباية كانت على اليهود دون الاسبانيين، فكان اليهودي يخرج بمحلته لقبض الضريبة فيضرب خبائه بوسط دواوير بني عامر من أولاد عبد الله وغيرهم ثم يتصرف فيهم تصرف الملك في رعيته بما شاء أمرا ونهيا فيصنف هذا في الأغلال ويضع على رجلي هذا الأكبال ويجلد هذا ويخلى سبيل هذا الى غير ذلك دون متعرض له.....»⁽²⁾.

وبمرور الزمن تطورت الاوضاع فاصبح الاسبان وحدهم يتولون جباية الضرائب وذلك بسبب منافسة اليهود لهم، ومن اهم ما كان يجتبيه الاسبان من ضرائب من الاهالي الخاضعون لهم مايلي:

1/ الرومية: كان السكان يدفعون كل سنة ضريبة الزامية للاسبان تسمى الرومية، وهي عبارة عن كميات من القمح قدرت باثنين من الدوبلات عن كل خيمة، ولم تكن محددة وانما تخضع لكمية المحاصيل وعدد الخيام او القبيلة وبالمقابل تنال هذه الاخيرة الامان لمدة سنة، وعادة ماكان يتفق في طريقة دفعها بين الاسبان وشيوخ القبائل بواسطة اتفاقيات⁽³⁾.

ان تحديد مقدار الرومية يتم في شهر جوان من كل سنة عندما يجمع حاكم وهران وضواحيها في مجلس يضم كل شيوخ القبائل والعشائر والزفن^(*)، وفي هذا المجلس يقدم الحاكم العام لوهران للحاضرين طعاما مؤلفا من السمك والفواكه المجففة ثم يبدأ بالحديث عن مقدار الرومية لتلك السنة من القمح والشعير وكمكافأة لشيوخ القبائل عن الخدمات التي يقدمونها للأسبان يقدم لهم كميات من تبغ البرازيل الذي يفضلونه كثيرا على أن تجدد هذه الإجراءات في السنوات القادمة⁽⁴⁾.

(1) ناصر البين، سعيدونين النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص 85.

(2) Marcel, Bodin «notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'oran par si Abdelkader el mecherfi», in R.A, n° LXV, 1924, pp :216-217.

(3) Cazenave(j), «les gouverneurs d'oran pendant l'occupation espagnole de cette ville 1509-1792», in R.A , n°71, 1930 , p :271

(*) زفينة تشير الى مجموعة من القبائل ذات دواوير كبيرة وقد اشتهرت منها ثلاثة في بايلك الغرب وهي: حميان- شافع- هيرة

(4) Fey(H.L), op.cit,p :226.

لقد كان شيوخ القبائل يحرصون على جمع الضرائب من سكان الدواوير ويتقاضون مقابل ذلك مبالغ مالية تتراوح ما بين 60 الى 100 بياستر من طرف الاسبان نظير خدماتهم، ضف إلى ذلك كان بإمكان شيخ القبيلة ان يقدم أبنائه وذويه كرهائن للاسبان في حالة عدم تمكنه من جميع الضريبة من دواويره على ان يعيش هولاء الابناء في مدينة وهران على حساب الخزينة الاسبانية، وعندما يتم تخليص الضريبة يعود الأبناء إلى دوارهم الأصلي ويتسلم شيخ القبيلة وصل الدفع⁽¹⁾.

الا ان الاستثناء في هذا النوع من الضريبة المقدمة للاسبان هم زفينة شافع وحميان حيث يجتمع شيوخهما في فترة الحرث والبذر ويحصون المساحة المزروعة لكل شخص من هذه القبائل على ان يقدر على كل خيمة دوبلة من القمح عن كل حقل مزروع و30 مدا من الشعير، ولم يكن مسموحا بارجاء الدفع؛ وان الذين يتأخرون في الدفع يعتبرون اعداء لاسبانيا وتصدر في حقهم اوامر ملكية تعلق على ابوابهم، او تباع رهائهم في الاسواق واموالهم تودع في الخزينة الاسبانية⁽²⁾.

ب/الغرامة: ان القبائل الموالية للاسبان وهم بني عامر، أولاد عبد الله، أولاد موسى وقد أطلق عليهم تسمية "المغاطيس"، حيث ذكر في شانهم المشرفي: «..... كان شانهم مع الاسبان جلب الأخبار لهم...ويحكى أنهم غطسوا إمامهم الذي يصلي بهم بان باعوه للأسبان غفلة منه...»⁽³⁾، وكانوا يبيعون القمح والشعير في وهران بالثمن الجاري لتزويد السكان والجيش، وفرض الاسبان عليهم رسما يدعى "الثمن" ويسميه الأهالي الغرامة كما كانوا يبيعون المواشي ويطلب منهم دفع البعض منها كضريبة⁽⁴⁾.

ج/المغانم: ان الدواوير غير الخاضعة للسلطة الاسبانية في بايلك الغرب الجزائري كانت تشن عليها حملات عسكرية اسبانية تعود منها بغنائم تتمثل في قطعان الماشية والاسرى الذين كانوا يباعون جهرا في مدينة وهران "التجارة الادمية" على ان يستفيد من مداخيلهم الموظفون والجنود الاسبان وكذلك الخزينة الاسبانية، غير ان هذه الحملات الاسبانية غالبا ماكانت تصطدم بالمحلات العثمانية في فترة جباية الضرائب⁽⁵⁾.

(1) كانت بعض القبائل العميلة تطلب من الاسبان مبالغ مالية كبيرة مقابل تحالفها وهذا ما يوكد المزارى حيث ذكر أن أولاد عبد الله سمبوا: «عرب دمليون لأنهم كانوا يطلبون من الاسبان العدد الكثير، فيقول احدهم للأسبان أعطونا دمليون بمعنى اعطونا عشرة ملايين (كذا). انظر: بن عودة، المزارى، المصدر السابق، ص ص 218-219.

(2) للمزيد انظر: كاميلية، دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية(1792-1509)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013-2014.

(3) Marcel, Bodin «notice historique sur», op. cit, p215.

(4) Joseph, Vallejo, «contribution du vieil oran» traduit par le commandant Pellecat, in B.S.G.A.O, 1926, p231.

(5) Ibid, p :233.

ثانيا: **الضرائب العثمانية:** لقد كانت موارد الجباية في بايلك الغرب كغيرها في بقية البايلكات تتكون من ضرائب ورسوم، فالبعض منها شرعية ثابتة والاخرى مستحدثة وهناك الظرفية، لكن مهما اختلف النوع فالتأثير واحد على مختلف مجالات الحياة في بايلك الغرب، غير ان الشيء الثابت هو ان هذه الضرائب لم يكن يخضع لها كل السكان في مكان واحد؛ وكانت متفاوتة بين سكان المدن والارياف وحتى بين القبائل وهذا مايوكده ناصر الدين سعيدوني قائلا: «..... إن ثقل الضرائب كان يتوقف على مساهمة سكان الأرياف... أما سكان المدن لا يدفعون الا مبالغ زهيدة مقارنة مع المساهمات المفروضة على شيوخ القبائل والقياد من طرف رجال المخزن وجنود المحلة عند مرورهم أو اتصاهم بسكان الأرياف...»⁽¹⁾.

ان اهم ظاهرة تشد الانتباه لنظام الضرائب العثمانية تتمثل في سعي الحكام الى استمالة المرابطين لاستخدام نفوذهم الروحي في الاوساط الشعبية لاستخلاص الضرائب التي تميزت بالواقعية وذلك في اختصاص كل منطقة بضريبة تتلاءم وطبيعة تضاريسها واحوالها المناخية، فالصحراء تؤخذ منها المعونة والعسة والهضاب العليا تفرض عليها الغرامة والمعونة والتل تسود فيه ضريبة العشور⁽²⁾، وانطلاقا من هذا يمكن تقسيم الضرائب العثمانية الى الاصناف الاتية:

1-2 : الضرائب الشرعية المعتادة الثابتة: تسند مهمة جمعها وتخزينها الى شخص يسمى "قايد العشور" حيث يقوم بجرد تقارير المعاينة طبقا لاستنتاجات شيوخ القبائل والعرب في الاوطان حول نسبة الانتاج كما يكلف شيخ العرب بجبايتها من الجهات الصحراوية بقيم نقدية او عينية وذلك بنسب تقريبية لقيمة قطعان الماشية؛ على سبيل المثال لا الحصر ابل واحد عن كل 30 ابل، بيضة واحدة عن كل 40 بيضة، خروف او ماعز واحد عن كل 100⁽³⁾. وكان الجباة في بعض الأحيان يتحايلون في تسجيل المحاصيل والنقود وهمهم الوحيد جمع الثروة حيث يقتطعون اسهما منها يستغلونها في تحقيق الترقية في بعض المناصب، وفي هذا الصدد يذكر حمدان خوجة: «..... وعندما علم الاتراك ان جباة الضرائب يقومون بتجاوزات، أي أن الدولة لم تكن تقبض بالضبط جميع

(1) Nacereddine, Saidouni, la vie rurale dans l'algérois de 1791 a 1830, thèse pour le doctorat d'état -lettres et Sciences humaines, université d'Aix Marseille, 1988, p : 254.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص ص 118-119.

(3) Andre, Nouschi, enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919 essai d'histoire économique et sociale, P.U.F, paris, 1961, p : 18.

المبالغ التي تعود إليها وان الجباة كانوا يجمعون أكثر من اللازم، عندئذ اوجدوا وسيلة تمنع تلك التجاوزات التي كانت تثبط الفلاحين وتعيقهم.....»⁽¹⁾، ومن بين الضرائب الشرعية مايلي:

1- الضرائب على أراضي الملك: انتشرت بكثرة في بايلك الغرب حيث كان يستغلها سكان المدن وموظفي البايك خاصة في احواز تلمسان ومعسكر ومستغانم ومامازونة ووهران وسميت عادة بأراضي الخواص والتي تنتقل إلى الأشخاص عن طريق البيع او الإرث، كما كان للمرابطين مساحات شاسعة من هذا النوع من الأراضي؛ وهذا ما نجده مثلا في جنوب سهل غليزان حيث كان ثلاثة مرابطين يستغلون لوحدهم 63 ألف هكتار على الضفة اليسرى لوادي مينه موزعة على النحو الآتي: 50 الف هكتار لأحفاد سيدي بو عمران مرابط قبيلة هواة التي انشأت قلعة بني راشد والمدفون بجبال بني شقران، و 08 آلاف هكتار لأحفاد سيدي محمد بن قادر، و 05 آلاف هكتار إلى ورثة سيدي احمد بن يوسف وقد كانت هذه الملكية مسجلة سنة 1713 وسمح كذلك للحساسنة باستغلال جزء من هذه الأراضي المحبسة⁽²⁾، وكان يجتبي من أراضي الملك الضرائب الآتية:

1/ العشور: تعتبر من الضرائب الشرعية المباشرة التي تمس أراضي الملكية الخاصة الخاضعة لمراقبة البايك الفعلية، والعشور نظريا هي اقتطاع لعشر المحاصيل الزراعية الا ان فعليا العثمانيون خالفوا ذلك واستغنوا عن هذه القاعدة واعتمدوا في تقدير العشور على مبدأ "الزويجة" او الجابدة في بعض الجهات والتي هي عبارة عن مساحة ارض زراعية يمكن ان يقوم بحراثتها ثوران وهي عادة من 08 الى 10 هكتارات⁽³⁾، وعرفت ببايلك الغرب بـ"السكة" وقد تعدد العثمانيون الى اعتماد هذا النظام لسببين: اولهما ضبط جميع مداخل الدولة والقضاء على مختلف التجاوزات اما السبب الثاني يتمثل في تجنب الافراط في جمع العشور من طرف الجباة⁽⁴⁾.

لقد روعيت طبيعة الارض وعطائها في نظام السكة ببايلك الغرب فقدرت بين 12 و 14 هكتارا في السهول الخصبة وبين 08 و 10 هكتارات في المناطق الوعرة ويمكن لثورين حرثها في موسم واحد، اما المناطق الوعرة فتستبدل فيها الثيران بالحمير وهنا تصبح السكة معادلة نصف الاولى، وقد فرض على كل محراث يجره ثوران حمولة بعير من القمح واخرى من الشعير⁽⁵⁾.

(1) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 106.

(2) Robert, Tinthoin, «la plaine de relizane avant l'irrigation», in B.S.G.A.O, n°73, 1950, p: 100.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص 88.

(4) المصدر السابق، ص 106.

(5) نفسه، ص 106.

كانت أكثر أراضي بايلك الغرب اراض عشيرة والقليل منها التي يمتلكها غير المسلمين تسمى أراضي خراجية حيث لن يطلب العثمانيون منهم أكثر من المبلغ المتفق عليه حتى ولو انتقلت هذه الارض من مالك الى اخر على شرط ان تحترم الالتزامات المنصوص عليها في بداية الامر والمتمثلة في دفع نصف المحصول، وعندما يعتنق مالكو الاراضي الخراجية الاسلام طواعية عندئذ تسمى الحكور⁽¹⁾.

كانت كميات العشور التي يتم تجميعها في بايلك الغرب تسلم الى قايد العشور بالمرسى الكبير وارزبو وتخزن في مخازن البايك مع تسليم مقابل ذلك وصلا، فالجزء الاكبر منها يصدر الى الخارج؛ اما الجزء الاخر فيقوم قائد المرسى ببيعه إلى الباي بـ10 الاف سلطاني من الذهب في كل سنة، ويرسل الى داي الجزائر شهريا 05 الاف سلطاني اضافة الى الدنوش التي يحملها سياري الباي⁽²⁾ والتي كان مقدارها 10 الف صاع قمحا ومثلها شعيرا اضافة الى الفي صاع قمحا ومثلها شعيرا توزع على ارباب الدولة وخدامهم وستة الاف راس من الغنم على أن تكون هذه العملية مرتين في السنة في شهري ابريل وسبتمبر⁽³⁾.

ب/ الزكاة: اعتبرت الزكاة كحق ودين للبايلك على الأفراد وهي بمثابة اقتطاع إلزامي سنوي من اموال الاغنياء لخدمة الفقراء حتى لا تبقى الثروة في يد فئة قليلة من الناس وهذا بدليل قوله تعالى: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾⁽⁴⁾، وكانت تؤدي على الابل والبقر والخرفان والماعز اما الخيول والحمير فكانت خارجة عن هذه الضريبة، كما كانت تؤدي على الصوف فكل مائة جزة تقابلها ثلاث جزات، وكذلك الزبدة والعسل والشمع.

ان جباية الزكاة كانت من طرف القياد في الاوطان ثم شيوخ القبائل في قبائلهم، وعندما تتم عملية التخليص بتسليم المواشي تباع هذه الاخيرة في المزاد العمومي من طرف وكلاء بيت المال الذين يقتطعون 30% من القيم الحصاة والآتية من عملية بيع الصوف والزبدة والعسل والشمع⁽⁵⁾.

إن عملية إحصاء الخرفان والأبقار والجمال الناشئة عن الزكاة كانت ضرورية من طرف البايك حيث كانت تحمل إشارة وطابع البايك في أعناقها ويسمح لها بالرعي في الأراضي المعشوشبة ويسخر لها رعاة لحراستها

(1) احمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 105.

(2)

Walsin, Esterhazy, op. cit, pp :241-242.

(3) احمد الشريف، الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر 1754-1830 (تقديم: احمد توفيق المدني)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 47.

(4) سورة الحشر، الآية 07.

(5)

Bernard, Caporal, op. cit, p :285-286.

يسجلون بالتدقيق عدد المواليد، وحتى في حالة الوفاة كان يطلب منهم إحضار الجلد الحامل لطابع البايك للتحقق من موتها.

لقد استخدمت اموال العشور والزكاة في اغراض كثيرة فذكر حمدان خوجة: «...توضع مقادير تلك الاعشار في صندوق الخزينة لدفع مرتبات الجيش وللاعتناء بالفقراء ولتربية الايتام ودفع اجور القضاة والمعلمين...»⁽¹⁾، وفي المقابل يصبح من الواجب على الحكومة ان تحمي الشعب وان تؤمن الطرقات وتحرسها وان يكون الملك متدينا بدينه على حد تعبير حمدان خوجة⁽²⁾.

2- الضرائب على اراضي البايك: إن اغلب أراضي البايك تعود أصولها إلى عمليات المصادرة من القبائل العاصية، لان شراء الأراضي من طرف العثمانيين او حيازتها بسبب غياب الورثة الشرعيين أمر نادر الحدوث، فأراضي بايلك الغرب كانت عبارة عن قطع متناثرة في وسط أراضي العرش والمساحات الخاصة وتقدر مساحتها بمئات الهكتارات⁽³⁾، وقد كان يستخلص من هذه الأراضي الضرائب على حالتين:

ا/ نظام الخماسة: لقد كانت أراضي البايك تقتطع للفلاحين والقبائل وبصفة خاصة قبائل المخزن وضباط الجيش وكبار الموظفين لمدة غي محددة مقابل مبلغ نقدي يضاف الى الضرائب الشرعية وكان هؤلاء الذين تقتطع لهم الأراضي يعتمدون في زراعتها على الخماسين مقابل 12 صاعا من القمح و12 صاعا من الشعير للجابدة الواحدة⁽⁴⁾، وقد دعم العرف السائد في الريف آنذاك هذا التعامل.

إن أكثر أملاك البايك استغلالا كانت من طرف قبائل المخزن من دواير وزمالة حيث استحوذوا على 78% من مجموع الأراضي الزراعية، ضف إلى ذلك أنها كانت تدفع ضرائب عينية مثل الزبدة والتبن ودفع ضريبة نقدية تسمى "حق الشبير" حيث قدرت بـ 0.50 فرنكا عن كل هكتار من الأراضي المحروثة و0.25 فرنكا عن غير المحروثة⁽⁵⁾.

ب/ كراء الاراضي الزراعية: لم يكن هذا النمط شائعا في بايلك الغرب مقارنة مع بايلك الشرق، الا لدى قبيلة اولاد قصير التي صودرت اراضيها كعقاب ضدها بسبب مهاجمتها خليفة باي الغرب ابراهيم الملياني لما كان

(1) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 105.

(2) نفسه، ص 106.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص 90-91.

(4) «وضعية عشائر المخزن.....»، المرجع السابق، ص 71.

(5) Xavier, Yacono, les bureaux arabe et evolution du genres de vie indigenes dans l'ouest de tell algerien (dahra, Chelif, ouarsenis, sersou), tome 01, edition la rose ,paris, 1953, p :199.

متجها الى الجزائر حاملا ضرائب البايك، فأمر الداى كلا من باي التيطري وباي الغرب بالهجوم على تلك القبيلة من الشرق والغرب ومحاصرتها وطردها من أراضيها التي اصبحت تابعة للبايلك سنة 1774 ، وفي سنة 1776 قام الباى بتعيين بني زوج والفرايلة وأولاد فارس قبائل زمول على اقليم أولاد قصير، لكن هذه الأخيرة تاقت إلى أراضيها فاضطر باي الغرب إلى إعادتها لهم مقابل دفع ضريبة الكراء⁽¹⁾.

ومما يلاحظ ان هذا الشكل من الاستغلال غير المباشر لاراضي الدولة قد خلق روابط ومصالح متبادلة بين المدينة والريف، ذلك ان طبقة الحضر بالمدينة هي التي كانت تقوم بدور الوساطة بين العاملين والدولة لان كراء الأراضي عادة ماتحظى به هذه الطبقة الغنية⁽²⁾.

2-2 : الضرائب الاضافية: فرضت على الاراضي المستغلة من قبل القبائل المستقلة والرافضة للخدمة في محيط سلطة البايك، ومن اهم الضرائب التي تؤخذ على هذا النوع من الاراضي مايلي:

1/ **الغرامة:** وهي ضريبة الزامية كان يدفعها سكان المناطق الخارجون عن السلطة الفعلية للبايلك، وارتبطت عادة بتوجيه المحلات العسكرية لجمعها واختلفت حسب طبيعة المنطقة والسكان والقبيلة؛ فالقبائل البعيدة عن مقر البايك يستخلص منها 10 بوجو عن كل خيمة اما القريبة فكانت قيمة غرامتها الاكثر ارتفاعا تتراوح من 15 الى 25 بوجو.

وكانت الغرامة تفرض أيضا على المواشي والصوف والزبدة والعسل والشمع والخيول والبغال والأبقار والعيبد وغيرها فقبائل أولاد علان أجبرت على دفع 500 كلغ من الزبدة، 100 راس ماشية، 16 قطعة من نسيج الخيم، 30 كيس من وبر الجمال، 12 كيس من جلد الماعز اما،⁽³⁾الباي عثمان ابن محمد الكبير في رحلته الى الصحراء سنة 1799 فقد اجبر سكانها على دفع غرامة بقيمة 17 ألف بوجو بالإضافة الى تسليم اظافر احمد التيجاني جزاء عصيانه وإجبار التيجانيين على دفع 25 زنجية او زنجية من ورقلة و45 من توفرت⁽⁴⁾، وكانت القبائل الصحراوية الغربية تقدم 30 ألف بوجو مقابل حق المرور إلى ميناء وهران لتصريف بضائعها⁽⁵⁾.

ب/ **اللزمة:** وهي ضريبة كانت تدفعها قبائل الرعية الخاضعة مباشرة للعثمانيين والرافضة لدفع العشور والزكاة وقيمتها نقدية أو عينية وسميت كذلك بضريبة البدو⁽⁶⁾، وقد استخلصت من القبائل النائية جنوب البايك او من

(1) Xavier, Yacono, les bureaux arabe....., op. cit, p :176.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص 93.

(3) Claude, Bontems, op. cit , p :37.

(4) Ernest ,Mercier, op. cit, p :450 .

(5) ناصر الدين ، سعيدوني، النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص 95.

(6) Mahfoud, Kaddache, l'algerie durant la periode ottomane, 3eme edition, O.P.U, alger, 1998, p :132.

القبائل المقيمة في المناطق الجبلية الوعرة او من القبائل المقيمة في اقصى الحدود الغربية للبايلك.؛ فقبائل يعقوبية كانت تدفع الى الباى عن طريق الاغاوات لزمة تتكون من العبيد والصفوف والمواشي والسجاد والجمال، اما القبائل المجاورة لتلمسان يستخلص منها لزمة عن طريق قائد البلد كقبيلة بني سنوس وبني صميل وبني ورنيد التي كانت تدفع كميات هامة من الظفائر المنسوجة للخيول، وكانتا قبيلة بني عامر ومجاهر الخاضعتان مباشرة للباى تلتزم على دفع 8000 ريال نقدا بالإضافة إلى المواد العينية كالأحصنة الملجمة وخيول القادة وبعض المواشي والشعير⁽¹⁾، كما ألزمت بعض القبائل الأخرى بصناعة خبز البشماط لتموين المعسكرات والاماكن التي يتواجد فيها الجيش⁽²⁾، اما القبائل الصحراوية لبايلك الغرب وهي اولاد سيدي الشيخ وحميان وقبائل جبال عمور فكانت تدفع لزمة ثابتة ومحسب ثراء كل قبيلة، اما قبائل الاغواط فتدفع لزمة منتظمة لا تتغير مهما كانت الظروف وهذا ما يؤكد احمد بن هطال قائلاً: «... عندما قام محمد الكبير برحلته نحو الجنوب ألزم قبائل الاغواط بدفع 100 خادم و5000 بوجو و 250 جمل و 04 خيول و 200 ثوب...»⁽³⁾.

وكان من عادة البايات ان يبعثوا كل شهر الى الداى مقدارا معيناً من المال سمي هذا بـ "لزمة البيناشي" وقد قدرت بـ 4000 درو بجة تقدم الى اصحاب هذه الرتبة العسكرية⁽⁴⁾.

ج/المعونة: وهي نوع من الضرائب التي كانت تستخلص من قبائل الرعية الداخلة تحت نفوذ القيادة والمتعاملة معهم⁽⁵⁾، بهدف تموين الحملة في الأرياف، وفي الغالب كانت عينا ممثلة في الحبوب؛ فقبائل الرعية ببايلك الغرب كانت تنقل بنفسها كميات الحبوب الى وهران ومليانة ومعسكر وتلمسان ومستغانم لتقديمها الى وكيل المعونة المعين من طرف الباى لتوضع في دار المعونة كاجراء احترازي لضمان الغذاء في حالة الجفاف او تراجع الانتاج⁽⁶⁾.

د/ الخطية: نوع من الضرائب كانت تفرض على القبائل المتمردة سميت كذلك بالدية وهي معيار للخضوع لطاعة الباى⁽⁷⁾، وقد تكون بصفة فردية او جماعية عند ارتكاب المخالفات او ارتكاب جرائم ضد القيادة او شيوخ القبائل، حيث كانت هذه المخالفات تجبر البايات في بعض الاحيان الى مصادرة الاملاك ودفع مقادير نقدية، ويمكن ان

(1) Walsin, Esterhazy, op.cit, pp :269-278.

(2) Bernard, Caporal, op.cit, p :286.

(3) احمد، بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير (تحقيق: محمد بن عبد الكريم)، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص ص 52-65.⁽³⁾

(4) احمد الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص 47.

(5) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص 97.

(6) Mahfoud, Kaddache, op.cit, p132.

(7) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية بالجزائر (الفترة الحديثة)، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001،

ص 340.

نضيف الى الخطية الرسوم التي كان يتولى جمعها المزوار(*) من النساء المومسات اللواتي تردد عليهن الجند الانكشاري الذي كان يعيش في حالة عزوبة، ويتسلم المزوار عن كل مومس رسماً لفائدة الخزينة يقدر بـ 24 فرنك⁽¹⁾.

هـ/ المعاش: هو نوع من الضرائب كانت تقدمها قبائل الرعية في شكل أغذية لجنود المحلة أينما ارتحلت وحلت لجمع الضرائب في بايلك الغرب وفي المكان الذي ترابط فيه، وفور وصولها إليه في المساء تقوم بإطلاق المدافع إيدانا عن تنصيب خيم الباي وكذلك في الصباح عند نزعها، على أن تلتزم قبائل الرعية بتقديم المأكول وتتولى أموره مرتين على الأقل طيلة الأيام التي تقضيها جنود المحلة.⁽²⁾ ، ففي اليوم الاول من الضيفة تقدم الماكولات المكونة من لحوم الدجاج أو الماشية والكسكسي للجنود والشعير لتغذية الدواب؛ وفي الصباح وقبل الإقلاع من المكان يقدم للباي حصان قادة⁽³⁾، اما مهمة الحراسة فكانت من اختصاص قبائل البدو الرحل القادمون من الجنوب لبايلك الغرب بحثا عن المراعي المعشوشبة أو للحصول على الحبوب⁽⁴⁾.

2-3 الضرائب الظرفية: كانت تفرض خلال المناسبات التكرمية والتعيينات الترقية، وهي في شكل رسوم مختلفة تقدمها القيادات وشيوخ بعض القبائل بعد تعيينهم كترضيات وهدايا لاغا العرب وموظفي جباية الضرائب والبايات وموظفي الديوان ومنها مايلي:

ا/عوائد سكان المدن: كانت تدفع هذه الضريبة في بايلك الغرب حسب أهمية كل مدينة بداية من ألفين إلى 05 آلاف بوجو وأحيانا أخرى ما بين 1500 إلى 03 آلاف ريال، اضافة الى 12 حصانا معدا ومجلدا و04 خيول قادة مخصصة لاستقبال الباي، وقد عرفت هذه الضريبة بـ " ضيفة متاع دار الباي"⁽⁵⁾، كما ان جنود المحلة كانوا يمونون بالبسكويت حيث كان يوجد في مليانة ومازونة ومعسكر وتلمسان ومستغانم وكلاء للبشماط يعينون من طرف الباي حيث تفرض ضريبة التموين بالقمح الذي يستعمل جزء منه في صناعة خبز البشماط للجيش وبيع جزء اخر والجزء المتبقي يضم الى العشور، وقد كان وكلاء البشماط يستقبلون الباي في مدتهم أثناء رحلة الدنوش ويقدمون له الهدايا مثل ماكان عليه الحال عند وكيل بشماط مدينة مازونة⁽⁶⁾، الا ان هناك بعض المدن في بايلك

(*) هو موظف يشرف على شرطة الاخلاق.

(1) عبد الله بن محمد، الشويهد، المصدر السابق، ص 130.

(2)

Walsin ,Esterhazy,op.cit,p :218 et 265.

Walsin ,Esterhazy,op.cit,pp :276-277.

(3)

Marcel,Bodin «la brève chronique du bey Hassan extraite et traduite de tal'at sa'd so'oud de mazari »,in (4)

B.S.G.A.O , tome XLIV ,1924,p :34.

OP.cit,p :241 et 279.

(5)

Ibid,p :242.

(6)

الغرب لم يكن فيها حاميات عسكرية عثمانية مثل مدينة تنس حيث كان يجبر قائدها على الدفع سنويا مبلغ 531 بوجو لقائد مدينة القلعة⁽¹⁾.

ب/رسوم تتعلق بالحياة الاقتصادية في المدن: تعد من اهم مصادر دخل البايك لما توفره من أموال وتمثل في تلك الرسوم على المفروضة النقابات المهنية والمحلات التجارية والحقوق الجمركية ومكوس الأسواق وحقوق الالتزام والتنصيب.

1/ رسوم النقابات المهنية والمحلات التجارية: لقد كان إلزاما على أصحاب النشاطات الاقتصادية في المدن دفع رسوم على ذلك؛ والتي كان يتولى جمعها أمين الأمناء الذي يختار من بين أقدم الأمناء وأكثرهم جدية وأحسنهم معاملة؛ بمساعدة قائد المدينة.

لقد كان بايلك الغرب الجزائري كغيره من البايكات من حيث الحرف والصنائع لكن مقارنة بمدينة الجزائر لم يعرف انتشارا كبيرا لأمناء المهن حيث ضمت مختلف مدنه ما لا يقل عن ستة أمناء وهم: أمين الحدادين، أمين النجارين، أمين البرادعية، أمين القنذاقجية (صانعي البنادق)، أمين التشقماجية (صانعي الذهب)، أمين البنائين، وكان هؤلاء الأمناء يسجلون عمالهم الذين هم غير معينين بدفع الرسوم لكن يقدمون خدمات للبايلك في وقت الحاجة⁽²⁾.

وقد كان الأمناء إضافة إلى ما يدفعونه من رسوم جراء نشاطهم المهنية؛ مجبرون على توفير بعض الخدمات المجانية للبايلك، فمثلا البرادعية كانوا يجبرون على توفير لوازم فرسان البايك، ونفسه بالنسبة لحدادي مدينة مليانة الذين اجبروا على تموين المسافرين بما يحتاجونه وبدون تعويض⁽³⁾، وكان صناع النسيج في مدينة ندرومة يدفعون مجانا وبانتظام منذ القرن 17 إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر ألف قطعة من النسيج القطني السميك مخصصة لصناعة خيم الجيش وأكثر من مائة قطعة للبايلك⁽⁴⁾.

2/ الحقوق الجمركية ورسوم الرسو في المراسي: كان يقوم باستخلاصها قائد المرسى بمساعدة بعض الأعوان الذين كان يطلق عليهم تسمية الصرافين، فقبل تحرير وهران من قبضة الأسبان كان ميناء ارزيو يفرض على كل سفينة ترسو به مبلغ 25 سلطانيا جزائريا مع دفع 01% كحق لقائد المرسى، على أن السفينة التي تشحن فيه تجبر

Genty de, Bussy, op.cit, p :186.

Walsin, Esterhazy, op.cit ; p :280.

Desfontaines(L.R), op.cit, p :150.

Djillali, Sari, op.cit, p :36.

(1)

(2)

(3)

(4)

على الذهاب إلى مدينة الجزائر لأخذ التذكرة مع إجبارها على دفع حق الفنار المقدرب 10 سلطاني جزائري⁽¹⁾، غير ان هذه الحقوق تختلف حسب اختلاف الدول فالسفن المنتمة للايالة الجزائرية او الدولة العثمانية تدفع 20 بياستر و40 بياستر عن السفن المنتمة للدول المسيحية و80 بياستر على سفن الدول المعادية للجزائر⁽²⁾. لكن بعد فتح وهران الأول سنة 1708 وحسب ابن سحنون الراشدي فان كل سفينة كانت ترسو في ميناء وهران يفرض عليها دفع 55 ريالا؛ 40 ريالا لبيت المال والباقي لقائد المرسى⁽³⁾، الا ان عبد الجليل التميمي أكد ان الرسم الجمركي أصبح 10% على كل البضائع في بداية القرن 19 وذلك بأمر من عمر باشا⁽⁴⁾.

3/ المكوس ورسوم الأسواق: كانت تفرض على كل المنتوجات الفلاحية التي تدخل الى اسواق الريف وتحدد عادة بقيمة نقدية او كميات من تلك البضائع المطروحة في السوق، ويتم استخلاصها من طرف قائد السوق او ماعرف بـ "خوجة الرحبة".

لقد شكلت الاسواق في بايلك الغرب الجزائري الوسيلة الوحيدة لاستخلاص الضرائب من المناطق المستعصية على نفوذ البايك وأداة لتشديد الرقابة على المناطق النائية والعامل الأساسي لإشعار السكان بوجود السلطة المركزية ذات التأثير القوي في الحياة الاقتصادية⁽⁵⁾، معمولاً به مع القبائل الصحراوية عند قدومها الى التل حيث تفرض عليها رسوم سميت بـ "حق العسة" تتمثل في الخرفان والجمال والبرانس والحياك والسجاد وريش النعام التي يأخذها البايك ليعيد بيعها؛ بينما يقدم له امتياز من نوع خاص يتمثل في تثبيت رسم شراء القمح وتقديره بـ 01 دورو اسباني عن كل حمولة جمل واحد إضافة إلى المكس وبعض الهدايا التي تقدم إلى قايد السوق وشيخ البلد⁽⁶⁾. أما في المدن فقد كان خوجة الرحبة يفرض الرسوم على السلع المعروضة للبيع في الأسواق إضافة إلى المحتسب^(*) الذي يأخذ رسماً على كل المنتوجات التي يحملها سكان الريف الى المدينة فمثلاً يقوم بتقييم سعر الكيس من التمر فيأخذ سبعة قطع ذهبية عن كل حمل تمر بينما أمين الأمناء يأخذ رطلا عن كل حمل تمر⁽⁷⁾، كما

(1) Laugier de, Tassy, op.cit, p :174.

(2) Ibid, p :174.

(3) احمد بن محمد بن علي بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 109.

(4) عبد الجليل، التميمي، موجز الدفاتر العربية التركية بالجزائر (القسم الثاني)، الدفتر رقم 13، منشورات المعهد الاعلى للتوثيق، تونس، 1983، ص ص 54-55.

(5) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص 110.

(6) Pierre, Boyer, la vie quotidienne a alger a la veille de l'intervention francaise, hachette, paris, 1963, p :113.

(*) موظف يتولى امور السوق صلاحياته تشمل كل ما يتعلق بالبيع والشراء من ماكل وملبس ومشرب فيكون له رأي في تقدير الاسعار وتحديد الرسوم المتوجبة عليها، وهو من الوظائف الأساسية في نظام الحسبة الاسلامي.

(7) عبد الله بن محمد، الشويهد، المصدر السابق، ص 44.

ياخذ رسوما على الخيول والفواكه والدواجن والتبغ والخمر الذي كان يصنعه اليهود حيث يفرض عليه رسم يقدر بـ 04 بوجو عن كل برميل يتسع لـ 200 الى 250 لترا.

4/ رسوم التولية: وهي عبارة عن ضرائب يدفعها كبار الموظفين والشيخوخ والقياد في المدن والأرياف مقابل تنصيبهم في بعض المناصب او تجديد عهدهم وحصولهم على بذلة التولية وسميت هذه الضريبة بحق البرنوس حيث تصرف اموالا طائلة للحصول عليها لتعاد من الضرائب التي تفرض على القبائل، وكان ثمن البرنوس يخضع لطبيعة المنطقة ودرجة ثراء القبيلة فمثلا اغاوات الدواير يدفعون 40 ألف ريال بوجو بينما اغاوات الزمالة يدفعون 20 ألف ريال بوجو ، اما قايد البلد والجبل بتلمسان يدفع كل واحد منهما 10 آلاف ريال بوجو⁽¹⁾، كما كانت هناك ضريبة اخرى تتعلق بالتولية سميت **حقوق البشماق**^(*) وقد تطورت هذه الضريبة الى ان اصبح الشاوش يحمل بشماق الداى عند دخوله لاداء صلاة الجمعة ويضعه له عند خروجه من الصلاة⁽²⁾ فقد بلغ مثلا مقداره سنة 1787 حوالى 60 الف بوجو قدمها الداى محمد باشا⁽³⁾.

اذا كان بايات الغرب الجزائري قد أرهقوا كاهل سكانه بالضرائب المختلفة خاصة سكان الأرياف مقابل حفظ الأمن؛ كما كان هناك شيئا آخر كان عليهم القيام به وهو عملية تسليم الضرائب المجمعة إلى الحكم المركزي بالجزائر وهو ما كان يعرف بالدنوش الصغرى التي كان يدفعها الخلفاء كل ستة اشهر في فصلي الربيع والخريف والدنوش الكبرى التي أشار إليها فانتور دو بارادي بهذا الوصف: «..... يستعد الباى ورجال حاشيته لحمل الدنوش والعوائد الى الجزائر يحف به ثلاثة الاف فارس من القبائل الخليفة...قافلة الدنوش مكونة من ثمانين بغلا محملة بأكياس النقود والمصنوعات المحلية كالحياك والبرانس البيضاء والسوداء وجلود الفلالي الحمراء وأقمشة الصوف وقطع الحرير والأحذية والسروج وقناني العنبر والروائح الطيبة فضلا عن العبيد وقطعان الخيل والبغال والجمال والمواشي وكميات الشمع والعسل والزبدة والأرز والحبوب والزيتون والكسكس...»⁽⁴⁾.

كان باي الغرب الجزائري حين خروجه من عاصمته في اتجاه الجزائر لتأدية الدنوش يستغرق عدة أيام في مسيرته، وأثناء هذه المسيرة يتوقف في محطات سميت بـ " القوناق " لتلقي الهدايا والضيافات من القبائل وسكان المدن؛ حاملا معه كل علامات القيادة من الموسيقيون وحاملو الأعلام السبعة وشواشه ومكاحلته وحاملو الظليلة، فيتجه

Walsin,Esterhazy,op.cit,p :268 et 272.

(1)

(*) نوع من الاحذية العثمانية المرصعة

(2) احمد الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص 45.

(3)

Albert,Devoulx, tachrifat.....,op.cit,p :78.

Venture,Deparadis,op.cit,pp :249-250.

(4)

في اليوم الاول الى كرمة المسولان للاستراحة اين يجتمع حوله سكان مدن البايك لتقديم التحية، وفي اليوم الموالي ينتقل الى تليلات حيث يتلقى كل جندي في جيش الباي 01 ريال بوجو تقدم له من طرف خليفة الكرسي او الباش شاوش على ان تبقي سارية المفعول طيلة الايام التي يسير فيها الباي في اقليم البايك الى غاية دخوله اقليم وتراب بايلك دار السلطان وهذا من اجل توفير الأمن والحماية للباي⁽¹⁾، ثم من تليلات الى سيق ثم من سيق الى هبرة ومن هنا الى يلل ومن يلل الى مينه ومنها الى جديوية قرب واد ارهيو في قوناق حاج منداح اين يجتمع مختلف شيوخ القبائل لتقديم للباي "باروك الدنوش" في شكل خيول قادة واموال والحياك..، لينتقل بعدها الباي الى مرجة سيدي عابد عند اولاد خويدم حيث يقدم له كل قائد ووكيل بشماط مازونة هدية الضيافة، وبعد هذه الاستراحة يسير الى صاحي بوخضرة ومن هنا الى زمول حد جلول حيث يصل الى قوناق واد روينة في قطنة سيدي قويدر بن يحيى، ومن هنا ينتقل الى واد الفضة ثم الى بوخشفة حيث يمكث ثلاثة أيام يزوره باي التيطري وتقدم له الهدايا من قائد جندل ومن وكيل بشماط مازونة؛ وفي هذه المنطقة يتوقف الجند عن تلقي 01 ريال بوجو يوميا وفي مليانة يترك الباي موسيقيه وحاملو أعلامه السبعة، ثم ينطلق إلى بوحلوان ثم مصب واد جر ثم واد العلايق اين يلتقي بأغا "متاع دار السلطان" الذي يقدم للباي حصان مجهز، ويأتي لزيارته حاكم البلدية وقائد بوفاريك وقائد غرابة على يد الباي وهم سكان بايلك الغرب الجزائري الذين كانوا يأتون للاقامة في سهل متيجة؛ وشيخ شيوخ متيجة وشيخ ومزوار البلدية؛ ومن واد العلايق كان يسير بخيمته الى بوفاريك عند موضع عيون الشعر أين كان يأتي الخزناجي وخوجة الخيل للقائه حيث يرسل كتابا إلى الداى عن طريق باش سيار يستأذن بالدخول فيقوم الداى بتعيين اليوم المحدد ثم بيعث بالجواب⁽²⁾.

وفي اليوم الموالي يركب كبار ضباط ديوان الداى والباي أحصنتهم ويتوجهون ليلا إلى المكان المسمى عين الربط خارج باب عزون، وعند الصباح يتجه الوكيل الى الداى ليخبره بوصول الباي، فيامر كلا من الخزناجي والاغا ووكيل الحرج بملاقة الباي في الموضع المسمى بـ "الملعب" حيث تجري الخيل أمامهم عليها فرسانها ويضربون البارود ترحابا بالباي على حد تعبير الزياني⁽³⁾، للاستراحة قليلا وتجاذب اطراف الحديث، ثم يمطي كل واحد منهم جواده للسير في اتجاه الجزائر حيث يكون الباي في الوسط متبوعا بخليفة الكرسي والباش شاوش والخزناجي

Bernard,Caporal,op.cit,pp :289-290.

(1)

(2) احمد الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص 37.

(3) محمد بن يوسف، الزياني، ص 191.

على يمينه والاعا في يساره وخلفهم جنود الصبايحية والمكاحلية والبغال المحملة بالدنوش أما أمامهم قنتقدمهم فرق الموسيقى والطبول.

وكان الباى منذ ركوبه خيله وهو يرمى بالاموال يمينا وشمالا على الفقراء، وعند مدخل باب عزون تتوقف هذه العملية ليرمي على الباى قطع السلطاني من الذهب؛ وعندما يشرف الموكب على الوصول تذهب قافلة الدنوش الى الخزينة بينما الباى يذهب الى دار الامارة حيث ينزع سلاحه من طرف المزوار خوفا من ان تخطر بباله خواطر ثورية ويقوم باغتيال الداى حسب كاثكارت⁽¹⁾، ثم يدخل مع الوزراء لتقبيل يد الداى ويتبادل معه الحديث حول احوال الرعية ثم ياتي الشيوخ والقياد والاعاوات لنفس العملية وعند الانتهاء ياتي الخزناسي بالخلعة ليقدمها الى الباى ليلبسها وبعد ذلك يقبل الباى يد الداى ويخرج وفي رفقة عدد من رجال حاشيته لتوديعه، وعلى اثر ذلك يعقد الديوان اجتماعا فاذا راوا ان سلوكه كان مرضيا يبعث اليه الداى مع كبير موظفيه الذي يتولى خدمته بدار عزيزة القفطان التقليدي رمزا لاستمراره في مهام منصبه واذا كان العكس فهذا معناه ان سلوكه غير مرض وبالتالي العزل من منصبه الذي تكون عواقبه خطيرة عادة ماتكون الالقاء في السجن وقطع الراس بدون محاكمة وفي وقت سريع حيث ان التاجيل تكون له عواقب كارثية⁽²⁾.

عندما تتم هذه العملية بسلام يامر الباى خواجاته بكتابة رسائل الى موظفيه ببايلك الغرب يشرهم عن نجاحه في هذه المهمة يحملها السيار في اقصى سرعة ممكنة الى نساء الباى اللائى يكافئن حاملها بحوالى الف ريال بوجو لتطلق بعد ذلك طلقات المدافع في المدينة إعلانا عن الأخبار السارة؛ وفي غضون المدة التي يقمها الباى بالجزائر وهي عادة محددة بثمانية ايام يقوم بزيارة الداى مرتين في اليوم ماعدا يومي الثلاثاء والجمعة⁽³⁾، وهو بدوره يتلقى في مقر إقامته زيارات كبار ضباط الجيش مثل اوداباشي وبولكباشي نوبة القصة؛ فبعد تقديمهم التحية ينحدرون إلى الأرض أمام أرجل الباى ويطرحون بساط "الفتحة" حيث يامر الباى احد عبيده الحامل لخمسة أكياس مملوءة بقطع السلطاني ويصففها الواحدة تلو الأخرى ثم يفرغها على البساط مردداً "... إلى مولاي الباشا، إلى مولاي الخزناسي... الخ" لياخذ البساط ويستبدل باخر على ان يعاد هذا التكرار مرة ثانية للاعاوات والبولوكباشي تحت العريش والقوبي والائمة والخوجات ليأتي الدور على كردماجية الباشا وكل عمال دار عزيزة من

(1) كاثكارت، جيمس ليندر، مذكرات اسير الداى كاثكارت قنصل امريكا في المغرب (ترجمة وتعليق وتقديم: اسماعيل العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 117.

(2) نفسه، ص 117.

(3) نفسه، ص 118.

البوابين والحلاقين وحاملي الماء⁽¹⁾، ثم يقسم العوائد والمهايا على كبار موظفي الدولة وعند انتهاء هذه العمليات وفي اليوم السابع من إقامة الباي بالجزائر يأتي رسول من قبل الداوي ليرافق الباي إلى مقر الإمارة حيث تقدم له هدايا الداوي المكونة من اثنين من الخيل وبنديقية مذهبة وسكينا ذهبيا وثيابا مذهبة واثاثا مرصعة بالاحجار الكريمة، وعند صباح اليوم الثامن كان يذهب الباي للسلام على الداوي الذي يلبسه قندورة مرصعة بالذهب ثم يقوم بتوديعه ليتركه بعده الباي فرسه حيث يخرج راكبا من دار الاماره عائدا الى بايلكه والنوبة من ورائه ويرافقه في ذلك الاغاة لمدة ساعتين او ثلاث ساعات الى غاية عين الربط ولن يعود الا بعد ان يدفع له مبلغا نظير مرافقته للباي⁽²⁾، ويذهب الباي الى حوشه لبييت هناك رفقة وكيله وكتابه ويتحاسبون هناك على ماصرفه عليه الوكيل وفي الغد يتوادعون فيذهب الباي الى بايلكه اما الوكيل فيرجع⁽³⁾.

ولضمان امن طرق مواصلات جند المحلة المكلفة بجمع الضرائب داخل بايلك الغرب انشأت اماكن للراحة تسمى "القوناق" كانت عادة بالقرب من قبائل المخزن؛ عبارة عن خيام تحت اشراف شيوخ الزمول الذين يسهرون على سلامة امن المسافرين والقوافل وبالمقابل غير معينين بدفع الضرائب المحددة من قبل البايلك وقد كانت هذه الأماكن حسب استرهازي كما يلي⁽⁴⁾:

القوناق الاول: كان يوجد في منطقة سيق حيث تولت قبائل الدواير والغرابية بحفظ الامن فيه من منطقة ملاتة الى هذا القوناق، ولم يكن فيه الزمول.

القوناق الثاني: كان في سهل يلل في مكان وجود قطنة المرابط سيدي الطيب بن عويس حيث ترابط الزمول بخيمها البالغة 100 خيمة والمكلفة بحفظ الأمن إلى غاية القوناق الثالث.

القوناق الثالث: يوجد في منطقة مينة وكان قائدها هو شيخه في نفس الوقت، سمي كذلك بقوناق الروازة بسبب وجود حقول الأرز على ضفاف وادي مينة ، كما عرف بسوقه الذي كان يعقد كل خميس.

القوناق الرابع: في منطقة جديوية على ضفاف وادي الرهيو وكان اخر شيخ له هو الحاج منداح من قبيلة سيدي العربي.

(1) Marcel, Emerit, «les aventure de thedenat esclave et ministre d'un bey d'afrique au 18 siecle 1772-1782», in R.A, tome XCII, 1948, pp :347-349.

(2) محمد بن يوسف، الزياني، المصدر السابق، ص 192.

(3) احمد الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص 46.

(4) Walsin, Esterhazy, op. cit, pp :249-253.

القوناق الخامس: كان يوجد بالقرب من وادي صليح ببلاد اولاد قصير، انشا هذا القوناق مباشرة بعد هزيمة مخزن الباي ابراهيم من طرف هذه القبيلة؛ وكان اخر شيخ له هو الشيخ بوخضرة.

القوناق السادس: كان يوجد بوادي الروينة الذي ينبع من جبال مطماطة ببلاد العطاف؛ وكان يقوده البغدادي وليد قويدر بن يحيى الذي كان له قطنة يبلغ تعداد خيمها 600 خيمة.

بعد هذا القوناق نصل إلى مليانة حيث يبدأ إقليم الاغا الى مدينة الجزائر حيث كانت الطرق مؤمنة، كما انشأت مخيمات للراحة على عدة طرق:

الطريق بين وهران ومستغانم: في أوطان سيرات حيث يوجد قوناق المنجوب الذي كان تحت قيادة قائد البرجية واسندت لدواوير هذه القبيلة السهر على امن الطريق.

الطريق بين مستغانم ومازونة: كان يوجد في في قطنة المرابط سيدي عبدالله بن حواء على حدود إقليم المكاحلية.

الطريق بين مازونة ومعسكر: حيث تلتقي زاوية سيدي محي الدين بوادي الحمام وزمول سيدي العربي ببلاد أولاد العباس وعكرمة.

أما القبائل المستقلة وغير الخاضعة لسلطة البايك والتي بقيت دائما خارجة عن إدارة العثمانيين، فان شراة الباي لهم تمثلت في فرض ضرائب ثقيلة عليهم من خلال المعلومات التي يوفرها ما سمي بـ " الشواف " العارف بمضارب خيام القبائل ومن تتبع خط سير المحلة وتنقلها بين الدواوير والمداشر، فهذه الوسيلة عملية في تحصيل الضرائب المستعصية على الحكام ولتحقيق هذا الغرض تم تعيين محمد بن قرماري الزلبوني شواف على الصحراء وقبائل الانجاد و محمد بن دحمان شوافا على أولاد عياط المستقرة في جنوب سلسلة الونشريس⁽¹⁾.

ان هذه الغنائم الضريبية لبايلك الغرب الجزائري كانت تزداد وتنقص وفقا للقدرات الاقتصادية للبايلك وحسب الفترات التاريخية ونظرا لتعذر الحصول على الوثائق الأجنبية المتعلقة بالمنطقة، فقد اعتمدنا على المصادر العربية والأجنبية للخروج بفكرة تقريبية حول موارد البايك المالية والذي كان مجبرا على دفعها لداي الجزائر وهذا من خلال الجدول الآتي:

المصادر المعتمدة	مقدار موارد دخل بايلك الغرب
الأب دان سنة 1634 ⁽¹⁾	بين 100000 و 450000 دكا
لوجي دو تاسي سنة 1725 ⁽²⁾	مواد ثابتة قدرت بـ 100000 بياستر
تيدينا 1779-1782 ⁽³⁾	دنوش سنوية تقدر بـ 666 ألف قرش وحصان رائع الاستعمال للداي، و25 بغلا، و12 عبدا زنجيا من كلا الجنسين و25 قنطارا من الشمع و50 قربة مملوءة بالزبدة و25 وعاء من العسل و25 غطاء من الصوف ذو اللون الأحمر و50 زوجا من البابوج الأحمر و50 لباسا صوفيا لصالح عبيد الأشغال الشاقة وهدية الداي التي تقدر بـ 2000 قرش وكذلك عوائد إلى داره وإلى كبار الايالة حيث كانت الهدايا تفوق ضرائب الباييلك.
فانتور دو بارادي 1788 ⁽⁴⁾	ضرائب باي معسكر تقدر بـ 120 ألف بياستر، يدفع سنويا 40 ألف بياستر، وكل ثلاث سنوات يأتي بـ 60 بغلا محملا بـ 2000 بياستر لكل بغل، ويدفع سنويا غرامة تقدر بـ 10 آلاف كيلة قمح، ويدفع 100 قنطار من الشمع، ويدفع ضريبة من الجمال والابقار والاعنام والخيول ومن 30 إلى 40 زنجي وزنجية كهديّة لكبار الايالة و80 عبدا مسيحيًا من وهران، ومجموع ما كان يدفعه باي معسكر سنويا هو 273 ألف بياستر.
احمد بن سحنون الراشدي 1791 ⁽⁵⁾	كان الباي محمد الكبير يدخل الجزائر كل ثلاث سنوات حاملا معه نحو 100 ألف سلطاني وعدد لا يحصى من الغنم والسمن والثياب والعبيد والدواب وسائر النفائس ويصرف الأموال على الفقراء والعلماء والمجاهدين وسائر المعترضين لطريقه.
احمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1791 ⁽⁶⁾ .	كانت حصيلة دنوش بايلك الغرب 40 بغلة على كل بغلة ألفا ريال صغيرة، و40 فرسا من الخيل المسومة واقفاصا فيها السباع والنمور وبقر الوحش وغيرها من الحيوانات، و10 آلاف صاع من القمح والشعير كزكاة وعشور وألفي صاع من القمح والشعير كعوائد لأرباب الدولة والغنم المقدرة بـ 06 آلاف رأس.

(1) Pierre, Dan, histoire de barbarie et ses corsaires, imprimerie pierre rocolet ,paris,1637,p :92.

(2) Laugier de ,Tassy,op.cit,p :177.

(3) Marcel,,Emerit,«les aventure de thedenat»,op.cit,p :349.

(4) Venture,Deparadis,op.cit,p :244 et 248.

(5) احمد بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 144.

(6) احمد الشريف، الزهار، المصدر السابق، ص ص 39-47.

<p>أما الهدايا فكانت على النحو الآتي:</p> <p>هدية الداى: قدرت بـ 20 ألف دورو ونصفها من المصوغ و04 خيول ونحو 30 عبدا كبيرا و 20 عبدا صغيرا من عبيد السودان، وحيك القرمز المصنوعة في تلمسان وحيك الحرير من فاس والبلاغي والرواحي المرصعة بالذهب، 20 قنطارا من الشمع ومثله من العسل والسمن والجوز.</p> <p>هدية الخزناجي: وهي 200 دورو، أثاث مصوغ، خيل، عبيد، كسوة، حياك قرمز، حياك حرير، برانس، شمع، عسل، أرز، وهدايا تقدم إلى خدمه.</p> <p>هدية الاغا: مثل الخزناجي أو أكثر من ذلك.</p> <p>هدية خوجة الخيل: نصف ما يعطيه للوزيرين السابقين.</p> <p>هدية وكيل حرج باب الجهاد: مثل خوجة الخيل.</p> <p>هدية وكيل بيت المال: اقل من الوزراء السابقين.</p> <p>هدية الخزندار: مرتين في اليوم طيلة إقامته بالجزائر، وقد قدرت بكيسين بقيمة ألف دورو في كل مرة توزع على الخدم كما يعطي للطباخ الكبير وخدامه العوائد ممثلة في العبيد وحيك تلمسان والحرير والشمع والعسل والسمن.</p> <p>هدية الباش كاتب: توزع على الخدام والعمال والشواش.</p> <p>هدية الشواش الكبار: وعددهم سبعة ويقال لهم شواش القصة، يعطيهم الباى 04 آلاف دورو، والسراج يقدم له 700 دورو.</p> <p>هدية وكيل الباى: يقدم له حوالي 1000 دورو وعبيد وحيك وشمع مثل بقية الوزراء.</p> <p>إضافة إلى الهدايا المقدمة لرجال الاوجاق.</p>	
<p>كان باي وهران يدفع مبلغ من المال والعبيد والحيك وريش النعام وبيضه ووزراي القلعة والكثير من العوائد التي يقدمها لارباب الدولة وموظفوها.</p>	<p>محمد بن يوسف الزياني⁽¹⁾ وبن عودة المزاري⁽²⁾</p>
<p>كانت هدايا خليفة باي وهران سنة 1811 هي 36 بوجو و15 خروفا وابرقيق من العسل وزوج من الجوارب الحريرية وزوج من الاحذية وجرتان من الزبدة ثم بعد ثلاثة ايام يدفع 125 ريالا وغيرها.</p>	<p>دفتر التشريفات⁽³⁾</p>

(1) محمد بن يوسف، الزياني، المصدر السابق، ص 191.

(2) بن عودة، المزاري، ص 273.

(3)

-جدول عام لموارد دخل بايلك الغرب خلال القرن 18 حسب بعض المصادر الاجنبية والعربية-

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

* ان الضرائب في بايلك الغرب اثرت في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وتاثيرت بالعوامل الداخلية والخارجية التي عرفها البايك طيلة القرن 18، ففي المجال الزراعي قامت العديد من القبائل بترك اراضيها والفرار الى الصحراء واتباع اسلوب الترحال او الاقامة عند قبائل اخرى لاتطالها يد البايك وهذا يعني تفاقم بؤس السكان خاصة وان بايات الغرب الجزائري لم يولوا اهمية كبيرة في استغلال ماكان يتم تحصيله من ضرائب في شق الطرقات ووضع قواعد صناعة حديثة مسامية لما كان يحدث في اوربا خلال هذه الفترة، او تحسين اساليب الزراعة او اعداد جيوش قوية لمواجهة اي غزو اجنبي طارئ.

* ان انتشار اسلوب الترحال لبعض قبائل بايلك الغرب جعل بعض المصنوعات تفقد اسواقا هامة وهذا ما ادى الى تراجعها واجبر اصحابها الى خفض تكاليفها وفي المقابل كانت اسعار موادها الاولية جد مرتفعة نتيجة المكوس التي كانت تفرض على تجارها الذين يستقدمونها الى الاسواق.

* كان سكان الارياف يلاقون صعوبات كبيرة في تسويق منتوجاتهم فيكتفون بمقايضة سلعهم بسلع اخرى لاصحاب المدن وهذا ما ادى الى تولد الكره والنفور بينهم والدليل هو انه عندما احتل الفرنسيون وهران فر سكانها الى بوادي الغرب الجزائري فلقبهم اهل البادية وسدوا عليهم الطرقات ونهبوا ما عندهم من امتعة واموال؛ ونفسه بالنسبة لقبائل المخزن التي كانت تنظر نظرة استعلاء لقبائل الرعية.

* رغم ما كانت تدره التجارة الخارجية من ارباح خاصة تجارة القمح فانها كانت تذهب معظمها في جيوب التجار اليهود والى الباي وكبار الموظفين الذين لم يكن يهمهم تطوير وسائل واساليب الانتاج بقدر ما كان يهمهم جمع الثروات وفي هذا الصدد ذكر ابن خلدون قائلا: «...ان تجارة السلطان مضره بالرعايا مفسدة للجباية، وان استحداث التجارة والفلاحة هو غلط عظيم في سياسة الملك.....»⁽¹⁾.

* ان تصنيف الملكية في بايلك الغرب الجزائري ادى الى تركيز ثروات في ايدي قبائل المخزن والعائلات المرابطية الكبرى وشيوخ الزوايا الذين استعملهم البايك كاداة لجباية الضرائب مقابل امتلاك الاراضي الخصبة لاستغلالها او لكرائها مما ساهم في ربط السكان بجهاز البايك الاداري، لكن هذه العلاقة عرفت تحولا بعد فتح وهران الثاني

(1) عبد الرحمن، ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 268-270.

لان الخطر المشترك قد زال فمنطقيا هذا التحالف المؤقت سيزول فينشا التوتر والافتتال بين السلطة وشيوخ القبائل والطرق الصوفية التي مالت الى التمرد خاصة في ظل انتشار المجاعات والجفاف والابوثة وتراجع مداخيل البحر.

4- الفصل الرابع: الأحوال الاجتماعية والحركة التعليمية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18.

-اولا: الاحوال الاجتماعية

1-1: عناصر المجتمع

2-1: طبقات المجتمع

3-1: الوضع الصحي

ثانيا:- الحركة التعليمية في بايلك الغرب الجزائري

1-2: تنظيم التعليم

2-2: مراكز العلم ومدارسه

1-2-2: المؤسسات التعليمية

2-2-2: اعلام الثقافة والفكر

تمهيد:

تطرت في هذا الفصل إلى الأحوال الاجتماعية والحركة التعليمية ببائلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر حيث أشرت في البداية إلى خصوصيات التركيبة الاجتماعية ومختلف العناصر المكونة لمجتمع بايلك الغرب وأهم الأماكن التي تتمركز بها وبرز الامتيازات التي كانت تتمتع بها.

إن الفوارق الاقتصادية عمقت الهوة بين مختلف عناصر المجتمع في بايلك الغرب بين الريف والمدينة وتناقضت مصالحها، وما إن زال الخطر الإسباني اصطدمت هذه المصالح وأصبحت كل فئة تسعى للبحث عن مصادر الثروة وامتلاك الأراضي الخصبة ، وقد تجسد هذا التنافس من خلال صراع القبائل المخزنية التي كانت تنعم بالجاه والقوة وقبائل الرعية المضطهدة والتي استغلت الفئات الدينية غضبها للتمرد والحد من نفوذ الفئة المخزنية.

ثم عرجت على الحركة التعليمية في بايلك الغرب التي ساهمت فيها مجموعة من العوامل، وكيفية تنظيم التعليم من حيث الأطوار والمناهج والإنفاق على المؤسسات التعليمية التي عرفت بانتشارها الكبير في منطقة الغرب الجزائري والتي لم يقتصر دورها على الجانب التعليمي فقط بل تجاوزته إلى حشد هم السكان لمواجهة وطرد الاحتلال الإسباني.

وأخيرا ذكرت أهم أعلام الثقافة والفكر في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر الذين كان لهم دورا بارزا في كتابة تاريخ المنطقة خلال هذه الفترة وتسجيل كل صغيرة وكبيرة عن مجريات الفتح الثاني لوهران سنة 1792 على يد الباي محمد الكبير وما قدم هذا الأخير لفئة العلماء.

إن البنيات الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني لم تختلف اختلافا كبيرا من منطقة لأخرى بل أنها كانت تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع السكان؛ سواء في الشرق أو في الغرب أو الشمال أو الجنوب، فالأسرة هي الخلية الحية التي تكون الجماعات، والاعراش المجتمعة فيما بينها كونت القبيلة التي اعتبرت وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية تسير تسيرا جماعيا، وأما التقسيم الوحيد الذي يسلم به معظم المؤرخين؛ هو ذلك الذي جعل الجزائريين نوعين: الحضر وهم سكان المدن والريفيون الذين يعيشون من منتوج الأرض.

أولا: الأحوال الاجتماعية:

1- عناصر المجتمع:

أ/ في الأرياف: لقد حافظ العثمانيون ببائلك الغرب الجزائري على التنظيم الاجتماعي للأرياف، بإبقائهم لسلطة شيوخ القبائل وكذلك تدعيمهم لمرابطي الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا، وقد كان سكان الأرياف ينتمون إلى قبائل شتى؛ قبائل في مركز الصدارة وتابعين للبايلك وهم قبائل المخزن، وقبائل أخرى خاضعة خضوعا مباشرا للسلطة العثمانية وهم الرعية.

وبصفة عامة كان سكان ريف بايلك الغرب أواخر العهد العثماني حوالي ست مائة ألف نسمة يشكلون 275 قبيلة منها حوالي 202 قبيلة تدار بصفة مباشرة في مساحة ارض تقدر بـ 102 ألف كلم مربع⁽¹⁾، ومما يلاحظ ان حوالي 95% من مجموع سكان الجزائر خلال العهد العثماني هم ريفيون بينما لم يمثل سكان المدن في الشرق الجزائري سوى 03% لترتفع هذه النسبة ما بين 07% الى 08% في الغرب الجزائري حيث تكثرت الحواضر⁽²⁾.

ب/ في المدن: كان البناء الاجتماعي في مدن بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني ونظمها منظما اجتماعيا وذلك بتقسيم المدينة الى عدد من الأحياء والأسواق وفي هذا الصدد يكفي ان نتفحص مدينة تلمسان او معسكر لنلاحظ الترتيب بين المنازل والأحياء التي جمعت السكان حسب مجموعات عامة في أماكن متعددة، أما العناصر الاجتماعية التي كانت تشكل سكان المدن فهي:

1/ الأتراك: تشكلت الجالية التركية خصيصا من الرجال مثل بقية مدن الايالة، وتزايد عددها عندما وفد عليها الانكشاريون سواء الذين هم في الخدمة العسكرية أو في حالة التقاعد، تميزت هذه الطبقة بمكانتها الاجتماعية المرموقة الا انها لم تتغلغل بسهولة في الأوساط الشعبية ببائلك الغرب الجزائري مثل ما حدث في مدينة الجزائر وباقي

(1) ناصر الدين، سعيدوني، ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000، صص 254-255.

(2) Rene, Gallissot, « essai de definition du mode de production de l'Algérie précoloniale », in R.A.S.J, n°02, 1968, p: 338.

مدن الايالة؛ لذلك كونوا طائفة ارستقراطية فمعظم أفرادها اشتغلوا في الوظائف الإدارية الهامة؛ ويشير شالر: "...لا يمكن إجراء أي نوع من المقارنة بين آخر تركي حقير مرفوض وبين العنصر غير التركي، فالعنصر التركي له حق التصدر على نفسه في جميع الأماكن ففي الشوارع يترك له الممر فارغا وحرا..... وكان الجندي البسيط القادم من الأناضول بإمكانه الانضمام إلى طبقة الأسياد والاستفادة من مختلف الامتيازات....." (1) ، ولعل اهم سمة ميزت وجود الاتراك العثمانيين بالجزائر هي هيمنتهم شبه المطلقة على امور الادارة والجيش والاقتصاد اما غالبية السكان فكان حظهم التهميش، عكس الاقليات اما ممن ارتدوا عن المسيحية او من اليهود الذين حظي بعض العناصر من بينهم بامتيازات وتأثير بالغين في بعض الأنشطة الاقتصادية او ارتقاء أعلى المناصب والرتب في هرم السلطة او داخل المؤسسة العسكرية(2).

ان امتلاك اترك بايلك الغرب الجزائري للملكيات العقارية كانت اقل شانا من ملكيات اترك مدينة الجزائر، فالباي حسان كان يمتلك منزلا في مسرغين ونفسه بالنسبة لخزناجي البايك الذي كان يمتلك الحدائق، اما بالنسبة للبايات عثمان بن محمد الكبير وعلي قارة باغلي والاغا مرسلي وقايد الحاج كانت لهم ملكيات شاسعة من الأراضي في منطقة مسرغين نظرا لوفرة مياها وثراء خضرواتها وقد جذبتهم حتى حدائق منحدرات رأس العين(3).

2/ الكراغلة: عرفوا في بداية الامر التهميش والاقصاء من قبل الاتراك، لكن تزايد عددهم مع نهاية القرن السادس عشر بدا يشكل خطرا على الحكومة العثمانية في الجزائر ففي سنة 1629 اعلنوا اول انتفاضة ضد العثمانيين وقد لاقى مساندة قوية من طرف فئات اجتماعية اخرى معارضة للأتراك؛ وقد واصلوا في صراعهم إلى ان تمكنوا من تحقيق المساواة مع الأتراك، فخلال القرن الثامن عشر أصبح بإمكان الكرغلي الحصول على أي وظيفة لدى الداى(4)؛ ففي بايلك الغرب الجزائري بدا شأنهم يزداد في عهد محمد الكبير حيث تمكنوا من الوصول الى الحكم بعد ان ظلوا زمنا طويلا يطمحون اليه، لكن ظلت الحكومة العثمانية تري فيهم مجرد اعوان للادارة يتوسطون بين الفتنة الحاكمة وبقية السكان.

(1) وليم، شالر، مذكرات وليم شالر (ترجمة وتعليق: اسماعيل العربي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 42.
(2) حنفي، هلايلي، «الثورات الشعبية في الجزائر اواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش»، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العدد 20 ، 2006، ص ص189-190.

(3) Robert, Tinthoin, colonisation et evolution des genres de vie dans la region ouest d'Oran de 1830 a 1885, L Fouque, oran, 1947, p :60

(4) Pierre, Boyer, « le problème kouloughli dans la régence d'Alger », in R.O.M.M , n° special, 1970, pp :79-91.

كان بايلك الغرب يضم عددا كبيرا من الكراغلة خاصة بمدينة تلمسان حيث وصفهم فانتو ردي بارادي قائلا: "...اغلبهم كان يملك مائة الف بياستر اسباني والكثي من الماس واللؤلؤ وان هناك 500 كرغلي في قلعة المشور وحوالي 504 كرغلي في الجيش بمستغانم، و 500 كرغلي في مازونة، و80 عائلة كرغلية في قلعة بني راشد"⁽¹⁾.

3/ الحضر: تميزت هذه الفئة بمكانتها الاجتماعية المرموقة وقد تزايد عددها بما وفد عليها من الأندلسيين فاغلب أفرادها يشتغلون في التجارة ويمتلكون المساكن والدكاكين ويمتهنون العديد من الوظائف المربحة والخدمات الاجتماعية المرموقة وتندرج ضمن هذه الفئة جماعة الأشراف التي تولت المناصب الدينية والتعليمية، وانتقاما من فئة البرانية حدثت مصاهرة بين الحضر وبعض أفراد الانكشارية وبهذا التحالف استطاعوا ضمان حمايتهم ضد تعسف ممثلهم، مع إمكانية استعمال تأثيرهم لتدعيم مكانتهم المرموقة⁽²⁾.

4/ البرانية: وهم الافراد الذين قدموا الى حواضر بايلك الغرب من مختلف أنحاء البلاد الجزائرية قصد العمل والاقامة بها، وقد عرفوا بمواطنهم الاولى وانتسبوا الى أصولهم الريفية، بحيث ارتبطت كل طائفة من هذه الجماعة باعمال معينة وخدمات محددة، أوكل امر التصرف في شؤونها الى أمين او ماعرف بـ "المقدم" يقوم بدور الوسيط بين جماعته والإدارة ويشترك في جمع الضرائب ودفعها للبايلك، كما كانت له مهام اخرى وهي الحفاظ على الأمن داخل جماعته وله كل الصلاحيات في فرض العقوبات الا في قضايا الإجرام أو القضايا السياسية والتي عادة تنتهي بالسجن حيث يقوم بدعوة الشواش للفصل فيها ومن اهم هذه الطوائف: جماعة بني ميزاب التي اشتهرت بادرارة المطاحن وتسيير المخابز والحمامات العمومية والمزارع والمتاجرة بالمواشي واللحوم وطهيها، كما اشتهروا بحرف اخرى كظفر الحلفاء وتجارة الفحم⁽³⁾، وجماعة البسكرة الذين هجروا مدتهم في اتجاه بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر بعد معاناتهم من الصراع والمنافسة القائمة بين الأسر العسكرية الحاكمة في المنطقة والمتمثلة في أسرة بوعكاز وأسرة بن قانة المدعمة من طرف العثمانيين⁽⁴⁾، وقد عرف عن جماعة البسكرة امتهانهم لحرف بسيطة كحمل المياه الى المنازل والاعتناء بنظافة الأزقة وحراستها؛ وجماعة الاغواطين التي تدفقت على البايك بعد رحلة الباي محمد الكبير الى الصحراء. وجماعة العبيد السود الذين كانوا موجودين بكامل مدن البايك وقد تخصصوا في أعمال البناء، وكانت الموسيقى والرقص من اهم انشغالاتهم المفضلة وحيانا تعبر عن طقوسهم الدينية؛ وهذا ما يشير اليه روزيه

Venture, De paradis, op.cit, p :122.

Pierre, Boyer, la vie quotidienne a alger a la veille de l'intervention francaise, hachette, paris, 1963, p 148.

Op.cit, p :14.

Dr Shaw, op.cit, p :181.

(1)

(2)

(3)

(4)

واصفا احد حفلات السود التي دارت وقائعها في وهران في احد مقاهي العبيد: "...انهم لا يحبون ان يزورهم شخصا من غير جلدتهم...وعندما يشرعون في حفلتهم تغلق دائما ابواب المقهي..."⁽¹⁾.ومن جهة ثانية كان العبيد السود الخدام الوحيدون لزاوية سيدي محمد بن عودة واحدة من بين الأماكن المقدسة التي كان يقصدها سكان بايلك الغرب⁽²⁾.

5/ اليهود: اصطح عليهم "الدخلاء" كانوا يقعون في اسفل السلم الاجتماعي ، الا ان الملاحظ حول عددهم في بايلك الغرب الجزائري خلال الفترة العثمانية كان متضاربا فيه؛ واغلب افرادهم من اوروبا وخاصة من مدينة ليفورن بايطاليا لكن مالبتوا ان اكتسبوا تقاليد وعادات اهالي البلاد واندمجوا اجتماعيا في باقي الجماعات مع احتفاظهم بملابسهم الخاصة وخضوعهم لمعاملات خاصة نظرا لمعتقدتهم، وإذا كان الاسبان قد لاحقوا اليهود في كل مناطق البايك لطردهم فان الباي محمد الكبير بعد فتح وهران قام بتشجيعهم على السكن فيها وقدم لهم مختلف التسهيلات وقام باستقطاب يهود تلمسان ومعسكر وندرومة ومستغانم ومنح لهم بعض الاراضي معلنا عن إنشاء النواة الأولى ونقطة البداية للطائفة اليهودية الأهلية واستقرارهم بوهران داخل الأسوار بين البرج الجديد و برج الصبايحية⁽³⁾.

لقد استطاعت جماعة اليهود اكتساب ثروات طائلة بفعل اشتغالهم في المعاملات الربوية والسمسرة وبفضل مهارتهم في بعض المهن اليدوية ذات المردود المادي المرتفع كصياغة الذهب وتطريز الملابس الفاخرة، والجدول التالي يوضح لنا أسماء التجار اليهود بمدينة وهران العثمانية من خلال أرشيف القنصلية الاسبانية بوهران ما بين 1800-1815⁽⁴⁾.

اسماء التجار	مكان النشاط التجاري	تاريخ النشاط
سلمون أبو قير	وهران - ليفورنه - مرسيليا	1792 - 1823
جودا بن سرية	وهران - مرسيليا	1792 - 1819
يوسف كابيذا	وهران - ليفورنه	1792 - 1823
سلمون كوهين	وهران - مرسيليا	1792 - 1817

Rozet,(M), op.cit,p :269.

Emile,Dermenghem,op.cit,pp :206-211.

Henri leon,Fey,op.cit,p :269.

Isaac,Bloch,« les israélites d'Oran de 1792-1815»,in R.J,n°13,1886,pp :88-90.

(1)

(2)

(3)

(4)

1792	وهران - الجزائر	بن اوليال قابسون
1820 - 1792	وهران - ليفورنه - مرسيليا	توبيانه
1823 - 1792	وهران - ليفورنه	داوود ليفي بلنسي
1823 - 1817	وهران - ليفورنه	صامويل حسن
1823	وهران - الجزائر	يوسف أبواب
1826 - 1792	وهران - ليفورنه	باروش الأصغر
1823	وهران - الجزائر	إبراهيم خلفون
1823 - 1792	وهران - ليفورنه	بن هاس بن دهان
1825	الجزائر - تلمسان	موسى بن عمارة
1823 - 1792	وهران - مرسيليا - ليفورنه	يعقوب بن زقان
1823	وهران - الجزائر	يوسف ماما
1826 - 1792	وهران - ليفورنه	إبراهيم سبع
1820 - 1792	الجزائر - تلمسان	مخلف بن يشو

جدول(1): أسماء التجار اليهود بمدينة وهران خلال الفترة العثمانية.

والملاحظ أن المبادلات التجارية اليهودية أخذت القسط الأكبر مع مدينة ليفورنه الإيطالية، غير ان الشركة اليهودية الام التي تزعمت النشاط التجاري بين الايالة الجزائرية وليفورنه هي شركتي بكري وبوشناق وشركة شيفا فينو اللذان استغلا العجز المالى والمصاعب التي واجهتها فرنسا عقب الثورة الفرنسية فدخلوا ميدان التجارة مركزين جهودهما على ليفورنه ومرسيليا⁽¹⁾.

لقد عرفت مدينة مستغانم ومعسكر جالية يهودية معتبرة؛ كما كان عددها في تلمسان هاما وتمركزت في احياء نسبت اليها؛ فعلى سبيل المثال نشير الى حي اليهود بتلمسان الذي كان يقع في وسط المدينة وحي اليهود بمستغانم المسمى بدرب اليهود والذي كان يقع بجانب مقر الحاكم التركي كما عرفت كل من معسكر ومازونة وندرومة مثل هذه الأحياء، وما يمكن ان يستنتج ان هذه الجالية اليهودية المنتشرة عبر كامل مدن بايلك الغرب

(1) حنيفي، هلايلي، النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن 17 حتى 1830، اطروحة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2003-2004، ص 298.

الجزائري كانت لها موارد هامة تسييرها وفق نمطها الخاص دون مراقبة وتدخّل السلطة مع وجود مجلس يتّأسسه شيخ اليهود له كل الصلاحيات في جمع الضرائب لخدمة المصلحة العامة⁽¹⁾.

2/ فئات المجتمع:

1/ في المدن: لقد عرفت جل مدن بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 طبقات اجتماعية متميزة الوظائف ومتقاربة من حيث الترتيب الاجتماعي ومستوى الدخل، فكانت كل طبقة تحكم نفسها بنفسها لكن تتفاعل مع النظام العثماني بنظام محكم ودقيق، ويمكن توضيحها كالآتي:

1- الارستقراطية الحضرية:

تشكّلت الطبقة الارستقراطية من الفئات الحاكمة بمختلف انتماءاتها، حيث كانت هذه الفئة تتشكّل من الاقلية التركية اضافة الى الكراغلة والحضر؛ وقد مثلت الجهاز السياسي والاداري والعسكري وتمتعت بامتيازات هامة نتيجة لدورها الاقتصادي وراثتها ودورها في تسيير شؤون البلاد وقد تشكّلت من الفئات الآتية:

1/ الفئة الحاكمة:

لم تكن هذه الفئة مرتفعة العدد بل كانت محصورة في مجموعة معينة، وقد تشكّلت من العسكريين ذوي الأصل التركي وهذا حسب نظرة الاتراك الحل الوحيد للمحافظة على الطابع العثماني للدولة الجزائرية، فمن هؤلاء المجندين الاتراك القادمون من الأناضول كان يتم اختيار الحكام من مختلف الرتب والألقاب ومن بينهم يختار الوزراء والموظفون؛ وبالتالي فهي فئة اجنبية وعسكرية تمارس وظيفة سياسية وهذا ما سينجر عنه عواقب وخيمة على مصير الايالة الجزائرية⁽²⁾.

لقد تقاسمت الارستقراطية التركية الوظائف مع الفئات الاجتماعية الارستقراطية الاخرى؛ فالوظائف الادارية من اختصاص الفئة ذات الأصل التركي اما الوظائف الاخرى تقوم بها فئة الحضر والاجواد والكراغلة الذين تغير موقف الاتراك اتجاههم منذ بداية القرن الثامن عشر واعتمدوا عليهم في تولي المناصب الهامة ففي بايلك الغرب تم تسجيل تولي كرجلي واحد منصب الباي وهو الباي مصطفى الأحمر المسراقي في الفترة من 1736 الى 1748.

ب/ **الفئة المخزنية:** اطلق عليها تسمية الاجواد في بايلك الغرب الجزائري كانت تقوم بقيادة القبائل المخزنية ولها صلاحيات تحريك الرجال على حمل السلاح في حالة الحرب إضافة إلى الاستغلال الضريبي على قبائل

⁽¹⁾ Miriam, Hoexter, « taxation des corporations professionnelles d'Alger a l'époque turque », in R.O.M.M, n° 31, 1981, pp : 20-21 .

⁽²⁾ حنيفي، هلايلي، « الثورات الشعبية في الجزائر»، المرجع السابق، ص 195.

الرعية⁽¹⁾، وبالإضافة إلى دورها العسكري على مستوى البايك ؛ كان لها دور سياسي من خلال القادة وأعوانهم فالقائد يقوم بإدارة المدينة وعرف باسم الحاكم وهكذا كان هناك حاكم تلمسان ومستغانم.

ج/ الاستقرائية الدينية:

ان خصوصية بايلك الغرب الجزائري المتمثلة في الوجود الاسباني جعلت هذه الفئة تلعب دورا هاما وتحتل مكانة معتبرة ضمن هذا الاطار، حيث وقفت الى جانب الفئة المخزنية كل من الباي محمد بكداش والباي محمد الكبير اثناء محاربتهم للوجود الاسباني في الفتح الاول والثاني فقدم " الطلبة" من مازونة وغليزان ومجاجة وتموشنت وتلمسان ومعسكر ومستغانم والجنوب الغربي الى وهران للانضمام للجيش العثماني ؛ وشكل "جبل المائدة" و"جبل مولى عبد القادر" حضورا روحيا وابداعيا وصوفيا وشعبيا فقد كانا مقصدا للزهاد والمتصوفة كما كانت كهوفها تصدح بقراءة القرآن الكريم وصحيح البخاري⁽²⁾.

لكن بزوال الخطر المشترك الذي كان يحرك الفئات المخزنية والدينية جعل التحالف يضعف ويتلاشى وعمل هذا الوضع الجديد على تداخل وتضارب المصالح بين الفئة المخزنية والفئة الدينية ودخلتا في صراع نتيجة اختلاف المصالح⁽³⁾.

لقد كان للطبقة الاستقرائية بمختلف فئاتها ممتلكات شملت المحلات التجارية والحمامات، وامتدت حتى خارج بايلك الغرب ونشير هنا الى ممتلكات الباي محمد الكبير وعائلته في كل من البلدية ومليانة، أما على مستوى البايك ف 80 % من اصحاب هذه الممتلكات سواء داخل المدن أو في الأرياف ينتمون الى عائلات البايات وحاشيتهم واصحاب الالقاب الادارية مثل الوكيل، الخوجة، القائد، الشواش ونسبة ضئيلة ضمن هذه العينة تمثل العائلات الدينية مثل عائلة السنوسي وابن عبد الله في مستغانم⁽⁴⁾.

/ الطبقة البرجوازية الحضرية:

لقد لعبت البرجوازية الحضرية دورا هاما في مدن بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر؛ وكانت تضم فئتين؛ فالفئة الأولى مشكلة من العلماء والإداريين وكانت بمثابة الجهاز الإداري والتعليمي ، وكان دورها يتجلى في

(1) Jean claude,Vatin, l'Algérie politique histoire et societe,armand colin ,paris ;1974,p :99.

* دفن الطلبة بالسانية في الطريق نحو مسرغين في المكان المسمى "مقام سيدي ثابت" وهو من اعلام القراءة المعروفين وساهم في التحرير الأول لوهراة 1708 الى جانب بن توزينت الذي يعد من علماء القراءات.

(2) عبد الرحمن، الجامعي الفاسي، مدينة وهران الرباط والتحرير من خلال شرح ارجوزة الحفاوي التلمساني (تحقيق: العربي بوعمامة، حمادو بن عمر)، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر ، 2015، ص 04.

(3) Pierre,Boyer, « contribution a l'étude de la politique religieuse des turcs dans la regence d'alger du 16 au 19 Siecles »,in R.O.M.M, n°01,1966, p :37.

(4) Marcel,Emerit,« la situation économique de la régence d'alger en 1830»,in I.H ,n°2, 14 annee,1952,p :169.

الوساطة بين السلطة وباقي سكان المدينة أما الفئة الثانية كونها التجار والحرفيون وهم القوة الضاربة للنشاط الاقتصادي الحضري⁽¹⁾، ضف الى ذلك سيطرتها على المناطق الزراعية خارج القطاع الحضري، وما يلفت الانتباه في هذه الطبقة هو مشاركة رياس البحر في الملكية العقارية الحضرية حيث وظفوا أموالهم في شراء الأراضي بسبب ندرة وتراجع مداخيل البحر خلال القرن الثامن عشر وتحويل الأثر من الاعتماد عليه الى الاعتماد على موارد الداخل وخاصة الاستغلال الضريبي لقبائل الرعية، ونحاول أن نتعرض لأهم فئاتها على النحو الآتي:

ا/ العلماء والإداريون:

لقد مثلت فئة العلماء فئة منغلقة على نفسها تدافع عن امتيازاتها، إضافة إلى ذلك فهم يحتكرون حق المعرفة خاصة في المهن التي تسمح بذلك كالتدريس والتوثيق والتي أصبحت بالنسبة لهم تقريبا وراثية أي أن احتكار المعرفة أصبح مدعما بعلاقات القرى بين العلماء وهذا ما سيؤدي الى انتشار ما عرف بـ "البيوتات العلمية" التي شكلت في بعض الأحيان تحالفات مع الفئة الحاكمة والبرجوازية التجارية والحرفية⁽²⁾، ويكفي هنا أن نشير إلى عهد الباي محمد الكبير الذي خص العلماء بالانتفاع من محاصيل الاحباس وذلك تشجيعا منه للحركة العلمية؛ ويذكر بن سحنون الراشدي في هذا الصدد: ".....ومن أعظم مآثره- اي محمد الكبير- انه رتب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الاحباس بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء....."⁽³⁾، ومن جهة ثانية كان لفئة العلماء علاقات مصالح بالفئات الثرية في المدينة يعملون على الدفاع عنها ضد السلطة في حالة الاستغلال الضريبي.

أما عن المهام الإدارية فقد كانت تسند للحضر والكراغلة مثل مهمة قايد السوق وقايد الباب المكلف بجمع حق الجمرك والبراح المكلف بالإعلان عن قرارات الباي في الأسواق والأزقة وقايد الدار.

ب/ فئة التجار والحرفيين:

لقد شكلت فئة التجار والحرفيين القاعدة الأساسية للنشاط الاقتصادي في مدن بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، وتقاسم الدور فيها كل من الحضر والأندلسيين والكراغلة واليهود فصناعة الصوف والقطن والطرز والصناعة الفخارية إضافة إلى صناعات أخرى مثل الجلود والأحذية والصناعة الخشبية كانت من اختصاص الحضر والأندلسيين أما اليهود فقد ساهموا في تطوير صناعة المعادن الثمينة.

(1) Fredj Stanbouli, et Zghal (A), « la vie urbaine dans le maghreb precoloniale » in A.A.N ,n°11,1972,p :212.

(2) Fredj Stanbouli, et Zghal (A), op.cit,p :205.

(3) ابن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 68.

كانت فئة التجار والحرفيين مهيكلة على شكل وحدات حسب الحرف مثل الحدادين والعطارين والتجارين او حسب العامل الاثني مثل اليهود والحضر والمزابيين ضف إلى ذلك الانكشاريون ورياس البحر الذين اشتغلوا في التجارة لان هذا النمط بدا لهم أكثر استقرارا وربحاً؛ ومما يلاحظ كذلك في هذه الفئة تقدم النشاطات التجارية على النشاطات الحرفية فالتاجر يحتل مرتبة عالية مقارنة مع الحرفي في سلم الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية كما أن التجار لم يطمحوا إلى المناصب السياسية وركزوا اهتمامهم لشراء الممتلكات العقارية وخاصة في ريف بايلك الغرب وكانت هذه الظاهرة قوية الوجود في تلمسان⁽¹⁾.

3- الفئة السفلى أو العامة:

تشكلت هذه الطبقة من بقية سكان المدن من حضر وكراغلة وأندلسيين ويهود ذوي المستوى الاقتصادي البسيط إضافة إلى الفئات التي توافدت على مدن بايلك الغرب في فترات تاريخية معينة إما لغرض الإقامة النهائية أو الإقامة لفترة محددة قصد البحث عن العمل⁽²⁾.

لقد تواجد في الطبقة العامة ثلاثة شرائح شعبية: شريحة غير مستقرة وشريحة مستقرة والشريحة الثالثة هي من الحضر أو ماكانت تعرف بـ "عامة المدينة"، إضافة إلى ذلك عرفت مدن البايك فئة متنقلة من مدينة إلى أخرى بحثا عن العمل حيث كانت تعيش ظروفًا رديئة جدا، وعادة ما تخصصت فئات الطبقة العامة في ممارسة النشاطات واحتراف المهن، فالحضر يمارسون نشاطهم الحرفي في وحدات إنتاجية منظمة حيث يوجد المعلم والمتعلم بينما الدخلاء يزاولون نشاطاتهم البسيطة في المنازل أو المحلات العمومية.

كما كان السود بالإضافة إلى ممارستهم المهن البسيطة؛ يتخصصون في البناء وقد عرفت تلمسان نسبة هامة منهم حيث قدموا من منطقة توات والسودان، وكان امتلاكهم عادة يقتصر على الأسر الراقية حيث يتولون العمل في بساتين وحدائق هذه الفئات أما نساء العبيد تقمن بالأعمال داخل المنازل وقد توسعت هذه العادة بين الأسر التلمسانية البرجوازية⁽³⁾، إضافة إلى المزابيين وان كان البعض من هذه العناصر تجار أثرياء فان معظمهم اشتغل بالمطاحن والمخابز والحمامات إضافة إلى العمل في بعض المحلات التجارية.

(1) Andre, Raymond, grandes villes arabes a l'époque ottomane, sindbad, paris, 1985, p88.

(2) Ibid, p:99 .

(3) أندري برنيان، أندري نوشي، ايف لاکوست، المرجع السابق، ص 203.

لقد كانت الطبقة العامة بمختلف مستوياتها لا تمتلك مصادر الثروة كالأُملاك العقارية أو المصانع وإنما كانت تعيش من مداخيل الخدمات التي كانت تقدمها في المجالات التجارية أو الحرفية أو في ورشات البناء والمصانع العمومية.

ب/ في الريف: لقد كان سكان الريف في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر هم المتفوقون عددا من اجمالي السكان ، وكانت درجة الرخاء تقاس حسب الفارق في البناء الفلاحي والطبقي⁽¹⁾، فكان سكان الجبال الذين يعيشون بالإنتاج الفلاحي وتربية الماشية ويمارسون بعض الصناعات التقليدية مثل صناعة الخيوط النباتية في منطقة بني سنوس بتلمسان والأسلحة والحزف في منطقة مسيردة بجبال ترارة والزيوت والأصبغ والزراي التي تصنعها النسوة خاصة في قلعة بني راشد.

أما عن سكان الريف فيجتمعون في القرى او ماكانت تعرف بـ "الخروبة"، حيث عادة ماكان نوع المسكن كمؤشر لقياس درجة الثراء في الريف ؛ فالمساكن التي تبني من الآجر ينتمي أصحابها إلى الفئة الثرية بينما المساكن التي تبني من الحجارة وذات السقف المصنوع من التبن والطين ينتمي أصحابها إلى الطبقة الفقيرة، ومن اجل استنزاف الاثراك لموارد الريف الاقتصادية فقد شجعوا على ظهور عدة طبقات اجتماعية فيه تمثلت فيما يلي:

1/ الارستقراطية الريفية:

تشكلت الطبقة الارستقراطية الريفية من قبائل المخزن بمختلف أنواعها؛ وقد مثلت الجهاز العسكري في ريف بايلك الغرب وتمتعت بامتيازات هامة نتيجة لدورها الاقتصادي وراثتها ودورها في تسيير شؤون الريف وقد تشكلت من الفئات الآتية:

ا/فئة العشائر المخزنية⁽²⁾:

تعتبر نموذجا للإقطاع الزراعي الريفي الجزائري أثناء الفترة العثمانية؛ حيث ان أراضيها أصبغت عليها صفة الإقطاعية وذلك في كيفية استغلالها وطريقة حيازتها ونوع الخدمات والنتائج المترتبة عليها؛ وكان لها تأثير ملموس على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان ريف بايلك الغرب الجزائري.

(1) أندري برنيان، أندري نوشي، ايف لاکوست، المرجع السابق ، ص 208.(1)

(2) ناصر الدين ، سعيدوني، «وضعيات عشائر المخزن.....»، المرجع السابق، ص 69.

ومما يلاحظ ان بايات الغرب الجزائري وبسبب تراجع مداخيل البحر خلال القرن 18 وتحت الحاجة الملحة أصبحوا يعترفون بحق ملكية عشائر المخزن للأراضي التي يقيمون عليها ضف إلى ذلك إصدار صكوك التملك التي كانت تحمل عند إصدارها طوابع القضاة الكبار للحواضر الرئيسية كتلمسان ومازونة ومعسكر⁽¹⁾. وقد نتج عن هذا التطور في نظام ملكية العشائر المخزنية للأراضي الزراعية أن اثر على الكثافة السكانية للأرياف حيث أن حيازة هذه الفئة على الأراضي السهلية الخصبة دفع بسكان الأرياف إلى الهجرة إلى المناطق الجبلية وهذا ما اثر على تراجع الإنتاج الزراعي ، وبالتالي فعلاقة العشائر المخزنية بسكان الأرياف كانت قائمة على الخوف والاعتداء والقوة وليس على الإقناع والمصلحة المتبادلة⁽²⁾.

ب/ فئة الشيوخ والقياد:

تعتبر الوجه الثاني للإقطاع المحلي الذي مارسه العشائر المخزنية في ريف بايلك الغرب الجزائري، وتحتل مكان الوساطة بين هذه الأخيرة والطبقة الحاكمة في البلاد؛ ويختار لهذا المنصب ذوي النسب المرتبط بالسيادة أو الأشراف أو حتى المكانة الدينية، منحهم الحكام العثمانيون أراض مقابل دفع ضريبة مالية عرفت بـ "حقوق التولية" أو حق البرنوس حيث عند الزيارة السنوية لشيوخ القبائل والقياد لمقر البايك ومقابل تثبيتهم في مناصبهم وتحديد عهدتهم؛ يلتزمون على تقديم هذه الحقوق مقابل الحصول على خلعة التولية وتتفاوت حسب ثراء القبيلة من حيث الموارد الاقتصادية والبشرية، على أن يتم تغطية هذه الأموال وذلك بفرض الضرائب على أفراد القبيلة⁽³⁾.

ج/ فئة الأشراف والمرابطين: تمتعوا بسلطة أخلاقية في ريف بايلك الغرب الجزائري إذ يعلمون سكانه الصلاة ومكارم الأخلاق وبالمقابل يجنون الطاعة المطلقة المحفوفة بالاحترام حتى اعتقدت القبائل أن دعائهم مقبول عند الله⁽⁴⁾، وقد خصهم العثمانيون بالأراضي التابعة للأوقاف والاحباس وسبل الخيرات⁽⁵⁾ لأنهم ملقوا الفراغ السياسي والنقابي الذي كان موجودا في المجتمع الريفي ومن هذا المنطلق أسندت له الأمور القضائية عكس المدن التي تسند للقاضي ، هذا إضافة إلى الدور البارز للمرابط في اختيار رئيس القبيلة⁽⁶⁾، وقد تجدد الاهتمام بالرباطات في عهد

(1) Louis, De Badicour, la guerre et le gouvernement de l'algerie, sagnier et bray, paris, 1853, p184.

(2) ناصر الدين ، سعيدوني، «وضعية عشائر المخزن.....»، المرجع السابق، ص 73.

(3) Paul, Bernard, les anciens impôts de l'afrique du nord, alcan, paris, 1925, p :129.

(4) حمدان بن عثمان، خوجة، المصدر السابق، ص 19.

(5) المرجع السابق، ص 71.

(6) Daumas (E), mœurs et coutumes de l'Algérie, sindbad, paris, 1988, p :154.

الباي محمد الكبير حيث جعل التعليم مقتصرًا به وهذا تشجيعًا منه للالتحاق به من أجل الجهاد ضد الأسبان والتضييق عليهم، ضف إلى ذلك حث الرعية للارتحال إلى الرباط حتى تسقط عنهم المطالب المخزنية⁽¹⁾.

2/ الفئة السفلى أو العامة:

تشكلت من المزارعون والرعاة إضافة إلى البدو الرحل وهم الأغلبية والقوة الاقتصادية المغلوبة على أمرها، فإما يستخدمون في أعمال السخرة أو الحماسة وإما يخضعون مباشرة لمطالب المخزن والمتمثلة في دفع الضرائب إجباريًا وفي المقابل لا يقف معهم المخزن إذا أصابتهم كارثة طبيعية كالفيضانات وقلة الأمطار والأوبئة⁽²⁾.

كما كان لبعض أفراد هذه الطبقة من استغلال بعض الأراضي مقابل تقديم كراء عنها للبايلك مثل عزل الحماسة وعزل جبيري التي يعمل بها الفلاحون مقابل 12 صاعًا من القمح و 12 صاعًا أخرى من الشعير ونفس الشيء بالنسبة لعزل الغراب الذي ينتفع به الفلاحون إذا تعهدوا برعاية وتربية مواشي البايلك مع تقديم عشر الإنتاج وبعض الضرائب العينية⁽³⁾. وهذا ما أدى إلى نفور الفرد الجزائري عن الأرض وأصبح موقفه سلبيًا لا يستجيب بسهولة لأي عمل جماعي وهم الوحيد انتظار وتوقع الحملات الانتقامية لفرسان المخزن ونهب الثروات ومصادرة الأراضي.

3/ **الوضع الصحي:** إن صحة السكان لها تأثير كبير على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فالشعب الذي يستطيع أن يؤمن نفسه من الأوبئة بإمكانه أن يامن الجوع، فالجزائر وبايلك الغرب خاصة قد تعرضوا لأمراض وأوبئة مختلفة أصابت سكانهم مرات متعددة في الفترة التاريخية التي ندرسها، وأحدثت خسائر تكاد تكون خيالية من كثرة هولها وارتفاع عدد الضحايا؛ وحتى العلوم كانت لم تبلغ درجة كبيرة من التطور بسبب لجوء بعض المتعلمين من الشيوخ والأولياء على نشر الخرافات في الأوساط الشعبية وترسيخها في نفوس الجزائريين⁽⁴⁾.

لقد أشار الطبيب الرحالة "شاو" أن الكتب العلمية التي كان يعتمد عليها الأطباء الجزائريون لا تتجاوز كتاب ديسكورديس⁽⁵⁾، في حين يذكر بربروجر: "... أن الكتاب الوحيد المستعمل آنذاك هو تذكرة كتاب تذكرة داود الأنطاكي وكشف الرموز لعبد الرزاق بن حمادوش الذي كان يعمل في المعارف الصيدلية....."⁽⁶⁾، بينما يشير

(1) المهدي، البوعبدلي، «الرباط والفداء.....»، المرجع السابق، ص 28.

(2) عبد المالك، خلف التميمي، المرجع السابق، ص 117.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، «وضعية عشائر المخزن.....»، المرجع السابق، ص 71.

(4) محمد، غالم، «ظاهرة الزلزال في الاسطوغرافيا الجزائرية التقليدية بين الذاكرة والتاريخ» مجلة انسانيات، العدد 03، 1998، ص 48.

(5) Thomas, Shaw, op. cit, p :80.

(6) Andrian, Berbrugger, d'un mémoire sur la peste en algerie depuis 1552 jusqu'en 1819 exploration scientifique de L'algerie, tome 2, impremerie royale, paris, 1847, pp :245-246.

أبو القاسم سعد الله بان أمهات الكتب في ميدان الطب كانت متوفرة مثل كتاب ابن رشد وابن سينا وابن البيطار لكن لم يكن هناك اطباء بارزون كما كان هناك فقهاء ومتصوفة بارزون⁽¹⁾.

إن اهتمام الجزائريين بالعلوم الطبية لم يصل إلى حد ممارسة وامتهان مهنة التطبيب فنشاطهم في هذا الميدان لم يتعدى التأليف وفي هذا المجال نذكر ابراهيم بن احمد الثغري التلمساني الذي ألف معجما في الطب ، وفيه اطباء من كانوا يجمعون بين العلوم الشرعية والطب وجعلوا من معرفة الطب نصف العلم كمحمد بن يوسف السنوسي معتمدين في ذلك على الحديث الشريف: " العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان"⁽²⁾.

لقد كانت الجزائر خلال العهد العثماني عرضة لأمراض مختلفة ولعل أخطرها داء الطاعون الذي كان يظهر كل خمس عشرة سنة أو خمس وعشرين سنة⁽³⁾، ويمكن اعتبار كل التجمعات ووسائل الاتصال عوامل مساعدة على انتشار هذا الداء بالجزائر في العهد العثماني واهمها⁽⁴⁾:

- 1- موسم الحج: حيث يجتمع عدد كبير من المسلمين في مكان واحد مما يساعد على انتشار العدوى من البيئات الموبوءة في الشرق الاوسط الى الجزائر.
- 2- القوافل التجارية: خاصة عندما تمر بمنطقة مصابة بالطاعون، فيلتحق بها اشخاص مصابين بالطاعون فينقلون العدوى للمسافرين الاخرين.
- 3- الأسواق: التي يلتقي فيها التجار المصابون بالطاعون بغيرهم فينتشر هذا الوباء عن طريق تبادل البضائع بالاضافة الى احتكاك المصابين بمجموعات سكانية سليمة من المرض فينتشر منها المرض في الريف والمدن، ولعل هذا ما جعل الوباء يغلب عليه الطابع الريفي حيث كانت العدوى في الغالب تنقل من القرى الى الحواضر ومن الحواضر الى البوادي.
- 4- الفرق العسكرية: عندما تنتقل من منطقة إلى أخرى لإخضاع السكان او استخلاص الضرائب.
- 5- المراسلات: حيث غالبا ماكان يتسبب لمس الرسائل المغلقة بالستان او قماش الاطلس في انتشار العدوى كما كانت العطور التي ترش بها الرسائل والأغلفة التي تلف بها سببا اساسيا في العدوي في بعض الاحيان.
- 6- الملابس والغطاء: حيث كانت الجلود المصدرة من الجزائر الى فالنسيا عاملا في نقل العدوى، واستعمال لباس الموتى دون تطهيرها حيث تبقى البراغيث حية في الملابس وتساهم في نشر العدوى.

(1) ابو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 111.

(2) نفسه، ص 113.

(3)

Venture de ,Paradis,op.cit,pp : 154-155.

(4) فلة موساوي، الفشاعي، المرجع السابق، ص ص 144 - 145.

لقد تميز القرن 16 في الجزائر بكونه فترة تأصل وتجذر لمرض الطاعون في مناطق مختلفة كجهات وهران وتلمسان لكن تميز بتباطؤ انتشاره وذلك نظرا لرداءة طرق المواصلات التي كانت لا تشجع على الانتقال من منطقة إلى أخرى، بينما تميز بتواتره التكراري خلال القرن 17 إذ انتشر باستمرار مثيرة للدهشة وكانت فترات انتشاره متقاربة، وما إن حل القرن 18 حتى كان أكثر حدة وشدة وبلغ مجموع السنوات التي اعتبرت موبوءة خلال هذا القرن 63 سنة⁽¹⁾.

لقد أصاب داء الطاعون سنة 1787 معظم أرجاء الجزائر وأودى بحياة خمس السكان واستمر يفتك بهم في فترات متقطعة⁽²⁾، أما الزياني الذي صادف هذه الكارثة أثناء زيارته لبايلك الغرب كتب عنها قائلا: "..... ثم حدث الطاعون الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبله قط فمات به جل الناس بدوا وحضرا وآل الأمر فيه إلى انتقال أهل الحضرة والباي بأهله ومخزنيه إلى البدو....."⁽³⁾، واطلق على هذه السنة في بايلك الغرب تسمية "عام حبوبة الامجاد" نسبة إلى عائلة الأجداد الكثيرة العدد والثرية والأكثر احتراماً في المنطقة التي أهلكتها الطاعون⁽⁴⁾.

وقد سجلت سنتي 1793-1794 مجاعة كبيرة ببائلك الغرب الجزائري، وكان وقعها شديداً على السكان وسميت لدى اهالي المنطقة بـ "عام الشر" ولمواجهتها لجأ الباي محمد الكبير إلى استيراد القمح من البلدان المسيحية وبيعه دون هامش ربح في أسواق وهران وتوزيعه مجاناً على الاهالي وإجبار القبائل التي تمارس الزراعة على دفع العشور⁽⁵⁾.

لقد أعقب مجاعة سنتي 1739-1794 ظهور وباء الطاعون وعرف لدى اهالي المنطقة بـ "حبوبة عثمان" لان احد أبناء الباي محمد الكبير توفي به⁽⁶⁾، وكان من نتائج هذا الوباء ان اضطر هذا الاخير الى مغادرة مدينة وهران والإقامة بسهل ملانة قرابة ثلاثة أشهر للاحتماء من اثار الطاعون وفي هذا المضمار يقول الزياني: ".....وظغنا وظغون الأعراب البادية زمنا طويلا وقد جعل الباي خيمة حمراء....."⁽⁷⁾، وخلال الفترة الممتدة من 1794 الى 1797 ساهم الحجيج في نقل وباء الطاعون إلى الجزائر وبائلك الغرب على وجه الخصوص وسمي بطاعون مكة او الطاعون المينائي.

(1) فلة موساوي، القشاعي، المرجع السابق، صص 138-141.

(2) عائشة، غطاس، «الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة الثقافة، العدد 76، 1983، ص 125.

(3) محمد بن يوسف، الزياني، المصدر السابق، ص 205.

(4)

(5)

(6) محمد، غالم، المرجع السابق، ص 50.

(7) المصدر السابق، ص 205.

وقد تكررت المجاعات والأوبئة في بايلك الغرب الجزائري بين سنوات 1798- 1825 ففي عهد الباي عثمان بن محمد الكبير اصاب المنطقة طاعون جارف كانت بدايته من المغرب الأقصى وكانت نتيجته أن مات به جل الناس وكثير من علماء المنطقة كالشيخ عبد القادر بن زرقة وأخيه الهاشمي بن زرقة وابن عمهم مصطفى بن عبد الله الدحاوي ، كما ساهمت هذه الوضعية في انتشار الجراد الذي افسد الزرع والثمار فسادا عظيما على حد تعبير الزياتي⁽¹⁾.

وبالإضافة إلى وباء الطاعون فقد كان بايلك الغرب عرضة لأمراض أخرى من بينها " الجدري " وحمى المستنقعات او ما تعرف بـ " التيفوس " وكان الاهالي القاطنون بجوار المستنقعات الأكثر تعرضا لمثل هذه الاوبئة، وقد أدى جهل السكان بالوسائل الوقائية وانعدام الرعاية الصحية إلى انتشار مثل هذه الأوبئة في حين ان الحكام العثمانيون لم يولوا أية عناية لهذا الجانب مما دفع بالسكان إلى معالجة أنفسهم بوسائلهم الخاصة أو الالتجاء إلى الشيوخ والمشعوذين⁽²⁾، في حين كانت الدول المسيحية تعنى برعاياها الذين وقعوا في الأسر بالجزائر وذلك بإنشاء عدة مستشفيات لهم وبالتالي فالمرافق الصحية كانت من نصيب المنظمات الدينية المسيحية وفي صالح الأسرى المسيحيين مع ماكانت تتصف به تلك المؤسسات من تواضع في السعة ومحدودية في الإمكانيات⁽³⁾ ، وهذا ماجعل حمدان خوجة يعيب على المسلمين وعدم اقتدائهم بالاوروبيون لدفع المضرة خاصة بعدما سمحت له الظروف بزيارة أوروبا التي طبقت الحجز الصحي⁽⁴⁾.

ثانيا: الحركة التعليمية في بايلك الغرب:

إن التاريخ الفكري والثقافي لأية امة، هو المقياس الأساسي والأداة الفعالة لوزن وقياس مدى نهضتها ورفيها وتقدمها ومدى مشاركتها في تشييد الحضارة الإنسانية المحلية والعالمية؛ومن هذا المنطلق فقد شكلت المؤسسات الثقافية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 نقطة التقاء وتبادل الأفكار بين الأفراد والجماعات ومجالا لتوسيع العلاقات الاجتماعية بين مختلف الفئات.

لقد ساهمت عوامل مختلفة داخلية وخارجية في اثناء المشهد الثقافي لبايلك الغرب الجزائري؛ اما عن العوامل الخارجية فتتمثل في العامل التاريخي حيث ان الماضي الثقافي لمدينة تلمسان وتراث مدينة ندرومة ومازونة ومستغانم

(1) محمد بن يوسف، الزياتي، المصدر السابق، ص 207.

(2) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 115.

(3) عائشة، غطاس، المرجع السابق، ص 128.

(4) حمدان، خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء (تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،

الجزائر، 1968، ص ص 45-46.

ومعسكر يشرح لنا الأدوار التي قامت بها هذه المراكز في التأثير والتأثر وذلك نتيجة الهجرات التي عرفتها المنطقة مستفيدة من تراث الأندلس حيث آوى إليها كثيرا من المهاجرين الأندلسيين⁽¹⁾ ومتأثرة بما كان سائدا من نشاط ثقافي في المغرب الأقصى.

إن تأثير الهجرات الخارجية لم ينعكس فقط على حواضر بايلك الغرب الجزائري بل استفادت منه حتى المناطق الريفية ويتجلى ذلك في انتعاش النشاط الزراعي بإدخال طرق سقي جديدة ومعارف فلاحية ومنتجات حديثة ونشير هنا إلى تمركز قبيلة بني غدو الأندلسية على ضفاف وادي مينة واهتمامها بزراعة القطن والأرز خاصة حتى أضحى تسمى هذه المنطقة بـ "منطقة الروازة"⁽²⁾.

لقد تأثرت مدارس حواضر بايلك الغرب الجزائري بتواجد المعاهد والمراكز الثقافية على مستوى العالم الإسلامي كجامع الأزهر بمصر والزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب الأقصى وذلك عن طريق احتكاك نخبتها بحريجي هذه المعاهد عبر رحلات الحج أو إرسال البعثات العلمية؛ فالباي محمد الكبير كان يمد طلبة العلم الملتحقين بالأزهر ويبحث لهم سنويا إعانات مادية لأنه كان يدرك قيمة المثقفين في المجتمع ولم تنسه مهامه الشائكة الاشتغال بالعلم على حد تعبير الراشدي⁽³⁾.

وبالإضافة إلى العوامل الخارجية ، فقد ساهمت العوامل الداخلية والمحلية خاصة في إثراء الحياة الثقافية في بايلك الغرب الجزائري نتيجة الاستقرار السياسي الذي عرفه البايك خاصة في عهد الباي مصطفى بوشلاغم والباي محمد الكبير الذي خصه الراشدي بهذا الوصف قائلا: ".....ولحبة هذا الأمير للعلم والأدب كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ويستكثر منها.....وكتيرا ما يأمر بقراءتها بحضرته في مجلس حكمه وإذا انفض الناس انفرد بها.....ولذلك تجده مستحضرا لأكثر معانيها.....فلا تمر قضية ولا حديث مشهور ولا شيء من أيام العرب وأخبارها وسير ملوكها وأنباء حروبها وامثالها وحكمها إلا وله به خبرة..."⁽⁴⁾.

ان الاعتناء الشخصي للباي محمد الكبير بالعلم دفعه للقيام بمجموعة من الاصلاحات للنهوض بالجانب الثقافي حيث شجع التأليف والمؤلفين في مختلف العلوم وجمع الكتب واقتنائها؛ وشيد انجازات حضارية ساهمت في دفع حركة التعليم والثقافة؛ ففي معسكر عاصمة البايك قام بتوسيع قاعات صلاة مسجد السوق واعاد تجديد

(1) احمد بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 58.

(2) Xavier, Yacono, la colonisation des plaines du chelif, tome 2, imbert, alger, 1955, p : 194.

(3) احمد بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 69 - 70.

(4) نفسه، ص 70.

وتوسيع المسجد العتيق وانشاء الاحواض لجلب المياه اليه كما شيد المدرسة المحمدية التي سميت نسبة اليه⁽¹⁾، كما امتدت مشاريعه الثقافية الى وهران العاصمة الثانية للبايلك ومن اهم مانجزه في هذا المجال مسجد الباشا، اضافة الى تلمسان التي استفادت من إصلاحاته حيث رمم المدرستين اللتان كان لهما باع طويل في العلم والمعرفة وهما مدرسة المسجد الكبير ومدرسة أولاد الإمام وحبس لهما احباس للاستفادة من مداخيلها⁽²⁾، كما كانت له منشآت ثقافية حتى خارج البايك مثل البلدة ومليانة، ونتيجة ذلك على حد تعبير الراشدي: "..... اتسع حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة وكثر طلبة العلم وتشوق كل احد للتدريس واشتد الحرص على التعليم من بعد حتى كاد يترك الاشتغال بالتجارة لقلّة جدواها....."⁽³⁾.

1-تنظيم التعليم:

كانت المؤسسات التعليمية بالجزائر خلال العهد العثماني منتشرة بكامل البلاد؛ الأمر الذي أدهش الفرنسيين عند احتلالهم للجزائر فالجنرال "دوماس" كتب تقريراً ومما جاء فيه: "..... إن التعليم الابتدائي في الجزائر خلال العهد العثماني كان منتشرًا أكثر مما يتصوره الإنسان؛ فاتصالاتنا بالأهالي في الأقاليم الثلاثة أظهرت بان نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة والكتابة..."⁽⁴⁾، وقد علق على ذلك الباحثة الفرنسية "ايفون توران" بقولها: "..... ولكن إن لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة فإنهم جميعاً قد مروا بالمدرسة الابتدائية، وكانوا يستطيعون قراءة القرآن في صلواتهم؛ فكل القبائل وكل الأحياء في المدينة كان لها قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر مدرسة ومعلم....."⁽⁵⁾.

1/الأطوار والمناهج: كان التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني في جميع مستوياته يعتمد على قاعدة دينية مؤسسة على القرآن الكريم وهدفه الرئيسي ليس نشر ثقافة عامة أو التحضير على المدى البعيد للمهن والحرف وإنما نقل تعليم شرعي وأخلاقي وبالتالي ستكون رابطة أكيدة بين الدين والتعليم في الوسائل⁽⁶⁾.

1/التعليم الابتدائي: كان يشرف عليه المعلم أو المؤدب أو الدرّار يختارون من طرف السكان باعتبارهم يعرفون القراءة والكتابة للقيام بمهام التعليم الابتدائي في الكتاتيب التي صنفت إلى صنفين بدوي وحضري؛ فأما البدوي

(1) Andre,Gorguos, op.cit,p :408.

(2) Ibid,p :410 .

(3) المصدر السابق، ص 68.

(4) العيد، مسعود، « حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة سرتا، العدد 03، 1980، ص 62.

(5) Yvonne,Turin,affrontements culturels dans l'algerie coloniale ecoles, medecines, religion(1830-1880),

Maspero,paris,1971,p :127.

(6) Ibid,p :116 .

فيسمى " الشريعة" وهو عبارة عن خيمة تقع وسط الحي البدوي مخصصة للتعليم، وأما الحضري فيسمى " المسيد" أي المكتب⁽¹⁾، وعادة كانت تقع بجانب المساجد أو الزوايا أو بجانب أضرحة المرابطين⁽²⁾.

ويلتحق الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 06 إلى 10 سنوات بالكتاب حيث يتعلمون القراءة والكتابة، ويرتكز منهاج التعليم فيه على حفظ كتاب الله، أما طريقة التعليم المتداولة فلا تخرج عن نطاق تدريب الذاكرة على الحفظ وشحذ حاسة السمع والبصر والتدرب على الخط والزخرفة، أما الوسائل فهي بسيطة تتمثل في "الدواة" المصنوعة من الصوف بعد حرقها وتعتبر بمثابة حبر، وأقلام القصب واللوحه للكتابة والصلصال لحوها⁽³⁾. وكان عدد من يتعلم من الصبيان في كل كتاب يتراوح ما بين 15 الى 30 صبيا.

وبعد أن يقضي الصبيان ثلاثة أو أربعة سنوات في الكتاب تنصرف الغالبية منهم لتعلم الحرف المهنية كما أن بعض التلاميذ قد يدخلون ميدان التجارة أو الزراعة وقد ينخرطون في الجيش أما الذين يرغبون في مواصلة دراستهم فيبقون في الكتاب سنين أخرى حيث يتولى العلماء والأئمة والمفتين والقضاة تدريسهم علم التوحيد والفقه والنحو؛ والسبب في هذا الانقطاع الاضطراري للراغبين في مواصلة التعلم هو عدم وجود سلم تربوي ينتقل بمقتضاه التلميذ من مرحلة إلى أخرى، ولم يكن يمارس على المؤدب في الكتاب أي رقابة رسمية من طرف الدولة ولكن كان أولياء التلاميذ يستطيعون عزله إذا أرادوا لأنه كان يتلقى أجره من عندهم في شكل مواد غذائية وهدايا خاصة عندما ينجح التلميذ في حفظ القرآن الكريم.

2/التعليم الثانوي:

كان الطلبة بعد انتهاء مرحلة التعليم الابتدائي يلتحقون بالمساجد أو المدارس التابعة للاوقاف لمتابعة دراستهم المتوسطة والثانوية، ومن عادة الطلبة أنهم لا يدرسون في مدنها أو جهاتهم بل يبتعدون عن مواطنهم فيقصدون المدارس والزوايا التي اشتهر فيها بعض المدرسين أو اشتهرت بأنها أخرجت عددا من العلماء⁽⁴⁾، وقد شبه الكتاب الأوروبيون هذه الزوايا بجامعة أوروبا في العصور الوسطى⁽⁵⁾.

لقد كانت شهرة المدرس في المدرسة أو المسجد أو الزاوية سببا في اقبال الطلاب عليه من كل حدب وصوب، ذلك لان الطلاب كانوا يتخيرون الأستاذ المبرز المشهود له بالبراعة والتضلع كما كانوا هم المقياس لكفاءة الأستاذ

(1) العيد، مسعود، المرجع السابق، ص 62.

(2)

(3) ابو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، المرجع السابق، ص 339-340.

(4) نفسه، ص 343.

(5) المرجع السابق، ص 63.

وأهليته لمنصب التدريس، وقد يشتهر عدة مدرسون في وقت واحد ويتنافسون فيما بينهم ففتتح عن ذلك حركة تعليمية مفيدة؛ فقد شهدت مدرسة مازونة التي تأسست في مطلع القرن السادس عشر علي يد الشيخ محمد بن شارف الاندلسي توافدا لطلاب النواحي الغربية ولا سيما من ندرومة ومستغانم وتلمسان ووهران بسبب شهرة شيوخها مثل محمد بن علي بن الشريف والعربي بن نفلة واحمد بن افغول والقاضي الصادق الحميسي ومحمد بن علي ابو طالب وابنه سيدي هني ومحمد بلقندوز⁽¹⁾.

ونظرا للمكانة العلمية التي كانت تحظى بها مدرسة مازونة فقد كان يقصدها فقط الطلبة المتفوقون عن اقرانهم في زوايا ومدارس بلدانهم كما هو الشأن عند ابي راس الناصري المعسكري ومحمد بن السنوسي الذي تعتبر حركته من اهم الحركات الاصلاحية في بلاد المغرب و افريقيا جنوب الصحراء؛ ولم تكن هذه المدرسة بالجانب الثقافي والعلمي بل ساهمت في اعلان الجهاد ضد الاسبان في وهران والمرسى الكبير حيث شارك الشيخ ابو طالب وابنه هني في رباط وهران واستشهاد سيدي هني في قلب المعركة ونقلت جثته الى مازونة مسقط راسه⁽²⁾، كما شهدت معسكر في اواخر القرن 18 حركة نشيطة في مدارسها شارك فيها ابو راس الناصري وبوجلال والطاهر بن حوا ومحمد بن زرفة ومحمد الشارف⁽³⁾.

ولم يكن نظام الامتحانات معروفا، وانما كان الشائع هو ان يكلف الاستاذ طالبه الذي اخذ قسط كبير من العلوم بمساعدة الطلاب الاخرون على ارتياد الدرس الجديد فيرفع من جهة مستوى بعض العناصر الضعيفة من الطلبة ويتدرب من جهة ثانية على القاء الدروس والتمرس بطرق التدريس على انه حين يختم الدرس يمنحه استاذة اجازة خاصة لتدريس علم معين او مجموعة علوم فضلا على انها تؤهله لتولي وظائف حكومية⁽⁴⁾.

3/التعليم العالي: كان هو الآخر موجودا في بعض المدن الكبرى حيث يواصل التلاميذ تعليمهم في العلوم الدينية المختلفة واهم المدن التي كان يزاول فيها هي تلمسان التي كانت تضم حوالي 600 طالب في الجامع الأعظم وجامع أولاد الإمام ووهران في الجامع الكبير، وكانت ميزة الدروس في التعليم العالي هي الشرح والإملاء حيث يكون لكل مدرس مسمع يقرأ له النص أو جزءا من الكتاب المدروس ثم يأخذ المدرس في شرح المسألة وتوضيحها والاستشهاد لها من المنقول والمعقول؛ وفي هذه الحالة يصبح الطلاب حريصين على ألا تفوتهم شاردة ولا واردة من

(1) Moulay, Belhamissi, op.cit, pp :49-50.

(2) ميلود، ميسوم، «مدرسة مازونة مسيرة علمية تزيد عن ربع قرن» المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 06، 2013 ص 33.

(3) ابو القاسم، سعد الله، المرجع السابق، ص 325.

(4) العبد، مسعود، المرجع السابق، ص 67.

درس شيخهم وبذلك يسهمون بدورهم في حركة التأليف⁽¹⁾، كما زاول الطلبة تعليمهم العالي في الزوايا فبالإضافة إلى وظيفتها كمكان للعبادة ومحلا لإيواء المسافرين وإطعامهم اضطلعت بالوظيفة التعليمية⁽²⁾، حيث يمكن فيه الطالب مدة تتراوح من ثلاث الى ستة سنوات ليحصل على درجة معينة من العلم.

لقد كانت الزوايا منتشرة كثيرا ببائلك الغرب الجزائري وأهمها زاوية القيطنة في وادي الحمام التي كان يديرها محي الدين والد الامير عبد القادر؛ والتي لم يقتصر فيها على تعليم القران الكريم ومختصر خليل الذي كان قاعدة التعليم؛ بل كانت تدرس فيها بعض العلوم كالتفسير والحديث وعلم اللغة، كما كان يوجد زوايا اخرى في كل من ندرومة ومليانة التي اشتهرت بزواياها مثل زاوية سيدي العربي، زاوية أولاد بن شاعة، زاوية محمد بن عيسى وزاوية سيدي محمد بن عودة في سهل مينة⁽³⁾.

وقد كان الطلبة يلجأون الى الخارج لمواصلة تعليمهم الجامعي؛ الى كل من جامع الزيتونة في تونس والقرويين بفاس والازهر بمصر بحثا عن المباراة والمناظرة، فأبي راس الناصري بعد إجازته واعتلائه منبر الراشدية هاجر إلى تونس حيث درس النوازل علي يد الشيخ القاضي سيدي محمد بن قاسم المحجوب وبشان مناظراته العلمية قال: "...ففي تونس اجتمعت بعلمائها...وفي القاهرة لقيت بها كبار العلماء فتناظرنا وتذاكرنا.... وفي فاس احضر العلماء الأعيان وشيخهم حافظ العصر الطيب بن كيران موضوعات المناظرة ولقيت الشيخ محمد بن بنيس وبحثت معه في أمور التفسير...."⁽⁴⁾.

ب/ الإنفاق على مؤسسات التعليم:

لقد كانت المؤسسات التعليمية في بايلك الغرب الجزائري من مدارس وزوايا ومساجد ومكتبات سواء في الحواضر أو في الأرياف وليدة نشاط المؤسسات الخيرية أو المبادرات الفردية ممثلة في عائدات الاحباس وثروات بعض الحكام والأثرياء دون نسيان معاضدة الخزينة لها ماديا ومعنويا⁽⁵⁾.

كانت مداخيل المؤسسات الموقوفة وما يحيط بها من حمامات ومحلات تجارية توظف في دفع رواتب الائمة والحزابين وتشبيد المساكن للطلبة وتستخدم كذلك لتسديد اجور العلماء والقضاة وهذا ما فتح الميدان للتعليم بمختلف مراحلها، فبقدر ماكانت المؤسسات التعليمية هامة ومتعددة بقدر ماارتفعت وتعددت احباسها ونشير إلى

(1) ابو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، المرجع السابق، ص 345.

(2) العيد، مسعود، « المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة سرتا، العدد 10، 1988، ص 05.

(3) Louis, Gardet, les hommes de l'islam approche des mentalités, éditions complexe, bruxelle, 1984, p: 124.

(4) كمال، فيلاي، « هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني»، عدد خاص، افريل 2008، ص 379.

(5) ناصر الدين، سعديوني، النظام المالي للجزائر.....، المرجع السابق، ص 155.

أن مدينة تلمسان عرفت عددا هاما من المساجد كان لها مداخل هامة⁽¹⁾، كما أن المسجد الكبير في مستغانم الذي يقع وسط المدينة كانت له احباس هامة منها محلات تجارية بالسوق الكبير ومخبزتان واحدة تقع جنوب المسجد والثانية على يمينه.

أما في مازونة التي امتلكت مدرسة بلغ صيتها عنان السماء، تذكر الروايات أن الشيخ محمد بن الشارف الأندلسي كان يملك قطعة ارض خارج المدينة مساحتها تقدر بعشرين هكتارا اشتغل فيها طيلة تواجده بالمنطقة وبقيت تشكل مصدر عيشه حتى رأى ضرورة وجود مركز للعلم والتعليم رغم وجود زوايا ومساجد لم تنل طرق تعليمها رضاه؛ فاضطر الى بيع القطعة بثمن قدره ثلاثين دورو كخطوة أولى، لتقع على رقعة متوسطة الحجم داخل المدينة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء مما يعني أنها كانت لثلاثة أشخاص مختلفين فقرر شراءها وسال عن أصحابها فوجدهن نساء فاشتراها منهن مقابل ثلاثة دورو لكل جزء ثم قام بتسوية القطعة وتهيئتها لبناء المدرسة لتلقين العلم والفقهاء لكن بعد معرفة النسوة الثلاث بنوايا الشيخ سعين لإهدائها إياه⁽²⁾، ومن هنا يبرز دور المرأة كمستفيدة ومنشئة للوقف وثروتها ودورها الاجتماعي⁽³⁾، إضافة إلى دور بعض الأسر الثرية التي كانت تتولى الإنفاق على طالب أو اثنين من طلاب الدراسات الدينية العالية.

أما في معسكر فقد قام الباي محمد الكبير بعدة انجازات عمرانية هامة لتدعيم وتنشيط الحركة التعليمية فالحق بها احباسا هامة، حيث حبس على المسجد الكبير خزانة كتب وبني لها بيتا جعل منه مكتبة تابعة للمسجد وانشأ المدرسة المحمدية التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها⁽⁴⁾، كما أصلح مساجد الجمعة فوسع جامع السوق وأضاف له الصفيين المقدمين ورمم الجامع العتيق وجلب له المياه وبني بجانبه خمسة ميضآت للوضوء وحث سكان المدينة دون إكراه على المساهمة بما يملكون عند شروعه في بناء مسجده؛ وفي هذا الشأن يقول الراشدي: ".....ويحسب له من العمل المبرور لأنه كان بينه زمن المسغبة فكان من لم يجد قوتا آجر نفسه للخدمة فيه بما يستعين به على معيشته ومعيشة عياله، ومن له دابة أكرهاها ومن له شيء من مستلزمات البناء لم يبخس عليه، فكان ذلك عند الضعفاء أحسن من الصدقة....."⁽⁵⁾، وأضاف لهذه المؤسسات مخبزة أوقفها لتلبية احتياجات المعلمين وأوقف

(1) كاربخال، مارمول، المصدر السابق، ص 328.

(2) ميلود، ميسوم، المرجع السابق، ص 32.

(3) انظر: ودان، بوغفالة، «أوقاف النساء في مدينة ملبانة من خلال وثائق الأرشيف العثماني»، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة سيدي بلعباس، 2009، ص ص 09-17.

(4) احمد بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 127.

(5) نفسه، ص 127.

حدائق وبساتين لصالحها⁽¹⁾، كما قام ببناء مشاهد الأولياء الصالحين كمشهد الولي محمد بن عودة ومشهد الولي احمد بن يوسف الملياني دفين مليانة⁽²⁾.

أما في وهران بعد فتحها فقد قام الباي محمد الكبير ببناء المسجد الكبير والحق به احباسا مسجلة في شهر رمضان 1210 هـ / مارس 1796 وفيما يلي أهمها⁽³⁾:

حمامات تقع بالقرب من المسجد تحده غربا.

حانوتين يقعان بالقرب من سيدي الطاهر بلحاج احمد.

حانوت يتوسط بين سيدي علي بن عبد القادر وسيدي عبد السلام.

حانوت يتوسط بين الحاج مكّي وسيدي الطاهر بلحاج احمد.

حانوت يتوسط بين سيدي عثمان بن قادة وسيدي مصطفى بن عبد الله بن دحو.

حانوتين يقعان أسفل سيدي الطاهر المشرفي وحانوتين آخريين يقعان بين أربعة حوانيت اليهودي صاو ولد داوود.

حانوتين يقعان مقابل منارة المسجد.

أربعة عشر حانوتا يقعون أسفل حائط المسجد ومنزلين صغيرين يلامسان الحمامات.

كما ساهم الموظفون الكبار في البايك بعدة احباس كالحدايق والبساتين باعتبارهم يملكون ثروات كبيرة في اغلب المدن كعائلة سيدي العربي التي كان لها احباس بحوض الشلف ومستغام ونجد كذلك احباس العائلات الدينية والمرابطية في الأرياف ، الأمر الذي سيجعل منها ذات مستوى عالي بالمقارنة مع بقية سكان الريف في بايلك الغرب ومنافس خطير للفئة المخزنية خاصة بعد زوال الخطر المشترك واسترجاع وهران النهائي من قبضة الاسبان؛ ذلك لكونها تركز على معتقدات تتمسك بها معظم المجموعات السكانية⁽⁴⁾.

2/مراكز العلم ومدارسه: لاتكاد المؤسسات التعليمية في العهد العثماني تخرج عن المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبة والرباطات الدينية، وقد تميزت ببائلك الغرب بتعددتها وانتشارها سواء في المدن أو الأرياف ولم يكن من بين هذه المؤسسات جامعة او معهد عال رغم أن المساجد والزوايا كانت تبث تعليما في المستوى العالي⁽⁵⁾، وسنحاول التعرض إلى توزيع هذه المؤسسات عبر بايلك الغرب الجزائري.

Andre,Gorguos, op.cit,p : 409 .

(1)

(2) المصدر السابق، ص 132.

Henri leon,Fey,op.cit .p :272

(3)

Paul,Pascon,« la situation politique du Haouz»,in henedote,n°11,p :148.

(4)

(5) ابو القاسم ، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، المرجع السابق، ص 227.

1/ المؤسسات التعليمية:

1/ المساجد: كثيرا ما يختلط على الباحث اسم الجامع والمسجد، فالجامع أكبر حجما من المسجد وهو الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة كالجمعة والعيدين وكثيرا ما كان يسمى بجامع الخطبة وبعضها كان يسمى أيضا بالجامع الكبير أو الأعظم بينما المساجد يفصلون بين صغيرها وكبيرها في ماله صومعة وما ليس له صومعة⁽¹⁾.

لقد كانت العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني فلا تكاد تجد قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد، فقد كان المسجد هو ملتقى العباد ومجمع الأعيان وهو قلب القرية في الريف وروح الحيا في المدينة؛ فبالإضافة إلى دورها الديني كانت أماكن لمعالجة مشاكل الناس⁽²⁾ إضافة إلى التحريض على الجهاد ضد العدو حيث عملت على صهر التناقضات الداخلية في تيار الجهاد فلا فرق بين تركي وعربي، كما أن نتائج المعارك كانت تقرا على منابرها⁽³⁾، ومما يلفت الانتباه إلى أن بناء المساجد كان نتيجة المبادرات الفردية لان الدولة لم تولي الاهتمام بها ماعدا بعض المبادرات التي كان يقوم بها بعض الحكام في عملية البناء وحبس الأوقاف لها وغالبا ما كانت هذه المساجد تنسب إلى مؤسسيها من السياسيين والعسكريين والتجار خاصة في الفترات التي كانت تبلغ فيها الغنائم البحرية ذروتها⁽⁴⁾.

والملاحظ حول المساجد في بايلك الغرب الجزائري هو تعددها إلا أن كل مدينة انفردت بجامعها الأعظم ، فقد بلغ عدد المساجد في تلمسان حسب "إيمريت" 50 مسجدا أغلبها صغيرة⁽⁵⁾، لكن هناك من يقدم إحصاء آخر لعدد مساجد المدينة وضواحيها التي بلغت 60 مسجدا⁽⁶⁾ وأهمها الجامع الأعظم الذي يوجد بوسط المدينة إضافة إلى مساجد الأحياء مثل مسجد حي الحضرة ومسجد المشور ومسجد سيدي بومدين ومسجد محمد السنوسي ومسجد ابن زكري وكذلك مسجد اولاد الامام، أما بمعسكر فاهم مساجدها الثلاثة الرئيسية وهي مسجد السوق والمسجد العتيق والمسجد الكبير والمعروف كذلك بجامع العين البيضاء؛ وقد استفادت هذه المساجد كلها من إصلاحات الباي محمد الكبير العمرانية أما مساجد الأحياء فنذكر منها مسجد حي عرقوب إسماعيل.

(1) ابو القاسم ، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، المرجع السابق ، ص 245.

(2) يحي، بو عزيز، «اوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و20»، مجلة الثقافة، العدد 63، 1981، ص 12.

(3) Albert, Devoulx, «notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'alger», in R.A, n°05, 1861, p : 390 .

(4) حسين، مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الى الغزو الفرنسي، ط1، ج3، دار العصر الحديث، بيروت، 1992، ص 351.

(5) Marcel, Emerit, l'Algérie a l'époque d'abd-el- kader, 2 eme edition, edition bouchene, paris ,2002, p :82.

(6) Joseph, Conal, «monographie de l'arrondissement de tlemcen», in B.S.G.A.O , n°09, 1887, p :107.

أما في مازونة فبعد مسجدتها المركزي فقد ضمت أحيائها الأربعة مساجد؛ حيث كل حي كان يضم مسجدا⁽¹⁾، وبلغت مساجد مستغانم 11 مسجدا وأهمها المسجد الكبير الذي يوجد بمركز المدينة بحي البلد على الطريق المؤدي إلى حي تجديد⁽²⁾، أما مدينة ندرومة فقد بلغ عدد مساجدها 12 أهمها المسجد الكبير الذي يوجد بحي التريعة والذي يعود تاريخ تأسيسه إلى عهد المرابطين⁽³⁾.

لكن ورغم وفرة المساجد إلا أن بعضها كان في حالة متدهورة ومنها من لم تكن له أوقاف؛ وقد عبر الورتيلاني عن بعض المساجد في القرن 18 قائلا: "..... فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد احدث بل ولا مهدما قد جدد ولا واهيا قد أصلح....."⁽⁴⁾، لكن مع أواخر القرن الثامن عشر برزت محاولة بعض الحكام للنهوض بأمور المساجد مثل صالح باي في الشرق ومحمد الكبير في الغرب اللذان عملا على صيانتها وحفظ أوقافها.

2/ المدارس: إن جميع الرحالة الأوروبيون الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني انبهروا من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان وقد عد بعضهم العشرات من هذه المدارس، فتلمسان عند احتلالها من قبل الفرنسيين وجدوا فيها خمسين مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالي وهما مدرسة الجامع الأعظم ومدرسة أولاد الإمام علما أن الباي محمد الكبير هو الذي أعاد لمدرستي تلمسان هيبتهما وأوقافهما وجددهما، والمعروف أن تلمسان قبل مجيء العثمانيين قد اشتهرت بوفرة المدارس والعلماء رغم تدهورها السياسي فكان بها على الأقل خمس مدارس ثانوية وعالية⁽⁵⁾.

أما مدرسة مازونة فقد كانت على درجة كبيرة من الأهمية في بايلك الغرب، تأسست في أواخر القرن السادس عشر بينما هناك مواقف أخرى ترى أن تأسيس المدرسة يرجع إلى ما قبل العهد العثماني ويؤيد ذلك عبد المجيد مزيان الذي يربط مدرسة مازونة بمدرستي العباد والمدرسة التاشفينية بتلمسان ويضعهم في نفس النهج بقوله: "..... ونذكر بان أشهر المدارس التي تبنتها الدولة مع مساعدة الجماعات كانت التاشفينية ومدرسة العباد..... مدرسة مازونة وهي نموذج مصغر لمدرسة تلمسان....."⁽⁶⁾، بينما يرى أبو القاسم سعد الله بان هذه

(1) Jacques, Berque, « en lisant les nawazil mazouna » in studia islamica, n°32, 1970, p :33.

(2) Marcel, Bodin, itinéraire historique et légendaire de mostaganem et sa région », in B.S.G.A.O , tome LIV , 1933, P :185

(3) René, Basset, nédroma et les traras , leroux, paris, 1901, p408.

(4) الحسن، الورتيلاني، المصدر السابق، ص 266.

(5) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، المرجع السابق، ص 274.

(6) عبد المجيد، مزيان، « المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار » مجلة التاريخ، العدد 02، 1986، ص 14.

المدرسة تأسست خلال العهد العثماني لكن استمدت نظامها وتقاليدها بما كان معمولاً به في مدارس تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى⁽¹⁾.

لقد اشتهرت مدرسة مازونة بعلوم الفقه والحديث وعلم الكلام ، ومما يبرهن عن أهمية مدرسة مازونة الفقهية ماجاء على لسان أبي راس الناصري حيث قال: ".....سألني الشيخ محمد بن لبنة عن وجهتي؛ فقلت له: ذاهب إلى مازونة،.... قال : لم؟...قلت له: لقراءة الفقه....،فقال: والقران؟...، فقلت له: نعرفه بأحكامه وانصاه وما يتعلق به، فحفظت في مازونة مختصر خليل وفهمته معنى ولفظاً في عامي الأول...⁽²⁾؛ ومن أعلام المنطقة حفظة العلم والقران نذكر ابي عمران صاحب " الدرر المكنونة" وابنه يحيى بن موسى المغيلي المازوني صاحب " الدرر المكنونة في نوازل مازونة" وهي عبارة عن فتاوي جمعها المغيلي من معاصريه في كل من تونس وبجاية والجزائر وتلمسان وغيرها.

لقد تتلمذ المغيلي المازوني علي يد جملة من العلماء بداية بوالده ابي عمران صاحب كتاب " ديباجة الافتخار"، ثم ابن مرزوق وقاسم بن سعيد العقباني وأبي العباس احمد بن زاغو المغراوي وأبو عبد الله القاضي الشريف المدعو سمو الشريف، وقد وصف احمد بن يحيى الونشريسي أستاذه يحيى المازوني قائلاً: ".....الصدر الأوحى العلامة، العالم الفضال ذي الخلال السنية، سني الخصال شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيدنا ومولانا وبركة بلادنا أبي زكريا سيدي يحيى وهو من العلماء الذين تناولوا الفتوى وأصبحوا مرجعية فقهية، ولم يتوظف بعلمه عند السلطة...."⁽³⁾. وبعد استفادة مدرسة مازونة من التوسيع حظيت باحساس كثيرة مما ساعدها على الاستقرار وزادها شهرة في كامل بايلك الغرب الجزائري حتى أنهم كانوا إذا أرادوا أن يفتخروا بطالب لغزارة علمه عظموه بقولهم: " لقد درس بمدرسة مازونة"⁽⁴⁾.

اما مدينة معسكر فقد عرفت هي أيضا إشعاعاً ثقافياً وعلمياً خاصة عند إنشاء المدرسة المحمدية من طرف الباي محمد الكبير والتي بنيت بجانب المسجد الأعظم وألحقت بها مكتبة كبيرة حيث كانت كل الكتب عبارة عن حبوس لخدمة الطلبة والأساتذة، وقد اختار الباي للإشراف على هذه المدرسة شخصيات مرموقة أمثال محمد بن

(1) عبد المجيد، مزيان، المرجع السابق، ص 285.

(2) ابوراس، الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار (تحقيق وتقديم : محمد غالم)، ط1، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005، ص 60.

(3) احمد بن يحيى، الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب (تحقيق وتقديم: محمد حجي)، دار

(4) الغرب الاسلامي، بيروت، 1981، ص 161.

(4) ميلود، ميسوم، المرجع السابق، ص 37.

عبد الله الجلاي الذي وصفه ابن سحنون قائلاً: ".....المعظم المفضل كاشف الغوامض بذهنه الذي هو اسنى من البرق والوامض المقدم في حلبة العلوم ومباحث المنشور والمنظوم، النقادة النحرير، الشاهدة له دروسه بالتحقيق والتحرير ، ذو الفضائل الوافرة والمحاسن التي لم تزل في الناس على كثرتها متظافرة....."⁽¹⁾، إضافة إلى محمد المصطفى بن عبد الله الدحاوي المشهور بابن زرفة الذي كان الكاتب الخاص للباي ومحمد بن طاهر بن عبد القادر بن محمد المعروف بابن حوا الذي تولى القضاء في مدينة معسكر أيام الباي محمد الكبير، أما عدد طلبتها فقد وصل حوالي 400 طالب ؛ وكان طلابها من أول المستجيبين للمرابطة حول وهران وتحولت المدرسة إلى رباط أيام الفتح الثاني لوهران حيث خرج علمائها للجهاد فأقاموا عند جبل المائدة وكانوا هناك يدرسون ويتلون القرآن ويجارون وبذلك تحولت المدرسة الحمديّة إلى قلعة عسكرية وفي نفس الوقت مدرسة متنقلة⁽²⁾.

ولم تكن مستغانم تقل أهمية عن باقي مدن البايك فقد أصبحت مركز إشعاع ثقافي خاصة في عهد الباي بوشلاغم بعد الاحتلال الاسباني الثاني لوهران سنة 1732 ؛ حيث عرفت المدينة عددا كبيرا من رجال القضاء والفقهاء من بينهم ابن حوا، وكان عدد المدارس بها سنة 1834 ثمانية واحدة لليهود وأخرى أنجزت أثناء العهد الاستعماري والباقي يعود إلى المرحلة السابقة⁽³⁾.

3/ الزوايا: لعبت الزاوية في ريف بايلك الغرب دورا أكثر ايجابية من الزاوية في المدن، فقد مثلت المسجد والمدرسة في آن واحد، فهي مقر للعبادة والدراسة إضافة إلى كونها مأوى لعابري السبيل كما عملت على دمج فئات المجتمع بغض النظر إلى الانتماء العرقي أو الجهوي أو حي الإقامة أو المهنة.

لقد قامت الزوايا بدور هام في نشر التعليم اذ كانت منتشرة عبر المناطق القريبة من حواضر بايلك الغرب، فتلمسان وضواحيها كانت تضم أكثر من 30 زاوية نذكر منها زاوية سيدي الذيب وزاوية سيدي بومدين وزاوية محمد السنوسي وزاوية احمد الغماري وزاوية سيدي الحلوي الأندلسي وأكثرها شهرة زاوية عين الحوت⁽⁴⁾.

واشتهرت معسكر بزواياها خاصة زاوية القيظنة المشهورة التي تخرج منها الأمير عبد القادر، وبرزت عائلات توارثت العلم والوظائف العلمية كالقضاء والإفتاء والإمامة والخطابة ومن ضمنها عائلة الخروبي وعائلة المشارف وعائلة بن بروكش وعائلة أبي راس الناصري وعائلة ابن التهامي وعائلة الشيخ مصطفى وابنه محي الدين المختاري

(1) احمد بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 228.

(2) ابو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، المرجع السابق، ص 281.

(3)

(4)

وعائلة الشرفاء البشيريين بوادي المبطوح؛ واهتمت هذه العائلات بتأسيس الزوايا ومعاهد العلم والمدارس⁽⁵⁾ وهذا ما يؤكد الشيخ الطيب الغريسي واصفا التعليم بأحوال معسكر: "..... إن الأشراف والأعيان بغريس كان لهم اعتناء كبير بالدين وتحفيظ القرآن وتعليم العلوم الأخرى اللغوية والفقهية والعقلية والصوفية..... وكان كل واحد منهم يؤسس لنفسه زاوية لطلبة العلم ويوظف بها أجلة العلماء والمدرسين ليقصدها الطلبة من كل الآفاق....."⁽¹⁾، وعلى هذا الأساس أصبحت منطقة غريس تستقطب العلماء وكثرت الرحلة إليها لطلب العلم خاصة في القرنين 17 و18 حتى قيل على حد تعبير الدكتور يحي بوعزيز: "إن كل دومة في غريس بولي صالح"⁽²⁾.

4/ المكتبات: لتسهيل عملية المؤسسات التعليمية السابقة ضمت الجزائر عددا من المكتبات التي احتوت على العديد من الكتب التي كانت إما إنتاج محلي عن طريق التأليف أو النسخ أو وصلت الجزائر من مصر والحجاز والأندلس⁽³⁾.

لقد اشتهرت تلمسان بمكتباتها وبلغت فيها صناعة الكتب تأليفا ونسخا وجمعا درجة عالية؛ إضافة إلى مكتبات مازونة ومعسكر بما تضمنته من مخطوطات ومؤلفات، وكانت عادة المكتبات تقع بمحاذاة المسجد والمدرسة وهذا النوع يسمى بالمكتبات العامة حيث كانت مساجد الخطبة تحتوي على خزائن الكتب التي أوقفت على العلماء والطلبة كتلك التي أوقفها محمد الكبير على المدرسة المحمدية بمعسكر⁽⁴⁾، أما المكتبات الخاصة فعددها كبير جدا وتعود الى العائلات التي نالت شهرة علمية وضخامة مكتباتها يرجع لاستمرارها لعهد طويل كمكتبة أبي راس الناصري بمعسكر التي حبسها عليه باي وهران مصطفى المنزلي وقام بتشييدها وسماها مكتبة " المذاهب الأربعة"⁽⁵⁾، كما كانت بعض العائلات تفاخر مثيلاتها بشراء الكتب وكان أشباه العلماء يقتنونها للمباهاة والتشبه بأهل العلم.

واشتهرت مكتبة مازونة بمخطوطاتها⁽⁶⁾، وكان لحركة التأليف دورا بارزا في نمو المكتبات ومن أشهر بايات الغرب الجزائري الدين شجعوا على ذلك الباي محمد الكبير الذي اهتم بتدوين الأحداث التاريخية خاصة تاريخ وهران

(5) يحي ، بوعزيز، اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2 ، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 228-229.

(1) ابن المختار الطيب، الغريسي، القول الاعم في بيان انساب قبائل الحشم، منشور ضمن مجموع مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961، ص 120.

(2) المرجع السابق، ص 229.

(3) ابو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، المرجع السابق، ص 285.

(4) احمد بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 127.

(5) الورتيلاني، المصدر السابق، ص 285.

(6)

Charle, Geniaux, « mazouna », in revue des deux mondes, 1921, p :438.

وبايلك الغرب بتشجيعه للعلماء والكتاب وإجازة كل واحد منهم بسخاء حسب عمله وجهده ؛ فكان يأمر بنسخ الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة حيث كان يجمع في قصره الناسخين ذوي الخط الجيد فيختار الماهرين منهم لنسخ الكتب المهمة ولا يهتمه الثمن المدفوع من اجل اقتناء المخطوط الثمين فقد منح ابن سحنون 100 دينار ذهب بعد تلخيصه لكتاب الأغاني و50 دينار ذهب على جمعه لكتاب الطب " القاموس " إضافة إلى منحه هدايا أخرى⁽¹⁾.

لقد تميزت فترة حكم الباي محمد الكبير بتعبئة سكان البايك على الجهاد ضد الاسبان؛ الأمر الذي ضاعف حماس الكتاب على تقييد المعارك والأحداث التاريخية خاصة التي وقعت في عهده⁽²⁾، فقد منح للحاج محمد القرومي 100 محبوب ذهبا وألبسة تساوي 50 محبوبا ذهبا عندما مدحه بقصيدتين الأولى عندما شيد المسجد الكبير والثانية عندما قام برحلته إلى الجنوب الصحراوي الجزائري⁽³⁾، كما كان يقترح المواضيع أحيانا فكلف مثلا كاتبه الخاص محمد بن عبد الله المعروف بابن زرفة بتدوين أحداث الجهاد عند فتح وهران الثاني من قبضة الاسبان فألف هذا الأخير " الرحلة القمرية في السيرة المحمدية " وهو عبارة عن مجموعة أخبار تلقاها المؤلف من أفواه الرواة وقيدها وجمعها حتى صارت كتابا⁽⁴⁾؛ كما أمر ابن رقية التلمساني بتدوين أحداث حملة " اوريلي " على الجزائر سنة 1775 فألف " الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة " ⁽⁵⁾، وقد أشار ابن سحنون إلى هذا بقوله: "...وأما حبه للعلم وإحسانه إلى العلماء الأخيار فقد شاع منه ما يعني عن الأخبار وكم من تأليف نشأ بأمره...."⁽⁶⁾.

لقد لعبت المؤسسات التعليمية دورا هاما في قضايا التعليم والتثقيف كما شكلت نقاطا يلتقي فيها ويتنقل إليها السكان من مناطق مختلفة وخلفت روابط بين سكان البايك وترتب عنها علاقات وتبادل للآراء على مستويات مختلفة وبالتالي فالشعب الذي حافظ على كل ذلك القدر من المكتبات كان شعبا على درجة كبيرة من التحضر

(1) احمد بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص ص 145- 146 .

(2) نفسه، ص 184.

(3) احمد، بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 26.

(4) المصدر السابق، ص 147.

احمد توفيق، المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791 سيرته حروبه أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية

للكتاب، الجزائر 1986، ص 141.

(6) المصدر السابق، ص 146.

خلافًا لما زعمه بعض الأسرى المسيحيون بالجزائر فحسب شهادة الأسير الاسباني " تيدينا": "... إن انتشار الأمية كان مربعا بمعسكر رغم كونها عاصمة البايك....."(7).

ب/ أعلام الثقافة والفكر : لقد كان لعلماء و مثقفي بايلك الغرب دورا رائدا في النهضة الفكرية والثقافية بالمنطقة، وفي حركة الجهاد ضد الاسبان في وهران والمرسى الكبير، وحتى ضد الفرنسيين بعد ذلك؛ فحاضوا المعارك وألّفوا الكتب ونظموا الأشعار لإلهاب حماس الناس وتحفيزهم على المقاومة فكانوا من أكبر المحرضين لهم وللبايات والقواد والآغوات والخلفاء⁽¹⁾. ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الأعلام اشتهروا بالتدريس أكثر مما اشتهروا بالتأليف فإذا كانت شهرة المؤلف بكتبه وآرائه وموضوعه وأسلوبه فان شهرة المدرس بطريقته وتلامذه وفصاحة لسانه واطلاعه الواسع على الموضوع⁽²⁾، ومن بين هؤلاء:

1/ علماء عائلة المشارف: تنسب عائلة المشارف إلى مشرف بن عبد الرحمن بن مسعود، لعبت هذه الأسرة دورا هاما في حياة المنطقة ثقافة وجهادا ولم تتعدى رئاسة القضاء في معسكر أسرتهم نظرا للمكانة التي حظيوا بها عند العثمانيين⁽³⁾ ومن أشهر علمائها:

عبد القادر بن عبد الله المشرفي: كان يدعى إمام الراشدية ولد ونشا بقرية الكرط قرب معسكر وتثقف على يد علماء عصره ثم عين مدرسا بزاوية القيطنة، وبعد ذلك أسس لنفسه زاوية في مسقط رأسه وشارك في مقاومة الاسبان بوهران خلال الفتح الأول لها سنة 1708 في عهد الباي بوشلاغم وألف كتابا شهر فيها وندد بالقبائل التي تعاونت مع الاسبان سماه " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر"⁽⁴⁾، وبعد وفاته سنة 1778 خلفه ولده الطاهر المشرفي في مهنة القضاء ثم حفيده محمد بن عبد الله مصطفى سقاط المشرفي ثم أبناء عمه عبد القادر بن مصطفى المشرفي وأبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي.

2/ ابوراس الناصري: هو محمد أبو راس بن احمد بن عبد القادر الناصري المعروف شعبيا بابي راس؛ ولد سنة 1751 بجبال كرسوط، اشتهر بالحفاظ لغزارة علمه، حفظ القرآن الكريم على يد أبيه ثم تنقل في صغره بين مسقط رأسه في كل من معسكر وزاوية القيطنة واستوعب العلوم الشرعية على يد علماء وفقهاء عصره وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر المشرفي ثم ارتحل إلى مدرسة مازونة لطلب العلم أين تكون علي يد أساتذة من بينهم العربي ابن

(7) Marcel, Emerit, « les aventures de thedenat », in R.A , n°92, 1948, p :181.

(1) يحي، بو عزيز، اعلام الفكر، ج 2، المرجع السابق، ص 230.

(2) ابو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.....، المرجع السابق ص ص 356- 357.

(3) ابن المختار الطيب، الغريسي، المصدر السابق، ص 135.

(4) Pellecat, (commandant), « contribution a l'histoire du vieil oran », in B.S.G.A.O , tome XLIV. 1924 , p :125.

نفلة ومحمد بلقندوز ومحمد أبو طالب فحفظ كتاب "سيدي خليل" في الفقه، ثم عاد إلى معسكر ليتصدى للتدريس في الزوايا ويعين نائبا للشيخ القاضي عبد القادر المشرفي وبوفاة هذا الأخير استقر أبي راس الناصري نهائيا في معسكر وتولى منصب القضاء والإفتاء مدة ست وثلاثين سنة؛ ونظرا للإقبال الطلابي الكبير عليه خصه بايات بايلك الغرب بمنبر مدرسة معسكر⁽⁵⁾.

لقد ذهب أبي راس الناصري مرتين للحج وأثناء سفره توقف بأكثر مراكز الثقافة الإسلامية آنذاك فالتقى بشخصيات رفيعة في عالم الأدب عدة مرات ونظرا لسعة علمهم يفرضون على طلابهم الحضور والاستماع إليهم⁽¹⁾، وكتب وألف في مختلف الأغراض والفنون شعرا ونثرا وخلف وراءه أكثر من 60 مؤلفا وحوالي 136 مخطوطا⁽²⁾.

إن قيمة أبي راس الناصري العلمية والاجتماعية رشحته لان يكون من بين العلماء المحبوبين لدى بايات الغرب خلال القرن الثامن عشر خاصة الباي محمد الكبير الذي كان يستشيريه في القضايا الهامة وينزل عند رغبته⁽³⁾، وتلبية لهذه العلاقة فقد خص أبي راس الناصري الباي محمد بقصيدة على شرف انتصاره على الاسبان مع ذكر تفاصيل عن تاريخ وهران وباياتها وعنوانها بـ "الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية"⁽⁴⁾؛ وأعطيت له تسمية أخرى "نفيسة الجماني فيما جرى بالأندلس ووهران"، كما ألف عدة دواوين شعرية وكتب أهمها: "القصص المغرب والخبر المريب بما وقع بالأندلس وثور المغرب" ليأخذ عنوان آخر "غريب الأخبار بأماكن وهران والأندلس مع الكفار" بالإضافة إلى: "روضة السلوان المؤلفة بمرسى تطوان"، وبعد عزله من مناصبه الرسمية كالإفتاء والقضاء نتيجة وشاية واتهامه بالعمالة هاجر إلى المغرب واستقر بفاس في بلاط مولاي إسماعيل وتعبيرا عن ولاءه له ألف كتابا عنوانه بـ "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"⁽⁵⁾.

بعد اندلاع ثورة درقاوة سنة 1805 ونظرا لصبغتها الدينية صار العثمانيون يخشون جميع رجال الدين وحتى الموالون لهم كابي راس الناصري الذي ألف في هذه الثورة كتابا عنوانه: "درء الشقاوة في فتنة درقاوة"⁽⁶⁾ التي عانى من

(5) Bernard, Caporal, op. cit, pp :344- 345.

(1) Hocine, Bendali, et Rabie Elias , Cherif, « un historien algerien méconnu mohammed bouras », in R.A , n°2, Janvier 1972, pp65- 75

(2) Houdas, (O), « notice sur un document inédit », in recueil des mémoires orientaux, avril 1905, pp :41- 83.

(3) Andre, Gorguou, « bou ras historien inédit de l'Afrique septentrionale », in R.A , tome V, 1860, pp114-124.

(4) محمد ، ابو راس الناصري ، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية (ترجمها الى الفرنسية وعلق عليها: فور بيقي)، مطبعة بيبير فونتانا، الجزائر، 1903.

(5) Faure, Biguet, « notice sur le cheikh mohammed abou ras en nasiri extraits de son autobiographie », in

J.A, tome XIV , 1899, pp :409- 410. (388-420)

(6) يحيى، بو عزيز، « أبو راس الناصري المعسكري وإنتاجه الفكري والأدبي »، المجلة التاريخية المغربية، العدد 54- 55 ، 1989،

تبعاتها لأنه أتم بالوقوف وراءها، وحتى يبرهن على براءته قال: "..... إن روائح طردنا في تزايد مستمر، لقد كنا للاشيء.... إن هذه الثورة خلفت لنا الخوف والجوع والهلع والرهبة... لقد كنت بجانب كتي وقضيت مدة طويلة إلى لحظة خياطة العناكب لنسيجها ثم صفاء السماء، وما زلت اكتب....."(7).

ومهما كان الأمر فإن أبي راس الناصري ترك مجموعة من التلاميذ الذين ألفوا الكتب وأصبحوا مثله كمحمد بن عبد الله بن زرفة الدحاوي واحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي و محمد بن يوسف الزباني.

3/ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي: المدعو دحو بن زرفة نسبة إلى أمه "زرفة" ولد برأس العين بزواوية جده سيدي دحو، ويعتبر من شرفاء غريس؛ حفظ القرآن في سن مبكرة بزواوية جده بمسقط رأسه ثم أضاف حفظ المتون والمختصرات في الفقه والحديث والتوحيد.

وكعادة الطلاب الطموحين الراغبين في الاستزادة من العلوم المهمة ارتحل بن زرفة من مسقط رأسه إلى معسكر وتلمذ على يد أبي راس الناصري الذي اكتسب شهرة من بين علماء تلك الفترة؛ كما عين مدرسا بالمدرسة الحمديّة عند إنشائها من طرف الباي محمد الكبير؛ وعندما تعرف هذا الأخير على أصل ونسب وخصال عبد الله بن زرفة عينه كاتباً له وفي نفس الوقت مساعداً لرئيس رباط ايفري للطلبة قرب وهران⁽¹⁾ وشارك بنفسه في الفتح الثاني لوهران سنة 1792، غير ان بقاءه بهذا الرباط لم يدم طويلا وابتعد من طرف الباي محمد الكبير والسبب في ذلك على حد تعبير ابن سحنون الراشدي: "..... كان السبب في منعه من البقاء معهم انه وقع بينه وبين احد أبناء عمه صراع أدى إلى انقسام الطلبة إلى حزبين..... وادعي عليه انه يسعى لتشتيت الطلبة والتضريب بينهم؛ وتعطيل الأسواق في أنحاء البايك من مينه إلى احواز تلمسان وأمر يجعلها قبالة ايفري ليتمكن الطلبة من شراء ما يحتاجونه من قرب ولا يذهبون للأسواق البعيدة حسما للفتن....."(2).

ومما انفرد به ابن زرفة عن علماء عصره هو تكليفه من طرف الباي محمد الكبير بجمع الحوادث عن سير فتح وهران الثاني اول باول بداية من اليوم الذي عزم فيه على التحرير النهائي لوهران ونصب الخيم حولها إلى تاريخ تحديد العثمانيين يوم 27 فبراير 1792 لدخولها، واستجابة لذلك جمع ابن زرفة الحوادث في كتاب سماه "الرحلة القمرية في السيرة الحمديّة"، وبعد الفتح عين قاضيا على وهران وألف كتاب آخر سماه "الاكتفاء في حكم جوائز

ص ص 245 - 253.

(7) Adrien ;Delpech, « résumé historique sur soulèvement des darkaoua de la province d'Oran d'après la chroni Que d'el- mosselem ben mohammed bach deftar de bey hassan de 1800- 1813», in R.A, tome XVIII ,1874, pp :38- 58.

(1) يحي ، بوعزيز، اعلام الفكر، ج 2 ، المرجع السابق، ص 233.

(2) احمد بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص ص 244 - 245.

الأمرء والخلفاء" وموضوعه صحة منح الأمرء والخلفاء أراض للناس من اجل تعميمها بعد فتح وهران⁽³⁾، توفي بوباء الطاعون سنة 1801.

4/ احمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: كان ملازما للباي مصطفى بوشلاغم وحضر معه فتح وهران الأول سنة 1708 واشترك في كل خطواته وسجل كل الأحداث المتعلقة به، كما عاش في بلاط الباي محمد الكبير وكان ملازما لولى عهده؛ وقد خصص لتاريخ المنطقة تأليفا سماه " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " سرد فيه بالتفصيل وقائع الفتح الأول لوهران وسجل حياة الباي مصطفى بوشلاغم وتاريخ أسلافه ومنشات مدينة معسكر ودور العلماء في تحرير وهران النهائي سنة 1792 ورباطهم بإيفري بوهران وأورد معلومات كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية وأدبية وعسكرية عن منطقة الغرب الجزائري⁽¹⁾.

5/ محمد بن يوسف الزباني: ينحدر من اسرة علمية ومخزنية بمدينة البرج شرق معسكر، كان عمه احمد بن يوسف الزباني مستشارا ونصوحا للباي ابراهيم الملياني بتلمسان ومعسكر بين سنتي 1756-1757، وقد الف الزباني كتابا عن تاريخ وهران والبايات الذين تداولوا على حكمها واهم الاحداث التي وقعت في عهدهم سماه " دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران".

لقد تولى محمد بن يوسف الزباني القضاء بمدينة البرج سنة 1861 ثم انتقل الى وادي تليلات لنفس الوظيفة سنة 1883 ثم عين قاضيا بسيق وبقي فيها الى غاية وفاته⁽²⁾.

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل يمكن استخلاص مايلي:

* ان الحكم العثماني في بايلك الغرب لم يجر تغييرا جذريا على البنية الاجتماعية وعمل على عدم تطور مختلف الشرائح الاجتماعية وهذا بفعل سياسة فرق تسد التي جعلت تلك الشرائح لاتندمج فيما بينها.

* تميزت التشكيلة الاجتماعية في بايلك الغرب بثرائها من حيث العناصر المكونة لها وكانت الطبقة البرجوازية خاصة فئة التجار والحرفيين أكثر تمثيلا وتجميدا لهذا الثراء في مدن البايك، بينما ظل سكان الأرياف يعيشون حياتهم بشكل شبه طبيعي يزاولون الزراعة والرعي حسب مقتضيات الظروف، وينعمون بعلاقات اجتماعية واسعة، ويعيشون بعاداتهم وتقاليدهم، يؤطروهم شيوخ القبائل ورجالات الزوايا.

⁽³⁾ Ernest, Mercier, « la propriété indigène en mag'reb selon l'ouvrage dit : la regle des princes et des khalifes (3) Fixant l'étendue de leurs pouvoirs légaux de mohammed el mostafa ben abdellah descendant de l'ouali sidi Abderrahmane ben ali», in R.N.M.S.A.C , tome XXXII , 1898, pp : 312- 340.

(1) احمد بن سحنون، الراشدي، المصدر السابق، ص 10.

(2) احمد بن يوسف، الزباني، المصدر السابق، ص 13.

* ان الاوضاع الصحية ببائلك الغرب كانت تتأثر الى حد كبير بالحالة الامنية وكذلك بالاحوال الجوية والكوارث الطبيعية وكانت لها آثارا سيئة على مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ظل عدم حرص بايات الغرب الجزائري على انشاء المستشفيات كالتى انشأها الاوربيون لاسراهم في الجزائر او على الاقل تطبيق الحجز الصحي لتجنب تبعات تلك الكوارث خاصة وباء الطاعون الذي كان يضرب المنطقة بشدة، وهذا ما استغلته الطرق الصوفية لنشر معتقداتها التي كانت تزعم بان الله غاضب من العثمانيين وبالتالي ضرورة الثورة عليهم لانهاء حكمهم.

* لم يعمل العثمانيون على ادخال أي تغييرات على مختلف مراحل التعليم مما جعل الامور تسير على النحو التي كانت عليه قبل الحكم العثماني ومن ثم فقد تسببوا في حالة الجمود الثقافي رغم ان عددا من حكام البايك كالنوا يشجعون العلم والعلماء ويقومون بانشاء المدارس والجوامع وتمويلها بالاقواف الا ان الطابع الغالب على هؤلاء الحكام هو الطابع العسكري والاداري وبالتالي لم يكونوا حريصين على ان تكون لهم مجالس علمية ومساهمات في تلك المجالس مما يعتبر عاملا غير محفز وغير مشجع للحياة الثقافية وهذا ما دفع بعض العلماء الى الهجرة نحو المغرب الاقصى او تونس ومصر وبلاد الحجاز او احداث القطيعة بينهم وبين الحكام العثمانيين.

* ظهرت في بايلك الغرب أسماء لامعة ساهمت بإنتاجها العلمي والفكري في تقدم الحركة العلمية، مستلهمة تآليفها من الأحداث التي عرفتها المنطقة فشكل الفتح الاول لوهران سنة 1708 موضوع ابن ميمون في كتابه " التحفة المرضية في الدولة البكداشية" والفتح الثاني سنة 1792 حدثا هاما مجده الكثير من المؤلفين؛ فالف ابن سحنون " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" وأبي راس الناصري " نفيسة الجماني في الثغر الوهراني" بالإضافة إلى ما ألفه ابن هطال التلمساني أثناء خروج الباي محمد الكبير في رحلته إلى الجنوب الوهراني " رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الوهراني" كما نشير إلى تأليف عبد القادر المشرفي لكتاب يستعرض فيه أهم القبائل التي تعاونت مع الاسبان تحت عنوان " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كيني عامر"، ومحمد بن يوسف الزياني في تأليفه " دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران" والاغا بن عودة المزارى في كتابه " طلوع سعد السعود في اخبار وهران واسبانيا وفرنسا الى اواخر القرن التاسع عشر".

الخاتمة

نستخلص مما تقدم في هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:
كان بايلك الغرب جزءا من الجزائر العثمانية، وكانت له أهمية كبيرة باعتبار المساحة الهامة التي كان يشغلها، والتي تمتد شرقا من دار السلطان وبايلك التيطري حتى حدود المغرب الأقصى غربا، ومن البحر المتوسط شمالا حتى الصحراء جنوبا مكتسحا الأطلسين التلي والصحراوي والهضاب العليا الغربية.

نتيجة الاحتلال الإسباني لوهراة والمرسى الكبير واستقرارهم مدة طويلة بهذين الموقعين لجأت بعض القبائل إلى التحالف مع الأسبان مقابل توفر الأمان لها وتزويدها بالحبوب والماشية كما هو الشأن بالنسبة لبعض المدن التي أجبرت على توقيع معاهدة الاستسلام للأسبان؛ وقد تسبب ذلك في حدوث انقسام في صفوف المجتمع الجزائري بهذه المنطقة بين مؤيد للأسبان وآخر مؤيد للعثمانيين، وهذا من دون شك سيساهم في إطالة عمرهما بالغرب الجزائري.

إن التحالف الذي تم بين الإسبان في وهران وبعض القبائل القريبة منها أمدّ في عمر الاحتلال حيث مثّل بنو عامر وغيزة وكريشتل وأولاد علي وغيرهم قاعدة خلفية زودت الحاميات الإسبانية بما احتاجت إليه على مدى أكثر من قرنين ونصف القرن. ولذلك كان موقف السلطة والمجتمع على السواء منها موقفا متصلبا، حيث لم يتوانَ البايك في قمعها كلما كانت الفرصة سانحة، ولم يتأخر العلماء في فضح أفعالها والتشجيع بها وبيان موقف الشرع منها.

لقد واجه العثمانيون عدة صعوبات في بداية عهدهم ولم يتمكنوا من تثبيت حكمهم في بايلك الغرب نظرا لشدة معارضة الزينانيين والأسبان، وبالرغم من شدة الصراع فإن العثمانيين قد توصلوا إلى تثبيت بعض الحاميات العسكرية في بعض المدن الغربية مثل تنس ومستغانم ومازونة وذلك بالاستعانة بالعلماء ورجال الدين والطرق الصوفية.

كان لبايك الغرب نظام داخلي خاص وتراتبية إدارية تمثلت في العديد من الوظائف، تلك الوظائف كانت تتداخل فيها سلطات الموظفين بعضها في بعض فهناك الموظفون القريبون من الباي وهناك الموظفون القائمون على شؤون المدن، والموظفون القائمون على شؤون الأرياف.

إن بايلك الغرب كان يتشكل من من عدد من القوى والفعاليات الاجتماعية أو الزعامات المحلية وكانت عماد النفوذ به يتمثل في القيادات الدينية أو المرابطية التي كانت لها أدوار معتبرة في ظل تباين مواقفها فبعضها مسانير للسلطة وبعضها معتدلا والبعض الآخر مناهضا ومعارضاً للبايلك.

ان سياسة الحكام العثمانيين في الغرب الجزائري كانت قائمة على استمالة القوى الدينية وجعلها واسطة بينهم وبين الرعية واعتمدوا كذلك على القبائل المخزنية ن وقد مكنتهم هذه السياسة بتجنب الاصطدام المباشر بالقبائل الممتنعة عن دفع الرسوم والضرائب.

ان التدخلات المتكررة من جانب المغرب الاقصى في المنطقة الغربية للجزائر كان من اجل إضعاف الحكم القائم في المنطقة، كما أن الصراع العسكري الذي كان بين الاسبان والعثمانيين حول بايلك الغرب قد عطل المشروع المغربي التوسعي في هذه الجهة.

عرف بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر فترات تاريخية هامة تمثلت في عهد الباي بوشلاغم (1700-1732) الذي كان دائما يتحين الفرص لتضييق الخناق على الاسبان في وهران فشرع في محاصرتها منذ 1706 أثناء حكم الداوي محمد بكداش ونتيجة لتظافر الجهود تم تحريرها لأول مرة سنة 1708؛ وكانت الأكثر أهمية فترة الباي محمد الكبير (1784-1799) التي عرفت بالاستقرار السياسي واستكمال البايلك لوحده الترابية باسترجاع وهران النهائي من قبضة الاسبان سنة 1792.

يملك البايلك بعضا من أجود الأراضي الزراعية في الجزائر متمثلة في سهول كثيرة أهمها سهول وهران وسيدي بلعباس وتلمسان وغريس والسرسو وسعيدة، كما تجري فيه مجموعة من الأودية أهمها الشلف في جهته الشرقية، ومينه وواصل والهبرة وسيق ووادي الحمام وغيرها، وكانت هذه البنية التحتية كافية لمزاولة مجموعة من النشاطات الاقتصادية وعلى رأسها الزراعة وتربية الحيوانات، ودعم المدينة بالمواد الأساسية.

ساهم بايلك الغرب في اقتصاد الايالة بمنتجات زراعية حيوانية خاصة كالصوف والجلود وذلك بسبب الانتشار الواسع لتربية المواشي إضافة إلى الحبوب التي لعب انتاجها دورا بارزا في التقليل من شبح المجاعات والأوبئة وكانت من أهم صادرات البايلك نحو الخارج غير أن هذه المزايا كلها لم تفتح أعين البايلك على ضرورة الاهتمام بالفلاح ودعمه، فقد فُرض عليه الجمود حيث حيل بينه وبين التوسع في الأراضي السهلية، وأجبر على الانغلاق على نفسه في المناطق الجبلية كالونشريس وطرارة، فانطوى بممارسة الرعي المتنقل بالهضاب العليا وسهول وهران، وأثقلت كاهله الضرائب.

لقد شجع بايات الغرب الجزائري على إقامة الأسواق داخل البايلك خاصة في المناطق الريفية سعيا منهم لسيط نفوذهم ومراقبة تحركات سكان الأرياف الذين كانوا يجربون على مقايضة سلعة بسلة لسكان المدن وهذا ما أدى إلى تركز الثروة في يد سكان المدن.

نشطت الحرف وقد كان لهذا النشاط دورا في وجود هيكلية اجتماعية منسجمة البنيات كما ساهمت في تدفق يد عاملة مختلفة الدرجات سواءا من حيث الإقامة أو نوعية الخدمات؛ وجاءت هذه الفئات من المناطق المجاورة للبايلك.

كانت خزينة البايلك قد استفادت من الجهاد البحري زمنا طويلا لكنها تأثرت سلبا منذ منتصف ق 18م بالتحويلات التي عرفها حوض البحر المتوسط، وهو ما جعل السلطة تلتفت إلى الداخل لتوفر ما يلزمها من أموال، وكان نصيب ريف بايلك الغرب من هذا العبء وافرا جدا. غير أن الضغط الذي مارسه البايلك لتنفيذ سياسته هذه لم يمنع من قيام ردود أفعال قوية أطرتها الطرق الدينية في معظم الحالات.

تميزت التشكيلة الاجتماعية في بايلك الغرب بثرائها من حيث العناصر المكونة لها وكانت الطبقة البرجوازية خاصة فئة التجار والحرفيين أكثر تمثيلا وتجييدا لهذا الثراء في مدن البايلك، بينما ظل سكان الأرياف يعيشون حياتهم بشكل شبه طبيعي يزاولون الزراعة والرعي حسب مقتضيات الظروف، وينعمون بعلاقات اجتماعية واسعة، ويعيشون بعاداتهم وتقاليدهم، يؤطروهم شيوخ القبائل ورجالات الزوايا.

امتاز بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر بحياة ثقافية ثرية ومتنوعة بسبب الرخاء الاقتصادي الذي عرفته المنطقة خاصة في عهد الباي محمد الكبير، وساهم في هذا الجو الثقافي وجود مؤسسات عملت على تنمية الحياة الثقافية مثل مدارس تلمسان ومازونة ومعسكر ومستغانم وندرومة.

شكلت المنطقة الغربية خلال القرن الثامن عشر مركز اشعاع ثقافي وعلمي وظهرت أسماء لامعة ساهمت بإنتاجها العلمي والفكري في تقدم الحركة العلمية، مستلهمة تأليفها من الأحداث التي عرفت المنطقة فشكل الفتح الاول لوهران سنة 1708 موضوع ابن ميمون في كتابه " التحفة المرضية في الدولة البكداشية" والفتح الثاني سنة 1792 حدثا هاما مجده الكثير من المؤلفين؛ فالف ابن سحنون " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" وأبي راس الناصري " نفيسة الجماني في الثغر الوهراني" بالإضافة إلى ما ألفه ابن هطال التلمساني أثناء خروج الباي محمد الكبير في رحلته إلى الجنوب الوهراني " رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الوهراني" كما نشير إلى تأليف عبد القادر المشرفي لكتاب يستعرض فيه أهم القبائل التي تعاونت مع الاسبان تحت عنوان " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر".

وأخيرا أرجو أن تكون محاولتي قد وفقت في سد جانب من جوانب التاريخ المحلي الخاص بالغرب الجزائري وكذلك التاريخ الوطني حيث أن الأوان لإزالة الزيغ والغموض الذي الصق به ضرورة إبراز الحقائق عن ماضيها ومنجزات أجدادنا عبر مسيرة التاريخ الطويلة.

وما توصلنا إليه من نتائج نسبية لاتعدو أن تكون سوى مساهمة متواضعة فقط، وليست نهاية الدراسة التي لاتتوقف بسبب ظهور وثائق جديدة قد تساهم في إثراء الموضوع، ورغم أن مثل هذا العمل شاق إلا انه ضروري وهي مهمة الباحثين الجزائريين في الجامعات الجزائرية.

الملاحق

- الملحق رقم (1): توزيع القبائل عبر بايلك الغرب قبل الاحتلال الاسباني لوهران والمرسى الكبير.
- الملحق رقم (2): أهم قبائل بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني.
- الملحق رقم (3): خريطة التقسيم الإداري للجزائر خلال القرن السادس عشر.
- الملحق رقم (4): خريطة توزيع القوى القبلية ببائلك الغرب وعلاقتها بالإدارة العثمانية.
- الملحق رقم (5): خريطة توزيع الثروة النباتية ببائلك الغرب خلال العهد العثماني.

الملحق رقم (1): توزيع القبائل عبر بايلك الغرب قبل الاحتلال الاسباني لوهراى والمرسى الكبير (1) .

القبائل	الأماكن وحدودها
قبيلة فروحة	بالقرب من سهل غريس، ومجاورة لقبيلة غريس نفسها الرابضة بأرض ملاته حتى نسمط.
العبيد الشراقة	قرب منطقة المقطع
حميان	بأرض الحفرة التابعة لقريبة ملاته
هبرة	بموضع يقال له يعلو في جبال سيرات
بني شقران	رجال عين الفرس الشرقية
كريشتل	بمزغان قرب مستغانم عند مصب نهر الشلف ثم ارتحلت إلى القرية الحاملة لاسمها حاليا شرق وهران.
غمرة	سكنوا خلف وهران في الحفرة بالتجاور مع حميان في سهل ملاته
غيزة	في نواحي تارقة قرب وادي المالح
أولاد عبد الله	بوادي الثلاثاء بملاته
الونازرة	بوادي سنان بعين تموشنت قرب تارقة المجاورة لغيزة
أولاد جلفة	بأراضي جبل هيدور غرب وهران حتى وادي يسر بتلمسان
أولاد زاير	بجبال تسالة بسيدي بلعباس
أولاد علي	بجبال سيرات في الجهة الأخرى من وادي سيق
أولاد ميمون	بثنية القصبة بتلمسان ، تحدها شرقا تسالة وجنوبا السلسلة الجبلية لتنيرة
أولاد إبراهيم	بوادي مكرة حتى سيدي إبراهيم تحدها غربا سلسلة تنيرة وشمالا أراضي أولاد ميمون

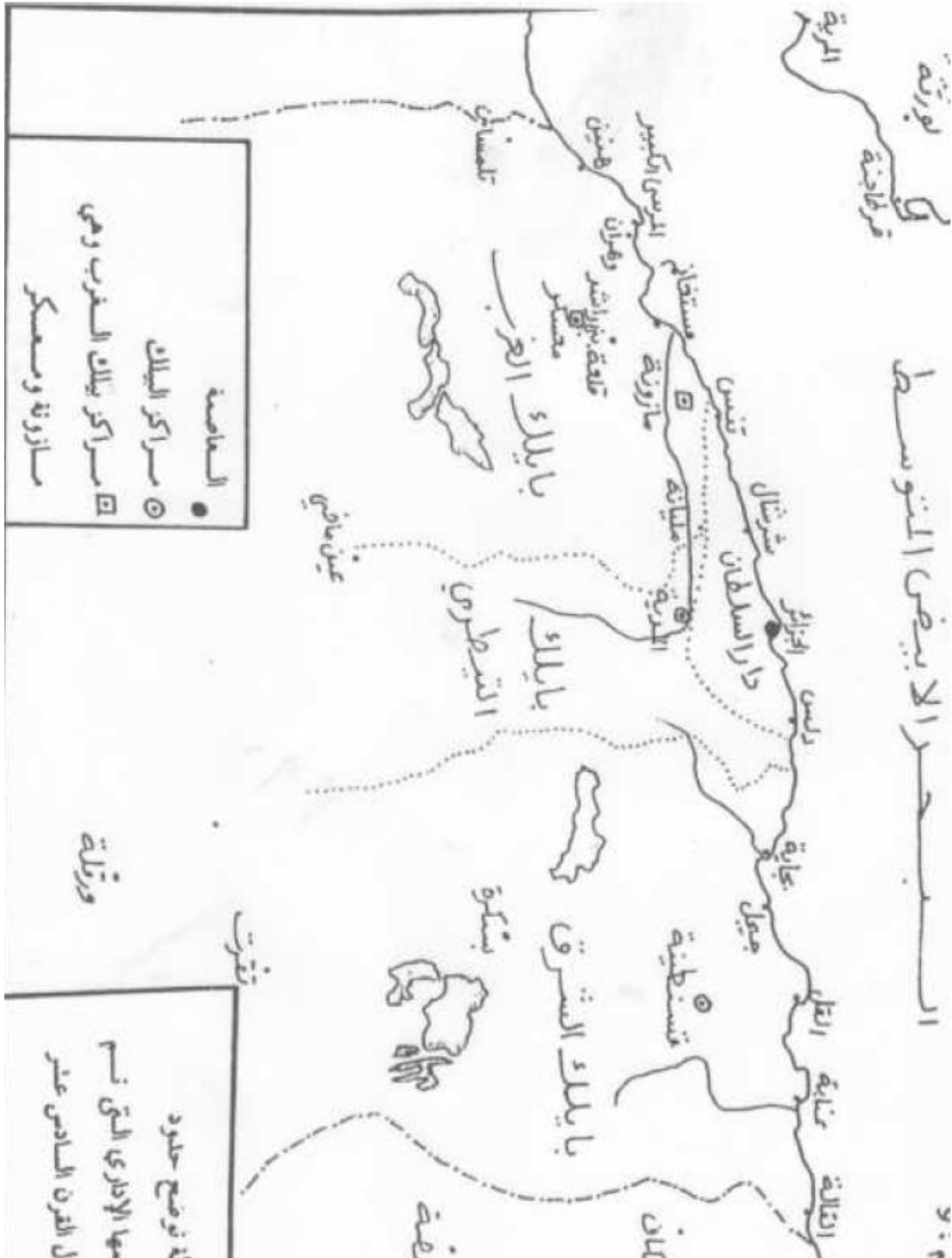
(1) سيد احمد، بلبوري، الاحتلال الاسباني لوهراى وانعكاساته الاجتماعية السياسية والاقتصادية، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 1985، ص 114.

الملحق رقم (2): أهم قبائل بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني⁽¹⁾.

القبائل المستقلة	القبائل المتحالفة	قبائل الرعية	قبائل المخزن
قبائل بني اوراغ	قبيلة اولاد سيدي عبد الله	قبيلة تحلايت	مخزن آغا الدواير
قبائل مطماطة	اتحاد قبائل بني هاشم	اتحاد قبيلة خليفة	مخزن آغا الزمالة
قبائل بني تيغزين		بني زدمة بفرندة	مخزن الغرابة
قبائل كرايش			مخزن الدرداب
قبائل حلوية	زاوية سيدي	قبيلة خلافة	مخزن المكاحلية
قبائل المعاصم	محمد بن عودة	فرندة	أولاد احمد
قبائل الحساسنة	قبيلة أولاد سيدي دحو	قبيلة بني جندل	برجية مستغانم
قبائل حميان	قبيلة أولاد ميمون	قبيلة هواة	عكرمة الغرابة
الغرابة		اتحاد قبائل	أولاد سلامة
قبائل العمور	قبيلة أولاد سيدي	الصحاري	خليفة بوعلي
قبيلة أولاد هلال	الناصر	قنادسة	أولاد رياح
قبيلة اولاد عنتر	قبيلة أولاد سيدي الشيخ	قبيلة عويسات	مخزن بني فاطم
		قبائل بني منيارين	اولاد خلوف
قبيلة عريب	قبيلة أولاد سيدي مجاهد	وطن الجبل	بني يحي
زكار		بتلمسان	عبيد عين الدفلى
قبيلة بني درجين			
اتحاد بني سنوس	قبيلة زاوية سيدي	قبيلة بني هديل	اولاد خالفة
اتحاد مغراوة	احمد	اتحاد قبائل	بطيوة
اتحاد بني بوسعيد	سبدو	ولهاصة	أولاد صاير

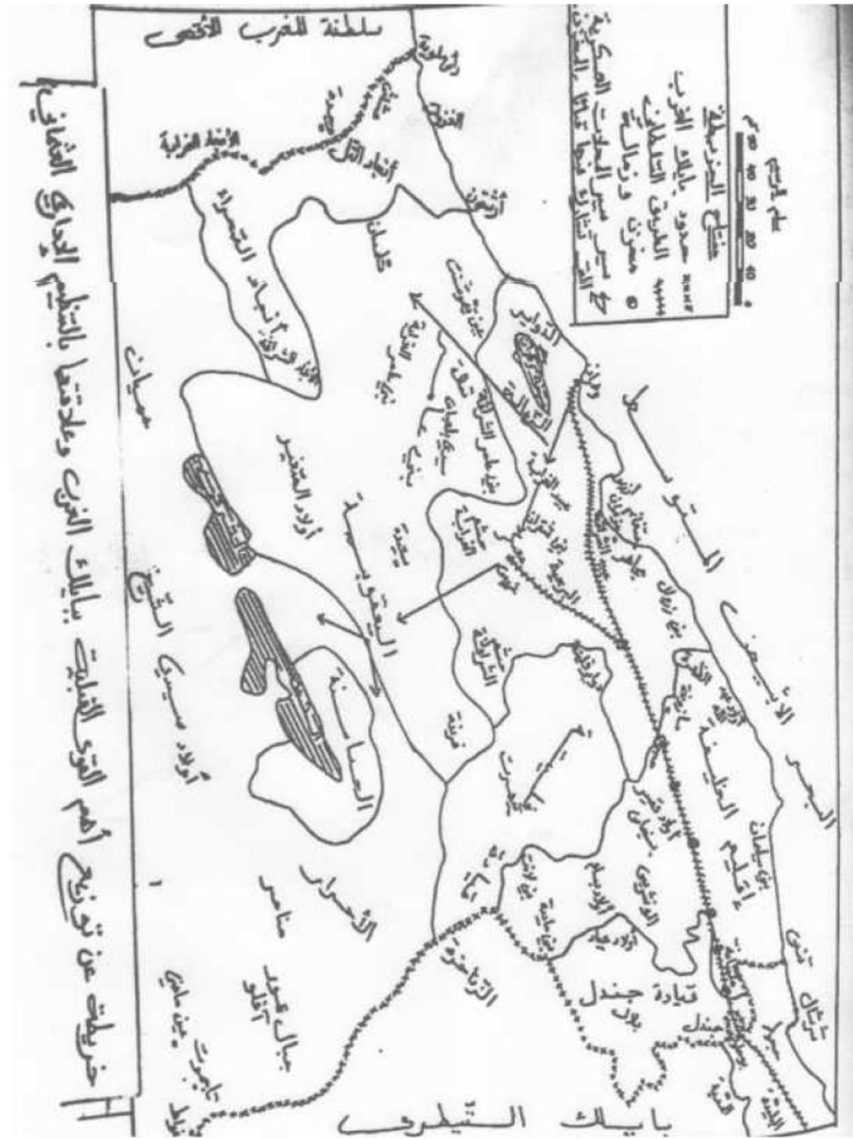
	قبيلة أولاد نهار بالعريشة	اتحاد قبائل زقزوق	غرامة
	اتحاد قبائل الاغواط	رعية فحوص ندرومة	الزهادية عتبة الجلابة
	اتحاد قبائل بليل	اولاد خويدم، قبيلة بني شعيب	بني شقران مخزن بني مسطور
	اتحاد قبائل سيام، قبيلة بني فراح، مشيخة جنحل، قبلة مجاجة، اتحاد قبائل ثنية الحد، اولاد عمار، وطن ندرومة.	اولاد عباس ، اتحاد قبائل العطاف	أولاد زايد

الملحق رقم (3): خريطة التقسيم الإداري للجزائر خلال القرن السادس عشر⁽¹⁾.



(1) عبد القادر، فكبير، الصراع الجزائري الاسباني خلال القرن 16، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 316.

الملحق رقم (4): خريطة توزيع اهم القوى القبلية ببايالك الغرب وعلاقتها بالإدارة العثمانية⁽¹⁾.



(1) سميرة، طالي معمر، القوى المحلية ببايالك الغرب في اواخر العهد العثماني 1792-1830 ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غي منشورة،

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

سورة الحشر.

1/المصادر:

1/المصادر المطبوعة:

1/باللغة العربية:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903.
2. _____، المقدمة، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
3. بن ميمون الجزائري، محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية (تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
4. بن هطال، احمد التلمساني، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، (تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم)، عالم الكتب، القاهرة، 1969.
5. التلمساني، ابن مريم محمد بن احمد، البستان في ذكر الأولياء بتلمسان (مراجعة: محمد بن ابي شنب)، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
6. الجامعي الفاسي، عبد الرحمن، مدينة وهران الرباط والتحرير من خلال شرح ارجوزة الحلفاوي التلمساني (تحقيق: العربي بوعمامة، حمدادو بن عمر)، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.
7. الراشدي، احمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني (تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي)، مطبعة البعث، الجزائر، 1973.
8. جيمس ليندر، كاثكارت، مذكرات أسير الداوي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب (ترجمة وتعليق وتقديم: اسماعيل العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
9. خوجة، حمدان بن عثمان، المرأة، (تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبير)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.
10. _____، إتخاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء (تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.

11. شالر، وليم، مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1822 (تعريب وتعليق: اسماعيل العربي)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
12. مارمول، كاربخال، إفريقيا (ترجمة: محمد حجي وآخرون)، ج2، دار المعرفة، الرباط، 1989.
13. الزهار، احمد الشريف، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1754-1830 (تقديم: احمد توفيق المدني)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
14. الزياتي، محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران (تقديم: المهدي البوعبدلي)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
15. الشويهد، عبدالله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705، (تحقيق وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني)، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006.
16. العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد، الرحلة المغربية (تحقيق وتعليق: محمد الفاسي)، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968.
17. الغريسي، ابن المختار الطيب، القول الأعم في بيان انساب قبائل الحشم، منشور ضمن مجموع مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961.
18. المزارى، بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 (تحقيق ودراسة: يحيى بوعزيز)، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990.
19. المشرفي، عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبنى عامر (تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم)، بدون دار نشر، بدون تاريخ.
20. المغيلي المازوني، أبو زكريا يحيى، الدرر المكنونة في نوازل مازونة (تحقيق: مختار حساني)، ج1، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2004.
21. المكناسي، محمد بن عثمان، الاكسير في افتكاك الأسير (تحقيق وتعليق: محمد الفاسي)، مطبعة اكдал، الرباط، 1965.
22. الناصري، ابوراس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار (تحقيق وتقديم: محمد غالم)، ط1، منشورات المركز الوطني للبحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005.

23. _____، الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية (ترجمها الى الفرنسية وعلق عليها: فور بيقى)، مطبعة بيبير فونتانا، الجزائر، 1903.
24. الورثاني، حسن، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (تحقيق محمد بن شنب)، فونتانا، الجزائر، 1907.
25. الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا (ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر)، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
26. الونشريسي، احمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب (تحقيق وتقديم: محمد حجي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

2/ باللغة الأجنبية:

1. Aramburu, Josephe de, Oran et l'ouest algérien au 18^e siècle (présentation et traduction De korso et palsa) , BN, Alger, 1978.
2. Aranda, emanuel, relation de la captivite et liberte de sieur emanuel d'aranda gadis esclave a alger, j mommart, bruxelle, 1662.
3. Arvieux, Chevalier, memoires contenant ses voyages a constantinople dans l'asie, la syrie, la palestine, L'egypte, et la barbarie, recuellis par le père labat, tos, paris, 1935.
4. Dan, Pierre, histoire de barbarie et ses corsaires, imprimerie pierre rocolet , paris, 1637.
5. Desfontaines et payssonel, voyage dans les régences de Tunis et d'Alger (presentation: dureau de la Malle), volume 2, gide, paris, 1858.
6. Desfontaines(L ,R) , fragments d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger fait de 1783 a 1786 , librairie de gide , paris, 1838.
7. Shaw, Thomas, voyage dans la régence d'Alger (traduction :J.mac carthy), 2eme edition, editions Bouslama, Tunis, 1980.
8. Tassy, Laugier de , histoire du royaume d'Alger (preface Noël Laveau Andre nouschi), edition loysel, Paris, 1992.

9. Pradis,venture de , tunis et alger au 18eme siècle, mémoires et observations rassembles et présentes par Joseph cuoq,edition sindbad, paris, 1983.
10. Peyssonnel,Jean- andre, voyage dans les regences de tunis et d'alger(Presentation et notes de lucette Valensi), editions la decouverte, paris, 1987.

2/المراجع:

1/باللغة العربية:

1. أندري برنيان، أندري نوشي، ايف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر (تعريب: رابح اسطنبولي،المنصف عاشور، مراد تفاحي)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984. ،
2. أندري جوليان، شارل، تاريخ إفريقيا الشمالية:تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الاسلامي الى سنة 1830(تعريب: محمد مزارى وآخرون)، ط 02، ج 02،الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.
3. بلحميسي،مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
4. بن اشنهو،عبد اللطيف، تكوين التخلف في الجزائر، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين 1830-1962،(ترجمة مجموعة من الأساتذة)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973 .
5. بن اشنهو،عبد الحميد بن أبي زيان، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1976.
6. بن محمد الجيلالي،عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج3،ط7،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
7. بوعزيز،يحيى، وهران، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007.
8. _____، حديث حول محاربة الأمير عبد القادر للشيخ التيجاني، منشور في كتاب مصطفى بن التوهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
9. _____، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،.

10. _____، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
11. _____، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
12. التميمي، عبد الجليل، موجز الدفاتر العربية التركية بالجزائر (القسم الثاني، الدفتر رقم 13)، منشورات المعهد الأعلى للتوثيق، تونس، 1983.
13. حاجيات وآخرون، عبد الحميد، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
14. الزبيري، محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
15. السليمان، محمد، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ط1، مطبعة الأمنية، الرباط، 1978.
16. سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.
17. سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
18. _____، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
19. _____، النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
20. _____، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية بالجزائر (الفترة الحديثة)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
21. _____، ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

22. سعيدوني، ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .
23. صادق، محمد الحاج، مليانة ووليها سيدي احمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964.
24. عباد، صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830 ، ط2، دار هومة، الجزائر، 2007 .
25. عبد السلام، رؤوف ، الملامح الاقتصادية لنظام الأصناف في العراق إبان العصر العثماني، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، العراق، 1986 .
26. محمد الأمير، عبد القادر، مذكرات سيرته الذاتية (تحقيق: محمد الغير بناني وآخرون)، ط3، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1998 .
27. مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي، ط1، ج3، دار العصر الحديث، بيروت، 1992 .
28. المدني، احمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792 (وثائق ودراسات)، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .
29. _____، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
30. نور الدين، عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء الحكم التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.
31. هلال، عمار، دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 .
32. وولف، جون ب ، الجزائر واوروبا 1500 - 1830 (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
33. الورطاسي، قدور الحسني، المطرب في تاريخ شرق المغرب، ط1، مطبعة الرسالة، الرباط، 1984 .
- ب/ باللغة الأجنبية:

1. Basset, René, nédroma et les traras ,leroux, paris, 1901.

2. Baudicour,Louis de, histoire de la colonisation de l'algerie, challamel, paris,1830.
3. _____, la guerre et le gouvernement de l'algerie ,sagnier et bray,paris,1853
4. Bel-ange,Norbet, les juifs de mostaganem,edition l'harmattan,paris,1990.
5. Belhamissi,Moulay, mazouna une petite ville une longue histoire, S.N.E.D , alger,1982.
6. _____, histoire de mostaganem, centre national des études historique, alger, 1976.
7. Berbruger, Andrian, d'un mémoire sur la peste en algerie depuis 1552 jusqu'en 1819 exploration scientifique deL'algerie,tome 2, impremerie royale,paris, 1847.
8. Bernard,Paul, les anciens impôts de l'afrique du nord, alcan, paris ,1925.
9. Biguet,Faure, histoire de l'afrique septentrionale sous la domination musulmane, henri charles la vauzelle ,Paris,1905.
10. Bontems,Claude, les institutions algerienne sous la domination turque,faculte de droit,alger,1970.
11. Boyer ,Pierre, l'evolution de l'Algerie mediane(ancien departement d'Alger de 1830 à 1956), Maisonneuve, Paris, 1960.
12. _____ , la vie quotidienne a alger a la veille de l'intervention francaise, hachette, paris,1963.
13. Braudel, Fernand, la méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II les événements, La politique et les hommes, tome 3,9eme édition ,armond colin, paris,1990
14. _____ , la méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II, routes, ports et Trafics, tome 1,Armand colin, paris, 1951

15. Bussy, Genty de , l'établissement des français dans la régence d'alger, tome 2, 2eme edition, librairie firmers Didot frere, paris, 1839.
16. Caporal, Bernard, oran capitale du beylik de l'ouest 1792-1831, edition alpha. Alger, 2012.
17. Carette, Eugene, commerce de l'algerie avec l'afrique centrale, cuyot, paris, 1844.
18. Colombe, Marcel, l'algerie turque, maisonneuve, paris, 1957.
19. Cocq, Andre , histoire de tlemcen ville française, edition internationale, tanger, 1940.
20. Daumas (E), mœurs et coutumes de l'Algérie, sindbad, paris, 1988.
21. Dermenghem, Emile, le culte des saints dans l'islam maghrebin, gallimard, paris, 1954.
22. Deneveau, les khouan ordre religieux chez les musulmans de l'algerie, 2eme editions, imprimerie Guyot, paris, 1846.
23. Devoulx, Albert, tachrifat. recueil de notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger , Imprimerie du gouvernement, Alger, 1952.
24. Emerit, Marcel, l'algerie a l'epoque d'abdelkader, edition la rose, paris, 1951
25. Esterhazy, Walsin, la domination turque dans la régence d'Alger, librairie de Charlesgosselin, paris, 1840.
26. Fey, Henri Leon ; histoire d'oran avant pendant et apres la domination espagnole, typographie adolphe , freres editeur, oran, 1858.
27. Ganiage(j), histoire contemporainedu maghreb de 1830 a nos jours, edition fayard, paris, 1944.
28. Gardet, Louis, les hommes de l'islam approche des mentalités, éditions complexe, bruxelle, 1984.
29. Garnier Jacqueline Beaujeu, , geographie urbaine, armand colin, paris 1980.

30. Grammont , Henri delmas de, histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830 (présenté Lemnouar merouche), édition bouchene, paris, 2001.
Grand guillaume, Gilbert, nedroma l'évolution d'une medina, leyden, brill, 1976.
31. Kaddache, Mahfoud, l'algerie durant la periode ottomane, 3eme edition, O.P.U , alger, 1998.
32. Masson, Paul, histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque 1560-1793 Hachette, paris, 1909.
33. _____ , l'agence nationale d'Afrique 1794-1801, hachette, paris, 1921.
34. Mauroy (M), précis de l'histoire et du commerce de l'Afrique septentrionale depuis les temps anciens Jusqu'au temps moderne, 4eme edition, impremerie royal, paris, 1852 .
35. _____, l'agence nationale d'Afrique 1794-1801, hachette, paris, 1921.
Mauroy (M), précis de l'histoire et du commerce de l'Afrique septentrionale depuis les temps anciens Jusqu'au temps moderne, 4eme edition, impremerie royal, paris, 1852 .
36. Merad, Boudia , la formation sociale algerienne precoloniale, O.P.U, alger, 1981.
37. Merouche, Lemenouar, recherches sur l'Algérie a l'époque ottomane , monnaies, prix et revenus 1520-1830, Edif, alger, 2000.
38. Msefer, Gaoud, villes islamiques cites d'hier et d'aujourd'hui, la plume, tunis, 1984.
39. Nouschi, Andre, enquete sur le niveau de vie des populations rurales constantinois de la conquete jusqu'en 1919 essai d'histoire economique et sociale, P.U.F, paris, 1961.

40. Pellary, Pierre , notices geographiques sur le dahra oranais, secretariat de l'association,paris,1896.
41. Plantet,Eugene, correspondance des deys d'alger avec la cour de France 1579-1833, volume 2,edition Bouslama, tunis,1981
42. Perrol(A.M) , alger equisse topographique et historique du royaume et de la ville, 3 eme edition, Imprimerie de gaultier la guioque,paris, 1830
43. . Primaudie Elie de la ,histoire de l'occupation espagnole en afrique 1506-1574, jourdan, alger,1875.
44. _____, le commerce et la navigation de l'algerie avant la conquete francaise, impremerie La hure, paris, 1861, p : 216
45. Raymond,Andre, grandes villes arabes a l'époque ottomane,sindbad,paris, 1985.
46. Roux,Alfred, la cvlisation ottoman, edition oriental, paris, 1997.
47. Rozet(M), voyage dans la regence d'alger ou description du pays occupe par l'armee francais en afrique, 3 Volume, arthus bertrand, paris, 1833 .
48. Ruff,Paul, la domination espagnole a oran sous le gouvernement du conte d'alcadaute1534-1558, leroux, Paris, 1900.
49. Sari,Djilali , les villes precoloniales del'algerie occidentale, nedroma, mazouna,kalaa,sned,alger,1970.
50. Sir goldfrey,Fisher, legende barbaresque- guerre,commerce et piraterie en afrique du nord de 1415 a1830, (traduit et annote: farida hellal),O.P.U,alger,2000.
51. Thomassy,Renard, le maroc et ses caravanes, relation de la France avec cette empire, firmindidot,paris,1845 .
52. Tinthoin,Robert, mers-el kebir,librairie fouque, oran,1952.
53. _____ , l'oranie sa geographie son histoire ces centres vitaux, fouqué, oran,1952

54. _____, colonisation et evolution des genres de vie dans la region ouest d'oran de 1830 a 1885, Librairie fouque, oran, 1947.
55. Tomarel,A, guide generale de l'algerie, impremerie de lavigne,paris 1855.
56. Tourneau,Roger le, les villes musulmans de l'afrique du nord,maison de livre, Alger,1957,p39.
57. Turin,Yvonne, affrontements culturels dans l'algerie coloniale ecoles, medecines, religion(1830-1880), Maspero,paris,1971.
58. Vatin,Jean claude, l'Algérie politique histoire et societe,armand colin ,paris ;1974.
59. Veronne,Chantal de la, oran et tlemcen dans la premiere moitie de 16 siecle, geuthner,paris,1983.
60. Yacono ,Xavier, l'histoire de l'algerie de la fin de la regence turque a l'insurrection de 1954, l'antlanthrope , Paris,1993.
61. _____ ,les bureaux arabe et evolution du genres de vie indigenes dans l'ouest de tell algerien(dahra, Chelif,ouarsenis,sersou),tome 01, edition la rose , paris, 1953.
62. _____, la colonisation des plaines du chelif,tome 2, imbert, alger,1955.

3/الدوريات:

1/باللغة العربية:

1. أوغلي،خليل الساحلي، «تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب سنة 1552»، المجلة التاريخية المغربية، العدد 2، تونس، 1974، ص ص123- 132.
2. ايفانوف،نيقولا، « الفتح الإسلامي للأقطار العربية1516-1574 »، مجلة الاجتهاد، العدد 44، المغرب، 1999، ص ص 212.
3. بلحميسي،مولاي، « تحرير مدينة وهران سنة 1708»، مجلة تاريخ وحضارة المغرب،العدد 09، الجزائر، 1970، ص ص55- 75.

4. _____ ، «نهایة دولة بني زيان»، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1975، ص ص 30-36.
5. بن خروف عمر، «العلاقات الخارجية للجزائر في العهد العثماني سياسيا واقتصاديا وثقافيا»، عرض بحث قدم في ندوة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 ، الجزائر، يوم الثلاثاء 2002/05/28.
6. بوشنافي، محمد، «دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الاسباني 1791 من خلال مصادر معاصرة»، مجلة عصور جديدة، العدد 01، الجزائر، 2011، ص ص 85-95 .
7. بوزياني، قدور، «مسألة الحدود بين المغرب وأترك الجزائر»، مجلة المغرب في العهد العثماني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 41، ص ص 25.
8. بوعزيز، يحيى، «علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا فيما بين القرن 16 ومطلع القرن 19»، مجلة الثقافة، العدد 48، الجزائر، 1978، ص ص 17-34.
9. _____ ، «مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا من خلال مراسلات الداى محمد عثمان باشا 1780-1787» مجلة التاريخ، العدد 18، الجزائر، 1985، ص ص 125-152.
10. _____ ، «أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و20»، مجلة الثقافة، العدد 63، الجزائر، 1981، ص ص 12.
11. بوغفالة، ودان، «أوقاف النساء في مدينة مليانة من خلال وثائق الأرشيف العثماني»، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الأول، جامعة سيدي بلعباس، 2009، ص ص 09-17.
12. خلف التميمي، عبد المالك، «ملامح الوضع الاقتصادي في المغرب العربي قبيل الاستعمار الغربي»، المجلة التاريخية المغربية، العدد 29-30، تونس، 1980، ص ص 109-124 .
13. سعيدوني، ناصر الدين، «وضعية عشائر المخزن الاجتماعية والآثار التي ترتبت عليها»، المجلة التاريخية المغربية، العدد 07-08، تونس، 1977، ص ص 69-77 .
14. _____ ، «نظرة في التاريخ الاقتصادي للجزائر في العهد العثماني»، مجلة سرتا، العدد 03، قسنطينة، 1980، ص ص 79.

15. صاري، جيلالي، « أضواء على احد موانئ دولة بني زيان "هنين"»، مجلة التاريخ، العدد 12، الجزائر، 1986، ص ص 17- 25.
16. غالم، محمد، «ظاهرة الزلزال في الاسطوغرافيا الجزائرية التقليدية بين الذاكرة والتاريخ» مجلة إنسانيات، وهران، العدد 03، 1998، ص ص 47- 67.
17. غطاس، عائشة، «الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 76، 1983، ص ص 121-130.
18. فيلاي، كمال، « هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني»، مجلة المواقف، عدد خاص، ابريل، معسكر، 2008، ص ص 373-380.
19. قداش، محفوظ، «الجزائر في العهد التركي»، مجلة الأصالة، العدد 52، 1977، الجزائر، ص ص 20-08
20. البوعبدلي، المهدي، « أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني»، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 08، 1972، ص ص 273- 290.
21. _____، «الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى»، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 13، 1973، ص ص 19- 37
22. المدني، احمد توفيق، « تلمسان بين الزبانيين والعثمانيين 1530- 1554»، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 26، الجزائر، 1975، ص ص 37- 45.
23. مزيان، عبد المجيد، « المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار» مجلة التاريخ، العدد 02، الجزائر، 1986، ص ص 10-25.
24. مسعود، العيد، « حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة سرتا، العدد 03، قسنطينة، 1980، ص ص 58-74.
25. _____، « المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة سرتا، العدد 10، قسنطينة، 1988، ص ص 04- 25.
26. موساوي القشاعي، فلة، «وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله»، مجلة دراسات انسانية، العدد 1، وهران، 2001، ص ص 134- 148 .

27. ميسوم، ميلود، « مدرسة مازونة مسيرة علمية تزيد عن ربع قرن »، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 06، جامعة سيدي بلعباس، 2013، ص ص 29- 42 .
28. هلايلي، حنيفي، « عملاء وجواسيس الاسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر»، مجلة الحوار الفكري، الجزائر، العدد 07، 2007، ص ص 145- 155.
29. _____، « الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش»، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 20 ، قسنطينة، 2006، ص ص 189- 204.
30. ياسين، حكمت، « الغزو الاسباني للجزائر في القرن 16 أسبابه- مراحل- نتائجه»، مجلة الأصالة، العدد 14- 15، الجزائر، 1973، ص ص 241- 255.

ب/ باللغة الأجنبية:

1. Bache , (P.E) , «la propriété arabe en Algérie avant 1830» , in **R.A.C** , T 3 , 1860 ,pp :693-700.
2. Belalfred ,« Nedroma métropole musulmane des traras» In **B.S.G.A.A**, no 140,1934,pp :503-525.
3. Bendali Hocine, , et Cherif,Rabie Elias , « un historien algérien méconnu mohammed bouras», in **R.A** ,n°2, Janvier 1972,pp65- 75.
4. Berbrugger ,Andrian, « la regence d'alger sous le consulat et l'empire» in **R.A**,n°15,1871,pp :241-260 et 321-334 et 401-414.
5. Berque,Jacque, «medinas, villeneuves et bidonvilles» ,in **C.T** ,n° 21,1958,pp 05-42.
6. _____,« en lisant les nawazil mazouna»in studia islamica,n°32,1970,pp :31-39.
7. Biguet,Faure, «notice sur le cheikh mohammed abou ras en nasiri extaits de son autobiographie»,in **J.A**,tomeXIV ,1899,pp :304-351 et 388- 420.
8. Bloch,Isaac, « les israélites d'Oran de 1792-1815»,in **R.J**,n°13,1886,pp :85- 104.

9. Bodin, Marcel, « notes et questions sur sidi ahmed ben youcef », in **R.A**, n°66, 1925, p : 125-189.
10. ———, « nécessité de fortifier d'Oran en 1576 », in **B.S.G.A.O** , n°55, 1934, p : 312.
11. ———, « notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader el mecherfi » , in **R.A**, n°LXV, 1924, pp : 193-260.
12. ———, « la brève chronique du bey Hassan extraite et traduite de tal'at sa'd so'oud de mazari », in **B.S.G.A.O** , tome XLIV , 1924, pp : 23- 61.
13. ———, itinéraire historique et légendaire de mostaganem et sa region », in **B.S.G.A.O** , tome LIV , 1933, PP : 183- 262.
14. Braudel, Fernand, « les espagnols en Afrique du nord », in **R.A** , n°69, 1928, pp : 184- 233 et 351-428.
15. ———, « l'économie de la méditerranée au 17eme siècle », in **C.T** , tome 04, no 14, 1956, pp : 175-197.
16. Boyer, Pierre, « historique des Beni Ameur des origines au sénatus consulte » in **R.O.M.M**, N°24, 1977, pp : 39-83.
17. ——— , « le problème kouloughli dans la régence d'Alger », in **R.O.M.M** , n° special, 1970, pp : 78-94.
18. ———, « contribution a l'étude de la politique religieuse des turcs dans la regence d'alger du 16 au 19 Siecles », in **R.O.M.M**, n°01, 1966, pp : 11-49.
19. Cazenave, Jean, « cervantes a oran 1581 », in **B.S.G.A.O** , n°43, 1923, p : 216.
20. ———, « les gouverneurs d'Oran pendant l'occupation espagnole de cette ville 1509-1792 », In **R.A**, n° 71, 1930, pp : 257-299.

21. _____ , « les presides espagnols d’afrique,leur organisation au 18 siecle»,in**R.A**,n°LXIII,1922,pp 303-379.
22. Conal,Joseph, «monographie de l’arrondissement de tlemcen», in**B.S.G.A.O** , n°09,1887,pp :1-10.
23. Cueva,Francisco De la, « guerre de Tlemcen, traduction de camille brunel », in**B.S.G.A.O**,n°10,1891,p :379.
24. Delpech,Adrien ; « résumé historique sur soulèvement des darkaoua de la province d’Oran d’après la chroniQue d’el- mosselem ben mohammed bach deftar de bey hassan de 1800- 1813»,in **R.A**,tome XVIII ,1874,pp :38- 58.
25. Devoulx,Albert, «notes historiques sur les mosqués et autres édifices religieux d’alger»,in **R.A**,n°05,1861,p : 390 .
26. Diego de,Haedo, « histoire des rois d’alger,traduit par H.D Grammont»,in **R.A** , n°24-25,1880-1881, pp272- 273 .
27. El mecherfi,Abdelkader, «l’agrement de lecteur,notice historique sur les arabes soumis aux espagnols Pendant leur occupation d’oran(traduit par marcel bodin)», in **R.A**,lxv N°319,2eme trimestre 1924,pp :193-260.
28. Eisenbeth(M),« les juifs en algerie et en tunisie » ,in **R.A**, no 96, 1952, pp:134-146.
29. Emerit,Marcel, « la situation économique de la régence d’alger en 1830»,in **I.H** ,n°2,14annee,1952,pp :169-172.
30. _____ , «les aventure de thedenat esclave et ministre d’un bey d’afrique au 18 siecle 1772-1782»,in **R.A**, tome XCII, 1948,pp :143-184 et 331-362.
31. Feraud,Charle, « lettre arabes de l’époque de l’occupation espagnole en algerie»,in**R.A**,n°17,1873,pp :313-321.
32. Galissot,René, « le maghreb precolonial,mode de production archaïque ou mode de production féodal »,in **la pensée**, n° 2,1968,pp : 57-73.

33. _____ « essai de definition du mode de production de l'Algérie précoloniale », in **R.A.S.J**, n°02, 1968, pp : 385-412.
34. Garrot, (H), « l'islamisme et son action en berberie », in **B.S.G.A**, 11eme annee, 1906, pp :160-183.
35. Geniaux, Charle, « mazouna », in revue des deux mondes, 1921, pp :432-452.
36. Gorguos, Andre, « bou ras historien inédit de l'Afrique septentrionale », in **R.A** , tomeV, 1860, pp114-124 et 210-222 et 376-385.
37. _____, « notice sur le bey d'oran mohammed el kebir » in **R.A** N°1, 1856, pp :403-416 et 454-463.
38. Guin, (L), « quelques notes sur les entreprises espagnols pendant la premiere occupation d'oran », in **R.A**, n°30 , 1866, pp :316-317-318 .
39. Hassaine, Ismet Terki, « la politique commerciale espagnole dans l'algerie ottomane 1787-1830 », in cahiers **CRASC**, n°09, 2005, pp :135-167.
40. _____ , « oran au 18 siecle : du dessarroi a la clairvoyance politique de l'Espagne », in **Insaniyat**, n° 23-24, 2004, pp :197- 222.
41. Hoexter, Miriam, « taxation des corporations professionnelles d'Alger a l'époque turque », in **R.O.M.M**, n°31, 1981, pp :19-39.
42. Houdas, (O), « notice sur un document inédit », in recueil des mémoires orientaux, avril 1905, pp :41-83.
43. Janier , Emile , « les industries indigenes de la region des traras » in **R.A** , no, 1944, p :43.
44. Kehl, Camille, « oran et l'oranie avant l'occupation française », in **B.S.G.A.O** , n°63, pp :05-59.
45. Kuran, Erkument, « la lettre du dernier dey d'alger au grand vizir de l'empire ottoman », in **R.A**, N°96, pp :188-195.

46. Ilespinasse (E), « notice sur le hachem de mascara », in **R.A** N°21,1877, pp :141-151.
47. Lespes,Rene, « oran ville et port avant l'occupation francaise» in **R.A**, no LXXV,1934, pp :227-335.
48. Mangin, (E), «note sur l'histoire de laghouat», in **R.A**,n°38,1894, pp :79-108 et 273-324.
49. Marçais,Georges, « recherche d'archeologie musulmane honain», in **R.A**, tome LXIX,1928,pp :333-350.
Masson,Paul, « a la veille d'une conquete.concessions et compagnies d'afrique 1800-1830», in **B.G.H.D**,n° 02,1909,pp :48-124.
50. Mercier,Ernest, « la propriété indigène en mag'reb selon l'ouvrage dit : la regle des princes et des khalifes Fixant l'etendue de leurs pouvoir légaux de mohammed el mostafa ben abdellah descendant de l'ouali sidi Abderrahmane ben ali»,in **R.N.M.S.A.C** ,tome XXXII ,1898,pp : 312- 340.
51. Paradis, Venture de, « alger au 18eme siecle», in **R.A**, n°,1895, p290.
52. Pascon,Paul, « la situation politique du Haouz»,in **henedote**,n°11,1978,pp :137-157.
53. Pellecat, (commandant),«contribution a l'histoire du vieil oran » ,in **B.S.G.A.O** , tomeXLIV.1924 ,pp :99-130 et 211-266.
54. Primaudie,Elie De la , « documents inedits sur l'histoire de l'occupation espagnols en afrique 1506-1575», in **R.A**,n° 19,1875,pp :62-77 et148-157 et161-193 et265-288 et337-360 et483-496.
55. Prosper ,Ricard , « l'artisanat indigene en oranie , quelque apercus sur cette branche deL'economie algerienne», in **B.S.G.A.O** , no 61, 1939-1940, pp :97-147.

56. Rinn,Louis, «le royaume d'alger sous le dernier dey»,in **R.A**, n°43,1899,pp105-141 et 297-320.
57. Stanbouli Fredj, et Zghal, (A), « la vie urbaine dans le maghreb precoloniale » in **A.A.N** ,n°11,1972,pp :191-213.
Stanbouli Fredj, « système social et sataification urbaine au Maghreb» in **R.T.S.S**,no50,pp :69-106.
58. Tinthoin,Robert, « la plaine de relizane avant l'irrigation » in **B.S.G.A.O**,T 73,1950,pp :91-113.
59. Vallejo, Joseph, «contribution du vieil Oran» traduc :commandant pellectat,in **B.S.G.A.O** ,n°46,1926,pp :211-238.
60. Vilar,Juan Bautista , « relaciones comerciales hispano-argelinas en el periodo 1791-1814» in **hispania**, n° 34,1974,pp :435-442.
61. Villot,Roland, « arzew sous l'occupation espagnole et la domination turque», in **B.S.G.A.O** , no 74,1951,pp : 05-12.

4/الأطروحات الجامعية:

1/باللغة العربية:

1. بلبروات، بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة وهران، 2007-2008.
2. بلبوري، سيد احمد، الاحتلال الاسباني الأول لوهران وانعكاساته الاجتماعية السياسية والاقتصادية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة، جامعة وهران، 1985.
3. بلبل،رحمونة، العلاقات التجارية لولاية الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط مرسيليا وليفون 1700-1827، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة، جامعة وهران، 2002-2003 .
4. بنحادة،عبد الرحيم، المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث غير منشورة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهراس، فاس، 1995-1996.

5. حساني، مختار، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط غير منشورة، جامعة الجزائر، 1985-1986.
6. دحماني، توفيق، النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني 1779-1830، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2003-2004.
7. دغموش، كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509-1792)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013-2014.
8. شدري معمر، رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830)، مذكرة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005-2006.
9. الغاشي، مصطفى، الرحلة المغربية والشرق العثماني محاولة في بناء الصورة، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث غير منشورة، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001-2002.
10. طالي معمر، سميرة، القوى المحلية ببايلك الغرب في أواخر العهد العثماني 1792-1830، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2009-2010.
11. فكاير، عبد القادر، الصراع الجزائري الاسباني خلال القرن 16، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2000-2001.
12. كشرود، حسان، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659-1830، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2007-2008.
13. هلايلي، حنيفي، النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن 17 حتى 1830، أطروحة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2003-2004.
14. الواليش، فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994.

2/ باللغة الأجنبية:

1. Cara Del Aguila, Louis, les espagnols en afrique du nord, relations politiques et commerciales avec l'algerie 1786-1830, these de doctorat 3eme cycle dactylograhee, etude iberiques, bordeaux 3, 1974.

2. Saidouni, Nacereddine, la vie rurale dans l'algérois de 1791 a 1830, thèse pour le doctorat d'état –lettres et Sciences humaines, université d'Aix Marseille, 1988.

الفهارس

الفهارس العامة

- فهرس الأعمــــالـم.
- فهرس القبائل والجماعات.
- فهرس الأماكن الجغرافية.
- فهرس الوظائف والالقباب الادارية.
- فهرس الموضوعــــات.

عبد القادر المشرفي: 24، 69، 163، 171.

عبد الله (الرخاوي): 160، 162، 165.

- ف -

فرديناند: 10، 11، 14، 31.

فانتور دوبارادي: 110، 124، 129.

فلوريدا بلانكار (وزير أول): 110.

- ق -

قارة باغلي: 136.

- ك -

كوهين بكري: 98، 99.

- م -

محمد بن عثمان: 39، 52، 53، 54، 55، 64، 67،

70، 97.

مصطفى الأحمر: 51، 74، 104.

مولاي اسماعيل (السلطان): 39، 48، 57، 58، 65،

66، 164.

- ن -

نفتالي بوشناق: 103، 104.

- ه -

هاشمي بن زرفة: 149.

هني (الشيخ): 153.

- ي -

يجي الونشريسي: 159، 182.

يوسف المسراقي: 51، 52.

فهرس القبائل والجماعات.

171,174, 170, 169, 167, 164, 163, 162	- أ -
أولاد عبد الله: 24, 27, 28, 113, 174.	البرجية: 48, 56, 58, 61, 128.
أولاد علي: 16, 24, 27, 28, 30, 38, 62, 84,	الحشم: 28, 48, 56, 57, 58, 61, 66, 70, 74.
174, 169.	الدواير: 43, 44, 47, 48, 50, 53, 56, 57, 58.
أولاد سليمان: 25, 28, 30, 38, 71.	59, 60, 61, 63, 71, 124, 127, 175.
- ب -	الزمالة: 28, 43, 44, 47, 48, 53, 56, 57, 58.
بني راشد: 09, 15, 16, 19, 20, 21, 22, 29,	60, 61, 62, 71, 93, 124, 175.
32, 35, 37, 49, 50, 62, 74, 137, 144.	الزيانيون: 02, 19, 58.
بني شقران: 16, 28, 30, 58, 61, 62, 74,	العثمانيون: 02, 03, 07, 08, 09, 16, 17, 19,
174.	20, 24, 29, 31, 32, 33, 34, 35, 37, 38,
بني عامر: 07, 09, 13, 16, 21, 24, 25, 26,	39, 41, 42, 43, 50, 51, 59, 66, 68, 69,
27, 29, 38, 39, 50, 57, 59, 62, 66, 70,	70, 71, 82, 118, 128, 136, 137, 158,
71, 74, 83, 113, 120, 167, 171.	163, 165, 167, 169, 170.
بني غدو: 30, 56, 58, 61, 150.	الغرابية: 13, 48, 56, 58, 59, 60, 61, 127,
- ت -	175.
تيجانية: 70, 97.	المحال: 07, 29, 51, 52.
- ج -	الاسبان: 02, 03, 04, 07, 08, 09, 10, 11,
جماعة الاشراف: 137.	12, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 21,
- ح -	22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31,
حساسنة: 59, 60, 175.	32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 41, 42,
حميان: 24, 26, 27, 28, 56, 60, 114, 120,	51, 53, 54, 55, 58, 62, 63, 64, 65,
174, 175.	67, 68, 69, 74, 82, 83, 83, 93, 94, 98, 99,
	100, 101, 102, 103, 108, 109, 113, 114,
	122, 134, 138, 141, 146, 153, 156, 160,

فليتة: 29، 60، 70.	- د -
- ك -	درفاوية: 59، 70، 97.
كراغلة: 47، 51، 77، 85، 90، 136، 140، 142، 143.	- ر -
كريشتل: 09، 24، 25، 28، 38، 62، 169، 174.	- ز -
- م -	زنوج: 84، 90.
مجاهر: 29، 30، 56، 59.	- س -
محاميد: 58.	سويد(قبائل): 07، 19، 29، 30، 57، 60، 61.
مغاطيس: 28، 62.	سيدي الشيخ: 33، 60، 71، 94، 175.
مطماطة: 60، 128، 175.	- ش -
- و -	شافع(قبيلة): 24، 25، 26، 28، 29، 59، 114.
ونايزة: 16، 24، 27، 28، 58، 62، 174.	- ص -
وناونية: 58.	صبيح(جماعة): 56، 59.
- ي -	- ط -
يعقوبية: 25، 43، 56، 59، 60، 86، 120.	طرق صوفية: 60، 68، 69، 131، 135، 167، 169، 171.
يهود: 14، 15، 18، 27، 28، 32، 33، 39.	طيبية(طريقة): 69، 71.
54، 62، 82، 89، 98، 99، 103، 104، 105، 107، 113، 124، 131، 136، 138، 139، 140، 142، 143، 156، 160.	- ع -
	عبيد الشراقة: 26، 58، 174.
	- غ -
	غمرة: 16، 26، 28، 62، 174.
	غيزة: 16، 26، 27، 28، 38، 169، 174.
	- ف -
	فرنسيون: 74، 76، 99، 103، 105، 131.

فهرس الأماكن الجغرافية.

112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 120،	- أ -
121، 122، 123، 125، 127، 128، 129، 130،	أرزيبو: 18، 30، 95، 96، 99، 101، 102، 103،
131، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140،	104، 105، 106، 122.
141، 142، 143، 144، 145، 146، 148، 149،	اسبانيا: 03، 06، 08، 10، 12، 13، 15، 17، 18،
150، 154، 156، 157، 158، 159، 160، 161،	20، 21، 22، 34، 36، 39، 63، 65، 67، 94،
162، 163، 166، 167، 169، 170، 171، 174،	98، 99، 100، 102، 103، 109، 114، 167.
175، 178، 179.	افريقيا: 02، 03، 10، 11، 17، 70، 72، 91،
باب عزون: 125، 126.	100، 103، 105، 153.
بسناس: 60، 71.	الجلترا: 03، 64، 105، 106، 112.
بني سنوس: 60، 120، 175.	الاندلس: 09، 10، 31، 62، 74، 87، 90، 137،
- ت -	142، 150، 153، 155، 159، 161، 164.
تافلالت: 93، 94.	المرسى الكبير: 02، 03، 05، 06، 10، 11، 12،
تامزوغة: 26، 27، 28.	13، 14، 15، 16، 17، 18، 24، 36، 37، 39،
ترة(جبال): 04، 71، 91، 144.	45، 49، 50، 58، 62، 63، 64، 65، 68، 69،
تسالة(جبال): 26، 27، 28، 29، 50، 56، 59، 69،	72، 74، 77، 87، 97، 104، 109، 117، 153،
71، 174.	162، 169، 174.
تموشنت: 22، 27، 28، 141، 174.	المغرب الاقصى: 04، 05، 09، 32، 35، 41، 63،
تلمسان: 02، 04، 05، 06، 07، 08، 09، 10، 11،	77، 149، 150، 159، 169، 170.
12، 13، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22،	- ب -
23، 24، 26، 31، 32، 35، 37، 39، 42، 46،	بايلك الغرب: 04، 41، 42، 43، 44، 47، 48،
49، 51، 52، 54، 57، 58، 60، 62، 70، 71،	49، 50، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 61،
76، 77، 78، 79، 82، 83، 84، 85، 86، 87،	62، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 75،
	88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97،
	98، 99، 100، 102، 103، 106، 109، 110،

دار السلطان: 42، 43، 55، 96، 125.	88، 89، 91، 92، 93، 94، 93، 94، 95، 109،
- ر -	116، 120، 121، 124، 130، 135، 136،
رأس فالكون: 11، 50، 86.	138، 139، 141، 143، 144، 145، 147،
رأس العين: 35، 55، 136، 165.	148، 149، 151، 153، 155، 157، 158،
راشدية: 57، 163.	159، 160، 161، 162، 166، 167، 170،
رشقون: 05، 21، 72، 87.	171، 174، 175.
- ز -	تنس: 02، 06، 07، 08، 09، 12، 13، 15، 17،
زوجة الوسط (موقع): 39، 65.	18، 20، 22، 39، 42، 43، 59، 85، 122،
زمول: 119، 125، 127، 128.	169.
- س -	توات: 94، 143.
سيدي بلعباس: 04، 77، 170، 174.	تومبوكتو: 03، 95.
سيدي عابد (مرجة): 125.	- ث -
سيدي محمد بن عودة: 138، 154، 175.	ثنية الحد: 60، 176.
سيرات (سهل): 24، 174.	- ج -
سيق: 24، 26، 27، 58، 85، 86، 125، 166،	جبال عمور: 70، 120.
170، 174.	جبل طارق: 95، 106.
سودان: 74، 92، 93، 94، 130، 143.	جديوية: 125، 127.
- ش -	جبل المائدة: 26، 141.
شرق أوسط: 147.	- ح -
شلف: 04، 07، 24، 29، 42، 43، 52، 56، 59،	حاج منداح (موقع): 125، 127.
65، 68، 73، 84، 86، 92، 93، 174.	حجاز: 03، 05، 26، 27، 28، 161.
- ص -	حمام بوحجر: 56، 93.
صاحي بو خضرة: 125.	- د -
الصفصاف (جسر): 92.	دار عزيزة: 126.

القوناق (مكان للراحة): 124، 125، 127، 128.	- ط -
- ك -	طافراوي: 59، 62.
كرسوط (جبل): 163.	- ظ -
كرمة المسولان: 125.	ظهرة (سهل): 04، 07، 68، 73، 85.
الكرط: 16، 28، 57، 62، 163.	- ع -
- ل -	عين البرد: 27.
ليفورنة: 104، 106.	عين الترك: 36، 50.
- م -	عين الحوت: 85، 160.
مارسيليا: 05، 97، 103، 104، 105، 138، 139.	عين ماضي: 70.
مازونة: 07، 27، 41، 42، 43، 46، 49، 54، 55.	- غ -
59، 73، 74، 75، 76، 87، 88، 89، 92، 116،	غريس: 16، 62، 69، 77، 84، 85، 161، 165،
121، 125، 128، 137، 139، 141، 145، 149،	170، 174.
153، 155، 158، 159، 161، 163، 169، 171.	غزوات: 05، 72.
مراكش: 03، 30، 94.	غليزان: 60، 86، 141.
مزگران: 08، 18، 19، 24، 36، 174.	- ف -
مستغانم: 02، 05، 06، 07، 08، 09، 18، 19، 29،	فاس: 03، 05، 08، 21، 32، 34، 52، 54، 72،
30، 36، 38، 39، 41، 42، 50، 51، 54، 59،	74، 93، 94، 95، 96، 109، 130، 154، 164.
73، 74، 75، 76، 85، 86، 87، 88، 89، 92،	فرطاسة (موقع): 70.
93، 94، 102، 116، 120، 121، 128، 137،	فرنسا: 03، 06، 37، 64، 94، 103، 104، 105،
138، 139، 141، 149، 153، 155، 156، 158،	106، 112، 139، 167.
160، 169، 171، 174، 175.	فالنسيا: 100، 147.
مسرخين: 13، 84، 136.	- ق -
معسكر: 04، 16، 22، 23، 41، 42، 43، 50، 51،	قيطنة (زاوية): 55، 69، 154، 160، 163.
52، 53، 54، 56، 57، 60، 63، 74، 75، 76،	القلعة (بلدة): 09، 21، 122، 130.

،119 ،116 ،114 ،113 ،109،111 ،106 ،105
 ،134 ،131 ،130 ،129 ،128 ،123 ،122 ،120
 ،156 ،153 ،151 ،148 ،141 ،139 ،138 ،137
 ،167 ،166 ،165 ،164 ،163 ،162 ،161 ،160
 .174 ،171 ،170 ،169

وادي ارهيو: 73، 89.

وادي تليلات: 16، 23، 56، 59، 125.

وادي الحمام: 69، 128، 154، 170.

وادي الغاسول: 27.

وادي المالح: 21، 24، 174.

وادي المبطوح: 30، 160.

- ي -

يلل (سهل وموقع): 125، 127.

،101 ،99 ،98 ،95 ،93 ،91 ،89 ،88 ،77
 ،138 ،135 ،129 ،128 ،121 ،120 ،116
 ،159 ،157 ،155 ،153 ،150 ،145 ،139
 .171 ،166 ،165 ،163 ،162 ،161 ،160

ملاتة(سهل): 16، 26، 27، 28، 57، 93، 148.

ملوية(واد): 07، 42، 66.

مينة(سهل): 51، 73، 127، 150.

- ن -

ندرومة: 09، 65، 76، 85، 87، 88، 89، 91،

،154 ،153 ،149 ،139 ،138 ،122 ،109

.176 ،171 ،158

- ه -

هبرة(واد): 30، 58، 84، 170، 174.

هنين (ميناء) : 05، 06، 07، 09، 12، 72، 94،

.106

- و -

وجدة: 54، 65، 67، 91، 93، 94.

وهران: 02، 03، 04، 05، 06، 07، 08، 10،

،20 ،19 ،18 ،17 ،16 ،15 ،14 ،13 ،12 ،11

،30 ،29 ،28 ،27 ،26 ،25 ،24 ،23 ،22 ،21

،42 ،41 ،39 ،38 ،37 ،36 ،35 ،34 ،33 ،32

،57 ،56 ،55 ،54 ،52 ،51 ،50 ،49 ،48 ،46

،71 ،70 ،69 ،68 ،64،65 ،63 ،62 ،59 ،58

،89 ،87 ،86 ،85 ،84 ،79 ،78 ،77 ،76 ،74

،104 ،102 ،100 ،98 ،97 ،95،96 ،94 ،93

فهرس الوظائف والالقب الادارية.

131، 134، 136، 138، 140، 141، 142،	أ -
146، 148، 149، 150، 155، 156، 157،	الآغا: 43، 47، 48، 51، 71، 120، 126، 127،
158، 159، 160، 161، 163، 164، 165، 166،	128، 136، 167.
167، 169، 170، 171.	آغا العرب: 44، 121.
البراح: 47، 142.	الأغاليك: 43.
البولكباشي: 48.	أمين السكة: 45، 107.
البيتمالجي: 45.	أمين الصنعة: 90.
ت -	الأوجاق: 130.
الترجمان: 45.	أودا باشي: 126.
التولية: 124.	الأوطان(تقسيم اداري): 43، 45، 47، 60، 115،
ج -	117.
الجزية: 33.	ب -
ح -	باش آغا: 44.
حاكم وهران: 08، 15، 20، 21، 34، 35، 37،	باش سايس: 45.
113.	باش سيار(محرر رسائل الباي): 45، 125.
حاملو أعلام الباي: 45.	باشماط: 110، 121.
الحقوق الجمركية: 122.	بشماق: 124.
خ -	الباي: 26، 30، 38، 39، 41، 42، 43، 44، 45،
خداجية الباي: 44.	46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55،
الخزندار: 44، 130.	57، 58، 59، 63، 64، 65، 66، 67، 69، 70،
خليفة الباي: 30، 43.	71، 74، 77، 79، 82، 83، 84، 89، 96، 97،
خوجة الخيل: 44، 125، 130.	98، 103، 104، 106، 107، 112، 119، 120،
خوجة الرحبة: 123.	121، 125، 126، 127، 128، 129، 130،

	خوجة مخزن الزرع: 45.
- د -	
	دار الامارة: 126.
- ض -	
	الضيافة(هدية):125.
- ط -	
	الداي: 43، 44، 45، 46، 49، 50، 53، 56، 96، 97، 98، 101، 104، 107، 119، 125، 126، 127، 130، 136.
- ع -	
	الغنوة(حقوق): 115، 123.
	الديوان: 121، 126.
	العوائد: 77، 124، 127، 130.
- غ -	
	رئيس الطباخين: 45.
	الغرامة: 103، 114، 115، 119.
- ف -	
	الرومية: 39، 63، 113.
	فرسان المخزن: 45، 77، 82، 84، 89.
- ز -	
	الزبنطوط: 48.
	الزفينة: 144.
- س -	
	السراج: 130.
	السيار: 45.
- ش -	
	الشبير(حق):118.
	الشواش: 47، 48، 130.
	الشواف(جامع الاخبار): 48، 128.
	شيخ البلد: 123.
- ل -	
	اللزمة: 119.
- م -	
	المحتسب: 46، 123.

المزوار: 46، 121، 126.

المسيد: 152.

المؤدب: 151، 152.

- ن -

النوبة: 127.

- و -

وكيل الباي: 45، 130.

فهرس الموضوعات.

الاهداء

شكر وتقدير

مختصرات البحث

المقدمة.....أ

الفصل الاول:الصراع الاسباني العثماني على الغرب الجزائري

تمهيد:2

أولاً:الموقع الاستراتيجي والأهمية الاقتصادية للغرب الجزائري:.....3

ثانياً:اوضاع الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الاسباني:.....7

1-2 : نهاية دولة بني زيان:7

2-2: الجوسسة الاسبانية في المنطقة الغربية:9

ثالثاً: الاحتلال الاسباني للمرسى الكبير ووهران:.....10

1-3 : احتلال المرسى الكبير:10

2-3 : احتلال وهران:14

رابعاً: فرض الحماية الاسبانية على بعض المدن الساحلية الغربية:17

1-4: مدينة تنس:17

2-4 : مستغانم:18

3-4 : تلمسان:19

خامساً:تبعية بعض قبائل الغرب الجزائري للاسبان:23

1-5 : قبائل كريشتل:24

2-5:قبائل شافع:.....25

3-5: قبائل حميان:.....26

4-5: قبيلة غمرة:.....26

5-5: قبيلة غيزة:.....26

- 27 6-5: قبيلة اولاد عبد الله:.....
- 27 7-5: قبيلة اولاد علي:.....
- 28 8-5: قبيلة الونازرة:.....
- 29 9-5: قبائل سويد:.....
- 29 10-5: قبيلة أهل يفر:.....
- 29 11-5: جماعة فرسان اولاد ميمون:.....
- 30 12-5 : جماعة فرسان اولاد ابراهيم:.....
- 30 12-5 : جماعة فرسان أولاد سليمان:.....
- 30 13-5: جماعة هبرة:.....
- 31 سادسا:التدخل العثماني في غرب البحر المتوسط وتأسيس ايالة الجزائر:.....
- 31 1-6:اتصال العثمانيون بالعلماء في الغرب الجزائري:.....
- 34 2-6:محاولات العثمانيون استرجاع وهران:.....
- 34 1/ محاولة صالح راييس 1556:.....
- 36 2/محاولة حسن باشا سنة 1563:.....
- 37 3/تزايد المحاولات في القرن السابع عشر:.....
- 38 4/ محاولة الباي شعبان الزناقي سنة 1686:.....

الفصل الثاني: الاحوال السياسية والتنظيمات الادارية لبايلك الغرب خلال القرن 18

- 41 تمهيد:.....
- 42 أولا: الإدارة العثمانية ببايلك الغرب الجزائري:.....
- 42 1- تنظيم البايلك:.....
- 43 2-الجهاز الاداري:.....
- 44 3-موظفو بايلك الغرب:.....
- 44 أ/الموظفون القريبون من الباي:.....
- 46 ب/الموظفون القائمون على شؤون المدن:.....

47.....	ج/الموظفون القائمون على شؤون الأرياف:
49.....	ثانيا: السياسة الداخلية لبايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر:
49.....	1- بايات بايلك الغرب الجزائري:
55.....	2- قبائل بايلك الغرب وتنظيمها:
56.....	1/ القبائل المخزنية:
59.....	2/ قبائل الرعية:
60.....	3/ القبائل الحليفة:
60.....	4/ القبائل المستقلة:
62.....	ثالثا: السياسة الخارجية لبايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر:
62.....	1/ الاطماع الاسبانية:
65.....	2/ الاطماع المغربية:
68.....	رابعا: دور السلطة الروحية في بايلك الغرب:
68.....	اولا: الرباطات الدينية:
69.....	ثانيا: الطرق الصوفية:
69.....	اولا: الطريقة القادرية:
70.....	ثانيا: الطريقة التيجانية:
70.....	ثالثا: الطريقة الدرقاوية:
71.....	رابعا: الطريقة الطيبية:
71.....	خامسا: الطريقة الشيعية:
71.....	خامسا: علاقة المدينة بالريف ببايلك الغرب الجزائري:
72.....	تلمسان:
73.....	مازونة:
73.....	مستغانم:
74.....	معسكر

الفصل الثالث: الاوضاع الاقتصادية في بايك الغرب خلال القرن 18

82	تمهيد:
83	أولاً: الزراعة:
83	1 – أنواع الأراضي الزراعية:
83	ا/ اراضي البايلك:
84	ب/أراضي القبائل:
84	ج/ أراضي العزل:
85	2 – الثروة الزراعية والحيوانية:
86	ثانياً: الصناعة:
87	1-الحرف والصنائع:
89	1-الفئات الصناعية:
90	ثالثاً: التجارة:
91	1-التجارة الداخلية:
91	ا/ الاسواق الداخلية:
92	ب/الاسواق المتنقلة:
93	2-التجارة الخارجية:
95	-التجارة مع المغرب:
96	-التجارة مع الدول الأوروبية:
98	ا/التجارة مع اسبانيا:
103	ب/التجارة مع فرنسا:
105	ج/ التجارة مع انجلترا:
107	رابعاً:العملات والأسعار:
107	1/العملات:
110	2/ الاسعار:

112.....	خامسا: الضرائب والرسوم:
113.....	أولا : ضرائب يدفعها الاهالى الخاضعون للأسبان:
115.....	ثانيا: الضرائب العثمانية:
<u>الفصل الرابع: الاحوال الاجتماعية والحركة التعليمية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18</u>	
134.....	تمهيد:
135.....	أولا: الأحوال الاجتماعية:
135.....	1-عناصر المجتمع:
135.....	ا/ في الأرياف:
135.....	ب/ في المدن:
140.....	2/قنات المجتمع:
140.....	ا/ في المدن:
140.....	1- الارستقراطية الحضرية:
141.....	2/ البرجوازية الحضرية:
143.....	3- السفلى أو العامة:
144.....	ب/ في الريف:
144.....	1/ الارستقراطية الريفية:
146.....	2/ السفلى أو العامة:
146.....	3/ الوضع الصحي:
149.....	ثانيا: الحركة التعليمية في بايلك الغرب:
151.....	1-تنظيم التعليم:
151.....	ا/الأطوار والمناهج:
154.....	ب/الإنفاق على مؤسسات التعليم:
156.....	2/مراكز العلم ومدارسه:
157.....	ا/ المؤسسات التعليمية:

157.....	1/ المساجد:
158.....	2/ المدارس.....
160.....	3/ الزوايا:
161.....	4/ المكتبات.....
163.....	ب/ أعلام الثقافة والفكر.....
163.....	1/ علماء عائلة المشارف:
163.....	2/ ابوراس الناصري:
165.....	3/ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي:
166.....	4/ احمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي:
166.....	5/ محمد بن يوسف الزياني:
169.....	الخاتمة.....
174.....	الملاحق.....
180.....	قائمة المصادر والمراجع.....
	الفهارس:
203.....	فهرس الاعلام.....
205.....	فهرس القبائل والجماعات.....
	فهرس الاماكن
207.....	الجغرافية.....
211.....	فهرس الوظائف والالقب الادارية.....
214.....	فهرس الموضوعات.....